نزهة المقلتين في سيرة الدولتين العلائية والجلالية

وما كان فيهما من الوقائع التاترية

جمعهما

عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم الشافعي

المعروف بأبي شامة

٥٩٩ هـ - ٦٦٥ هـ

على سبيل الاختصار من كتاب المنشئ الفاضل شهاب الدين محمد بن أحمد النسوي

عن نسخة قابلها بأصل أبي شامة بخطه الحافظ ابن العلائي

حققه وعلق عليه

إبراهيم الزيبق

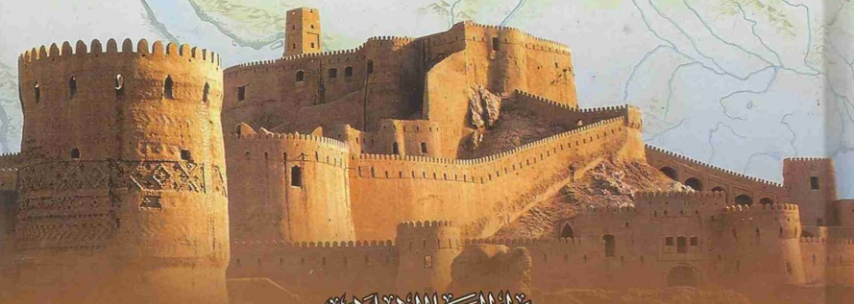

دار البشائر الإسلامية

نزهة المقلتين في سيرة الدولتين
العلائية والجلالية
وما كان فيهما من الوقائع التاترية

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزءٍ منه بأيِّ شكلٍ من الأشكال، أو نسخه، أو حفظه في أي نظام إلكتروني أو ميكانيكي يمكّن من استرجاع الكتاب أو أي جزءٍ منه، دون الحصول على إذن خطي مسبقاً.

شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى
سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
هاتف: ٩٦١١/٧٠٢٨٥٧.. فاكس: ٩٦١١/٧٠٤٩٦٣..
email: info@dar-albashaer.com
website: www. dar-albashaer.com

ISBN 978-614-437-221-0

نُزهة المقلتين في سيرة الدولتين

العلائية والجلالية

وما كان فيهما من الوقائع التاترية

جمعهما

عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم الشافعي

المعروف بأبي شامة

٥٩٩ هـ - ٦٦٥ هـ

على سبيل الاختصار من كتاب المنشئ الفاضل

شهاب الدين محمد بن أحمد النسوي

عمدته فابتلوا بأصل أبي شامة بخطه الحافظ ابن العلائي

حققه وعلق عليه

إبراهيم الزيبق

دار البشائر الإسلامية

الإهداء

إلى النقاء الذي ودّعنا باكراً...

مخلّفاً في القلب غصّةً لا تزول...

إلى صديقي رمزي دمشقية...

ابراهيم

قبل سنين خلت أرسل إليَّ صديقي الأثير المحقق الشيخ محمد بن ناصر العَجْمي ـ أمتع الله به ـ نسخة نفيسة مصوَّرة من كتاب «**نزهة المقلتين**»، للمؤرِّخ النَّبْت عبد الرحمٰن بن إسماعيل بن إبراهيم الدِّمَشْقي، المعروف بأبي شامة، وعلى صفحتها الأولى كَتَبَ بخطِّه الواضح: «نسخة أصيلة عليها خط الحافظ العلائي، أتمنى أن تُبعث على يديك».

ومع أنَّ نسخته هذه قد أعانتني في دراستي عن مؤرِّخ دمشق أبي شامة[1]، فقد تريَّثتُ في تحقيقها، وأنا الحريصُ على نشر آثاره التَّاريخية[2]. إذ كان يصرفني عنها أنَّ أصل هذا الكتاب، وهو «سيرة السُّلطان جلال الدِّين مَنْكَبُرْتي» قد طبع في القاهرة، واشتهرت هذه الطبعة بين الباحثين، ثم صدرت له طبعة أخرى في موسكو.

ومع تساقط أوراق الأيام، وكلَّما أوغلتُ في قراءة تَيْنك الطبعتين أنعشتني كنسمةٍ أمنيَّة صديقي الأثير. فطبعة القاهرة التي حقَّقها الأستاذ حافظ أحمد حمدي، قد مضى عليها الآن نحو ستين سنة، إذ طبعت سنة

---

(١) صدرت عن مؤسسة الرسالة في دمشق سنة ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، بعنوان: «أبو شامة مؤرخ دمشق في عصر الأيوبيين، دراسة تحليلية في سيرته وآثاره التاريخية».

(٢) فقد سلف لي تحقيق كتابَيْن لأبي شامة، **أولهما**: «كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية»، وصدر في خمسة أجزاء عن مؤسسة الرسالة في بيروت سنة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م. **وثانيهما**: «المذيل على الروضتين»، وصدر في جزأين عن دار الرسالة العالمية، ودار البشائر الإسلامية في بيروت سنة ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م. وصرَّح في تقديمه لها أنه اعتمد فيها على طبعة المستشرق الفرنسي أوكتاف هوداس Houdas المنشورة سنة ١٣٠٨هـ/ ١٨٩١م، عن نسخة خطية بالمكتبة الأهلية بباريس. ثم رجع إلى ترجمته الفرنسية لها المنشورة سنة ١٣١٢هـ/ ١٨٩٥م، ومن خلال قراءته فيهما وقف على أخطاء غير قليلة وقع فيها هوداس، دفعته إلى إعادةِ نَشْر الكتاب، مصحِّحًا ما أمكنه من أخطائه، برغم عدم حصوله على نُسْخته الخطية[١].

ولا أُنكر أنَّ حافظ أحمد حمدي استدرك كثيرًا من أخطاء هوداس، وفاته بعضُها، ووقع هو كذلك في أخطاء كثيرة، لعدم وقوفه على نُسْخة الكتاب، وشرح بعضَ مفرداته شرحًا يجانبُ الصَّواب. ويبدو أنَّه كان على خشيةٍ من ذلك، فقال في آخر تقديمه له: «ولن أدَّعي بأنِّي وصلتُ إلى كلِّ ما يجب أن يصل إليه باحثٌ مدقق، بل أرجو أن يجد غيري في هذه الطبعة من أوجه النقص ما يحفِّزُه إلى إتمامه»[٢].

وأما طبعة موسكو التي حقَّقها الدكتور ضياء الدِّين موسى بونيادوف، وصدرت سنة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، فهي نادرة بين أيدي الباحثين. وتمتازُ باعتماد محققها على عِدَّة نُسَخ خطية، **أولها**: النسخة الباريسية التي اعتمد عليها من قبله المستشرق هوداس، ورمز لها بـ (P). **وثانيها**: نسخة المتحف البريطاني، وهي نسخة فيها خَرْمان بأوَّلها وآخرها، واضطرابٌ في أوراقها، وطمسٌ أتى على صفحاتها الأخيرة تعذَّر معه قراءتها، ورمز لها بـ (B). **وثالثة**: في مكتبة لينينغراد نسخها الشيخ محمد عيَّاد الطنطاوي عن النسخة الباريسية، مصحِّحًا بعض أخطائها، ورمز لها بـ (آ). ثم طبعة هوداس، ورمز لها بـ (H).

---

(١) (ص٢٦ ـ ٢٧).

(٢) (ص٣٠).

وقد آثر الدكتور ضياء الدِّين أن ينشر الكتاب بخطِّه، متجنِّبًا حروف الطِّباعة الحديثة، وهو خطٌّ لا أقول إنَّه رديء، بل إنه غيرُ جميل، وأحيانًا عَسِرُ القراءة. واكتفى بنشر النَّص دون التعليق عليه، أو شرح غريبه.

وبرغم أنه كان أمينًا في ذِكْرِ فروقِ النسخ التي اعتمد عليها، فإنَّه لم يستفد منها في ترجيح الصَّواب، وأحيانًا كان يتخلى عنها مُقْتفيًا أثرَ طبعة القاهرة في أخطائها، وقد ألمعتُ إلى بعض ذلك في الحواشي.

ثم إنَّه في قراءته له وقع في أوهام، مبعثها ـ فيما أحسَبُ ـ عدمُ تمكُّنه من اللغة العربية؛ ذلك التمكُّن الذي يتيح له، على نحوٍ مَرْضيٍّ، فهمَ لغة النَّسوي المسجوعة، والمُثْقلة بالمحسِّنات اللفظية، وغريبِ اللغة، شأنه في ذلك شأن معظم كُتَّاب ذلك العصر.

ووجدتُني ذات مساء، وأنا أقلِّب أوراق «نزهة المقلتين»، تنازعني نفسي إلى تحقيقه، وهو وإن كان مختصرًا عن الأصل، فهو نسخةٌ منه تصحِّحُ ما وقع فيه من أخطاء؛ وآية ذلك ما قيَّدْتُه منها في حواشيه. ثم هو من اختصار أبي شامة؛ مؤرِّخنا الكبير، وقابله بنسخته عالمٌ جليل هو الحافظ المحدِّث الفقيه خليل بن كَيْكَلَدي العلائي الدِّمشقي. وبذلك أكون قد استكملتُ ـ بفضل الله ـ تحقيقَ أهمِّ آثارِ أبي شامة التَّاريخية.

ومن وراء عَتَمَة الغياب، لاحتْ لي كلماتُ صديقي باسمةً كنظراته ـ وقد حالتْ دون لقائنا سنواتٌ عِجاف ـ وكأنَّها ببريقها العَذْب تُغْريني بإنجازه. فشكري الجزيل لك أيُّها الأخ الحبيب، فلا يزيدُك النَّأي عن سوادِ العين إلَّا قُرْبًا من شِغاف القلب.

ـ ٢ ـ

لم يذكر أبو شامة هذا الكتاب ضمن مؤلفاته التي كتبها حتى سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م، وأثبتها في ترجمته لنفسه في «المذيل على

الروضتين»[1]، بل اكتفى بالإشارةِ إليه في ثلاثة مواضع منه[2].

ويُسْتفاد من تقديمه له أنَّه اختصره بعد فراغه من تأليف «كتاب الرَّوْضتين»، ساعيًا من ورائه إلى الموازنة بين الدَّوْلتين النُّورية والصَّلاحية، اللَّتَيْن قامتا على نَشْر العدل، وإقامة الجهاد، والنَّظر في مصالح العباد ـ كما قال[3] ـ فكان لهما من بعد النَّصْر المؤزَّر على الصَّليبيين، وبين الدَّولتين العلائية والجلالية، اللتين قامتا على قهر العباد، فآل الأمر إلى خراب البلاد، واستيلاء التَّاتار عليها، وسَفْكهم دماء أهلها[4]. وبذلك يُكمل أبو شامة رؤياه للتَّاريخ، ليضعها بين يدي ملوك عصره: العدل الذي يعمُرُ البلاد، والظُّلْم المُفْضي إلى الخراب[5].

ولكي يكون أمينًا فيما يوردُه من أخبار الدَّوْلة الخُوارزميَّة، وهو البعيدُ عنها، اختار النسويَّ، وهو مؤرِّخ معاصر لها، ليعتمد عليه فيما يسوق من أخبارها. وما كان يعنيه منها تلك الفترة الأخيرة من حياتها، التي حكم فيها السُّلطانان: علاء الدِّين محمد بن تُكُش، وابنه جلال الدِّين مَنْكَبُرْتي، ووقائعهما مع التاتار. وبذلك يختطُّ أبو شامة منهجًا في اختصاره للكتاب يختلف عن منهج النسوي في تأليفه.

فالنَّسوي أراد أن يؤرِّخ للفترة الأخيرة من حياة الدَّولة الخُوارزمية من خلال سُلْطانيها علاء الدِّين وجلال الدِّين، فاستفاض في أخبارها، وتوسَّع في أخبار جلال الدِّين؛ لأنَّه عَقَدَ كتابه على سيرته. ولذلك رأيناه يسوق تفاصيلَ ما جرى مع تلك الدولة في علاقاتها الدَّاخلية والخارجية،

---

(١) «المذيل» (١/ ١٤٢ ـ ١٤٤).

(٢) «المذيل» (١/ ٢٨٢، ٣٢٨، ٢/ ١٢٤ ـ ١٢٥).

(٣) «كتاب الروضتين» (٤/ ٤٣٤).

(٤) تنظر: (ص٥٠) من هذا الكتاب.

(٥) «كتاب الروضتين» (١/ ٢٦).

بل إنه وجد مُتَّسعًا ليذكر طَرَفًا من سيرته الذاتية، والوقائع التي قادته إلى التعرُّف إلى جلال الدِّين، وملازمته له حتى مقتله.

أما أبو شامة، فما يعنيه هو مقاصد الكتاب كما عبَّر في مقدمته له[1]، ومن مقاصده ما كان لتلك الدولة من وقائع مع التاتار، ولذلك قيَّد عنوان اختصاره له بقوله: «وما كان فيهما من الوقائع التاتارية». فلم يلتزم أبو شامة في اختصاره إلا بتلك الفصول التي ساق فيها النَّسوي أخبارَ تلك الأحداث والوقائع، ومن ثَمَّ لم يلتزم بعناوين الفصول التي عَنْوَن بها النسويُّ كتابَه، بل وضع عناوين لفصوله التي اختصرها تُجْمِلُ فحواها.

ثم إنَّ لغة النَّسوي ـ كما ذكرت ـ لغةٌ مسجوعة، طافحة بالمحسِّنات اللفظية والأمثال السَّائرة، ولأن الكتاب أشبه بالذكريات، فقد داخَلَ النَّسوي في عرضه بين الحدث العام وما وقع له من حدث شخصي. ولم يلتزم في ذكره للوقائع بترتيبها الزَّمني، فهو يقدِّم ويؤخِّر فيها حسب ما تمليه عليه ذاكرتُه، مع إهمالٍ أحيانًا لذكر تواريخ ما جرى. وثمة استطراداتٌ تشتِّتُ الحدث، وتحول دون لملمته إلا بعد تدبُّرٍ وإمعان.

وبرهافة المؤرِّخ ودقَّته استلَّ أبو شامة من هذا كلِّه المادَّة التاريخية، مُعيدًا بناءها وَفْق ما تغيَّاه، حاذفًا تلك الأسجاع المُفضية إلى المَلال إلا قليلًا منها، استحسَنَها في مواضعها، وليست خارجة عن الغرض المقصود من التعريف بالحوادث والوقائع، بحيث غدا الخاصُّ والعام يفهم ذلك الكلام. وكذلك فعل من قبلُ بكتب العماد الكاتب في «كتاب الرَّوْضتين»[2]. ثم ساق أخبار الوقائع حسب ترتيبها الزَّمني بعيدًا عن استطراداتٍ تشتِّتُها. ولم يلتفت إلى معظم الحوادث التي كان للنَّسوي علاقة بها، وتمسُّ طَرَفًا من سيرته الذاتية. فكان عملُ أبي شامة في

---

(١) تنظر: (ص٥٠) من هذا الكتاب.

(٢) «كتاب الروضتين» (١/ ٣٠).

الكتاب أقربَ للاختيار منه للاختصار، وهو ما عبَّر عنه في خاتمته بقوله: «هذا آخر ما اخترته من هذا الكتاب، وإلى الله تعالى المصير والمآب»[1].

ويبدو أنَّ أبا شامة لم يبرز هذا الاختصار للناس إلا بعد سقوط بغداد بيد التاتار سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م، وما أعقبَ ذلك من سقوط حلب في صفر سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م، واستسلام دمشق في العام نفسه، ثم ما جرى من انتصار المسلمين في معركة عين جالوت في رمضان سنة ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م، ومعركة حمص في محرَّم سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦٠م. فعكف أبو شامة على إضافة أخبار هذه الوقائع باختصار في آخر الكتاب. ويبدو كذلك أنَّه كان يدوِّنُها تِباعًا إثر وقوعها، يدلُّ على ذلك افتتاحُه لبعضها بقوله: ثم. بيد أنَّ ما كتبه هنا قد دوَّنه في كتابه «المُذَيَّل على الرَّوْضتين» تدوينًا أحسن سياقًا وأتم. ولعله لم يفصِّل في هذه الأخبار هنا تفصيله لها في «المُذَيَّل» انسجامًا مع موضوع الكتاب، ومنهجه فيه.

❁ ❁ ❁

وقد أغناني عن ترجمة أبي شامة في تقديمي لهذا الكتاب، ما كتبته من دراسةٍ ضافية عنه في كتابي «أبو شامة مؤرِّخ دمشق في عصر الأيوبيين، دراسة تحليلية في سيرته وآثاره التاريخية».

أما شهابُ الدِّين محمد بن أحمد النَّسوي، فلم أقرأ عنه إلا شذراتٍ لا تغني. وأهتبلُ هذه المناسبة لأترجم له ترجمة موسَّعة، معتمدًا في جملتها على ما ساقه منجَّمًا في كتابه، مُحيلًا فيها على طبعتنا هذه، وعلى طبعة القاهرة؛ لأنها مبذولة للقُرَّاء. وفي ترجمتي له استدراكٌ لما أهمله أبو شامة من أخباره، ولكنْ بأسلوبٍ آخر.

---

(١) (ص٢٠٩) من هذا الكتاب.

- ٣ -

فهو شهابُ الدِّين محمد بن أحمد بن علي بن محمد النَّسوي[١] ولم يحدِّثنا فيما ساق من أخباره عن سنة ولادته، ولا عن بداية نشأته، فلا نعرفه إلا شابًّا رافهًا، يعيش في كنف والده أحمد، وينوبُ عنه في حكم قلعة جَزُيدَر[٢]؛ وهي من أمهات قلاع خُراسان[٣] حصانة، لمناعتها وعلوِّها الشاهق[٤]. ولا يُعرف متى وَلِيت أسرتُه هذه القلعة، فقد اختلفت أقاويلهم في ذلك حسب الأهواء، ولقدم ولايتهم لها باتوا يعتقدون أنها في أيديهم من بدوِّ انتشار الإسلام في خراسان[٥].

ويبدو أن النَّسويَّ مال إلى الأدب منذ حداثته، وأولع بكتبه، فلما شبَّ راح يتتبعها في أسواق الورَّاقين بنَهَم، ويجمعها من أيدي العامَّة بشغف، حتى تكوَّنت له مع الأيام في قلعته مكتبة زاخرة بنفائس الكتب[٦].

وحين دهم التَّاتار بلاد ما وراء النهر وخُراسان مع مطلع عام ٦١٦هـ/ ١٢١٩م، وهي السنة المشؤومة كما سمَّتها العامَّة وقتئذٍ[٧]،

---

(١) هكذا ساق أبو شامة اسمه ونسبه في مقدمته، تنظر: (ص٥٠) من هذا الكتاب.

(٢) اختلفت النسخ في رسم اسم هذه القلعة، وما أثبته هو ما ورد في الأصل الذي اعتمدت عليه في تحقيق هذا الكتاب. وذكر النسوي أن بقرب القلعة مرج سائغ، وهو من المروج المشهورة، ولهم على أطرافها ضيعة جرماني، فيها عين ماء تقارب نبع رأس عين الخابور؛ أي: في صفائها وعذوبتها. ينظر: (ص١٠٦، ١١١) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص٧٩، ١١٦، ١٢٤)، و«معجم البلدان» (٣/ ١٤).

(٣) (ص١٠٦) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص١١٦).

(٤) (ص١١٠، ١١١) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٢٤ ـ ١٢٥).

(٥) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص١١٦ ـ ١١٧).

(٦) (ص١٠٢) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص١١٠ ـ ١١١).

(٧) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٤٥).

استعصتْ هذه القلعة عليهم[1]. وغدت لحصانتها ملجأً للخائفين، فإليها كان يهرب أربابُ الدَّولة والأغنياء المشهورون حُفاة عُراة، فكان النَّسوي يكسو بقدر الإمكان عُراهم، ويساعدهم على ما عَرَاهم، على حدِّ تعبيره، ثم يوصلهم إلى أهليهم[2]. متعجِّبًا مما داخل أعوانَ الدَّولة في تلك الأيام من هولٍ ووَجَل[3].

ويسيح التاتار في البلاد كإعصار جارف، يمزقون جيوش المُسْلمين، ويقتلون ويأسرون ويخرِّبون أينما حلّوا. وتتجه فرقة منهم غربًا للقبض على السُّلطان علاء الدِّين محمد بن تُكُش، فينهزم من بين أيديهم، وقد استبدَّ به الهلع، ليموت حزنًا وكمدًا في جزيرة نائية في بحر قزوين، وذلك سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م[4].

وقبيل وفاته يخلع ابنه أزلاغ شاه من ولاية العهد، ويولي السَّلطنة من بعده ابنه الأكبر جلال الدين مَنْكَبُرْتي[5]. فيركب البحر مع أخويه أزلاغ شاه وأق شاه عائدين إلى خُوارزم؛ مهد سلطتهم، ومعهم نحو سبعين فارسًا. فيلتقيهم أهلها بالدَّوابِّ والسِّلاح، ويستبشرون بقدومهم خيرًا. ويفيء إلى السُّلطان جلال الدِّين العساكرُ المتفرِّقون في بوادِيها، وهم نحو سبعةِ آلاف فارس، بيد أنَّ أكثرهم من قبيلة بياووت[6]؛ وهي قبيلة والدة أبيه تركان خاتون[7]. فيميلون إلى أخيه أزلاغ شاه للقرابة، إذ إنَّ والدته كذلك من تلك العشيرة[8]، ويُنكرون عليه رضاه بخَلْعه من ولاية

---

(١) (ص١١١، ١١٢) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٢٥).
(٢) (ص١٠٦ ـ ١٠٧) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص١١٧).
(٣) (ص١١٠) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٢٤).
(٤) (ص٩٨ ـ ٩٩) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٠٨).
(٥) (ص٩٨) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٢٠).
(٦) (ص١١٣) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٢٢).
(٧) (ص٨٨) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص٩٩).
(٨) (ص٦٩) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص٧١).

العهد، ويتواطؤون فيما بينهم على أن يقبضوا على جلال الدِّين، ويَسْمُلوا عينيه أو يقتلوه. ويعلم جلالُ الدين بما يأتمرون به، فيهرب في نحوِ ثلاث مئة فارس[1]، قاطعًا الصَّحراء بين خُوارزم وخُراسان في أيام قلائل، حتى يصل إلى أطراف نسا[2].

في ذلك الوقت كان النَّسوي قد غادر قلعة جَزُيدَر، ربما بعد وفاة والده، إذ وليها ابنُ عمِّه سعد الدِّين جعفر بن محمد، وهو الآن بمدينة نسا، في خدمة أميرها اختيارَ الدِّين زَنْكي بن محمد بن حمزة[3]. ويصل إليهم كتابٌ من ابن عمِّه بأنَّ التاتار وصلوا إلى القلعة لكَشْفِ أخبار السُّلطان جلال الدِّين[4].

وكان جنكيزخان، وقد علم برجوع السُّلطان جلال الدِّين إلى خُوارزم، بثَّ عساكرَه على أطراف الصَّحراء من تُخُوم مَرْو إلى حدود شَهْرَسْتانة؛ وهي كُورة من كُوَر فَرَاوة، للقبض عليه حين خروجه منها. وكان منهم على أطراف نسا نحو سبع مئة فارس يترصَّدونه.

فلما خرج جلال الدِّين من الصَّحراء صادمهم، فانجلتِ المعركة عن هزيمتهم، تاركين عُدَّتهم وأسلحتهم غنيمة لجلال الدِّين، فتقوَّى بها، وكانت هذه أولى معاركه مع التَّاتار. ولا يخفي النَّسوي طربه لانتصاره بعد إدمانه سماع الهزائم، فيقول بفرحٍ وافتخار: «هذا أوَّلُ سيفٍ في الإسلام خُضِبَ بدمائهم، ولَعِبَ في جُثَثِ أشلائهم»[5].

ويرحلُ جلال الدِّين إلى نَيْسَابور[6]، فيقيمُ بها نحو شهر محاولًا

---

(١) (ص١١٣ ـ ١١٤) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٢٢).

(٢) (ص١١٤) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٢٦).

(٣) (ص١١٥) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٢٧).

(٤) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٢٩).

(٥) (ص١١٤ ـ ١١٥) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٢٦ ـ ١٢٧).

(٦) (ص١١٦) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٢٨).

تجميع قواه، فيكاتِبُ الأمراء، وأصحاب الأطراف مستنجدًا بهم، طالبًا منهم الاحتشاد. ويعلم به التاتار، فيخرج من نَيْسابور بمن انضوى إليه من الخُوارزمية، يطوي المراحل حتى يصلَ إلى القلعة القاهرة بزُوْزَن[1].

❀ ❀ ❀

وإلى نسا تقذِفُ الجَفْلة من التَّاتار بدرَ الدِّين إيتانج خان؛ وهو من كبار أمراء السُّلطان علاء الدِّين محمد وحُجَّابه، وممن تولى أمر الدِّفاع عن بُخارى[2]. بيد أنَّ عسكرها لمَّا عاينوا ضعفهم عن مقاومة حصار التَّاتار لها، أجمعوا أمرهم على الفِرار، وشقُّوا طريقهم خارج أسوارِها، نجاةً بأنفسهم. فأفسح لهم التَّاتار الطريق متظاهرين بالهزيمة، ثم انعطفوا عليهم يتتبعونهم إلى شاطئ جَيْحون، حتى أَفْنَوْا مُعظمهم قتلًا، وغنموا أموالهم وسلاحهم. ولم يُفلت منهم إلا إيتانج خان بشِرْذِمة يسيرة[3]، وصل بها إلى أطراف نسا. فيتلقَّاه أميرُها اختيار الدِّين زَنْكي، مهنئًا له بالسَّلامة[4]، ويعيِّن النسويَّ نائبًا عنه ليلازمه في قضاء أشغاله.

والتأم إلى إيتانج خان أيام مُقامه بنسا ونواحيها مَنْ تفرَّق من العساكر السُّلطانية، فتقوَّى بهم[5]. وعلم به التَّاتار من بعض

---

(١) (ص١١٧) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٣٢).

(٢) (ص١١٩) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٣٥).

(٣) (ص٩٠ ـ ٩١) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٠٠، ١٠١). وبعد هزيمة العسكر هذه اضطر أهل بخارى إلى طلب الأمان، وفتحوا أبواب مدينتهم للتاتار في ٤ ذي الحجة سنة ٦١٦هـ/ ١٠ شباط ١٢٢٠م، ينظر: «الكامل» لابن الأثير (١٢/ ٣٦٥).

(٤) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٣٥).

(٥) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٣٦).

المُمالئين لهم، فجرَّدوا إليه عسكرًا لقتاله[1]. وتنشب المعركة، ويشارك النسويُّ فيها، وهي أوَّلُ معركةٍ يشهدها ضد التاتار. وتبهره فيها شجاعة إيتانج خان، فيصفها من بعدُ بقوله: «وقد شهدتُ هذه الوَقْعة فائزًا بفضيلة المُجاهدين على القاعدين.. فشاهدتُ من إيتانج خان في الوقعة ما لو شاهده رستم في زمانه لرَهِبَه. فحين اشتبكتِ الحربُ خاض بنفسه غمرتها يضربُ باليدَيْن، ويقُدُّ الذِّراع نصفين، وحمل التَّاتار عليه حملتين، فثبتَ لهم أحسن ثبات.. وعثر به فرسه، فأُرْدِفَ بجنيب، وأُلْحِقَ بسيف، وكَشَفَ أصحابُه عنه ما أحاط به من أوشاب الزُّحوف، فحين علا صهوة فرسه حملَ عليهم حملة جعلها خاتمة القتال، فولَّوْا الأدبار مفلولين، ونكصوا على أعقابهم مخذولين»[2].

ويرسل إيتانج خان إلى أمير نسا يبشِّرُه بالنصر. ثم يرحل صوبَ أَبِيْوَرْد، وقد تمكَّنت هيبتُه في النفوس، وينضوي إليه هناك العساكر السُّلطانية[3]. ويرحل معه النَّسويُّ، مؤثرًا ملازمته لِمَا رأى من ثباته وعزيمته. ويرسل إليه نصرة الدِّين حمزة بن محمد؛ وهو ابنُ عمِّ أمير نسا رسائلَ شوق وصبابة، وكان يجمع بينهما حبُّ الأدب، فهل كان يغريه بها على ترك إيتانج خان والعودةِ إلى نسا[4]؟

❁ ❁ ❁

بعد انفصاله عن زُوْزَن، يغذُّ جلال الدِّين السير نحو بُسْت[5]. وفي

---

(١) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٣٥).
(٢) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٣٦).
(٣) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٣٧).
(٤) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٨٧ ـ ١٨٨).
(٥) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٣٣).

طريقه إلى غَزْنة يوقع بالتَّاتار المحاصرين لقلعة قُنْدُهار[1]. ويدخل غَزْنة سنة ٦١٨هـ/ ١٢٢١م[2] ظاهرًا ظافرًا[3]، فيستبشر الناس بقدومه، وهناك يتصل بخدمته الأمير سيف الدِّين بغراق في ثلاثين ألفًا، فيصبحُ جيشه نحو ستين ألفًا[4].

ويبادر جنكيزخان على الفور إلى تجريد العساكر لمقاتلته، انتقامًا لِمَا حلَّ بجنوده في قُنْدُهار، ويستعد لهم جلال الدِّين، ويلتقيهم ببيروان؛ شماليَّ كابُل، وما هي إلا جولة حتى يتبدَّدَ نظامُ التَّاتار، وينهزموا، فيركبُ جلال الدِّين أكتافهم، يخطف بالقواطع رؤوسهم، وهو المفجوعُ بإخوته وأبيه، ومملكته وذويه[5].

وبدل أن تكون هذه المعركة الظافرة فاتحة عهدٍ جديد في قتال التاتار، ينشبُ عقبها نزاعٌ بين عساكر السُّلطان جلال الدِّين حول اقتسام غنائمها، يفضي إلى نفور قلبِ فريقٍ منهم، فيفارق جلالَ الدِّين نحو ثلاثين ألفًا منهم غضابًا[6].

يقع ذلك في الوقت الذي يترامى فيه إلى سمع السلطان جلال الدِّين، نهوضُ جنكيزخان إليه بمعظم جيشه، فيرى أن يتراجع إلى شاطئ نهر السِّنْد بما بقي معه من جيش، ويكاتب المفارقين له عسى أن يعودوا إليه، ليتصدَّى معهم لجنكيزخان، إذ لا طاقة له بمجابهته وحده.

فيخرج من غَزْنة، ويعتلي صهوة جواده متجلِّدًا، لما يعانيه من آلام

---

(١) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٣٣ ـ ١٣٤).

(٢) (ص١٢٥) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٥٤).

(٣) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٣٤).

(٤) (ص١٢٥) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٥٤).

(٥) (ص١٢٥) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٥٤).

(٦) (ص١٢٦) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٥٥ ـ ١٥٦).

قُولَنْج شديد. وكانت طلائعُ جيش جنكيزخان قد نزلت بالقُرْب منه، فيركب إليهم، ويكبسهم ليلًا[1].

وكان جلال الدِّين قد أقام مخيَّمه على شاطئ النهر، ريثما تتهيَّأ له أسبابُ العبور، بعد يأسه من عودة من فارقه من جنوده[2]. فوصل إليه جنكيزخان قبل إتمام ما عَزَم عليه[3]. فيلتقيهم جلالُ الدِّين صبيحة يوم الأربعاء ٨ شوال سنة ٦١٨هـ/ ٢٥ تشرين الثاني ١٢٢١م[4]، وبعد قتالٍ شديد، تنجلي المعركة عن هزيمة جلال الدِّين هزيمة قبيحة، يلقي على إثرها جنودُه أنفسَهم في النهر، مؤثرين الموت غرقًا على الموت بحدِّ السيف[5].

ويرجع السلطان جلال الدِّين إلى مخيَّمه عقب الهزيمة كسيرًا، فيوافي والدته ونساءه يصِحْن بأعلى أصواتهن: بالله عليك اقتلنا وخلِّصْنا من الأسر. فيتحاملُ على أوجاعه ومصائبه، ويأمر بهن فَيُغَرَّقْنَ في النهر[6].

ولمَّا رأى جلال الدِّين أن سُبُل الهرب قد سُدَّت في وجهه، فالنهر أمامه، وسيوف التَّاتار من ورائه، امتطى فرسه، ثم ركله، فانطلق به بأقصى سُرْعته، قاذفًا بنفسه في النهر وهو على صهوته[7].

ويعبر الفرسُ بجلال الدِّين ذلك النهر العظيم إلى الهند، وينجو معه نحو أربعة آلاف من عسكره، يصلون حُفاة عُراة إلى الضفة الأخرى

---

(١) (ص١٢٦ ـ ١٢٧) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٥٥ ـ ١٥٧).

(٢) (ص١٢٧) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٥٧).

(٣) (ص١٢٧) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٥٨).

(٤) (ص١٢٧) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٥٨)، وفي «التوفيقات الإلهامية» يوافق ذلك يوم الخميس.

(٥) (ص١٢٨) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٥٨ ـ ١٥٩).

(٦) (ص١٢٨) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٥٩).

(٧) (ص١٢٩) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٦٠).

من الشاطئ[١].

❁ ❁ ❁

في تلك الأثناء كان إيتانج خان قد عاد من أَبِيْوَرْد إلى نَسَا، وقد كثرت أتباعه وأجنادُه، فيرى أميرَها اختيار الدِّين زَنْكي قد غادرها[٢]، ووليها من بعده ابنُ عمِّه نصرة الدين حمزة[٣]. فيسير عنها إلى سبزوار؛ من أعمال نيسابور، فيقضي على إيلجي بهلوان المتغلب عليها، وتقوى شوكة إيتانج خان، ويستفيض حكمه في بلاد خُراسان عامة.

بيد أن مُدَّة حكمه لخراسان لم تطل، فمناوشات المتغلبين مع التَّاتار لم تدع له فرصة لالتقاط الأنفاس. فبينما كان في ظاهر جُرْجان سنة ٦١٩هـ/١٢٢٢م باغته التَّاتار بالهجوم عليه، فولَّى هاربًا إلى الرَّي، حيث مات هناك مسمومًا على ما قيل[٤].

وكان النَّسوي في جُمْلة المنهزمين، فلجأ إلى قلعة همايون، فأكرمه صاحبُها، وأقام عنده أيامًا إلى أن أَمِنَتِ الطُّرق، ثم رجع مخفورًا إلى قلعته جزيدر[٥]. ولم يمكث فيها طويلًا إذ استنابه نصرة الدِّين حمزة؛ أمير نسا في أموره، وعوَّل عليه فيما كان بصدد تدبيره. ولا شك أن النسوي قد آنس شيئًا من الرَّاحة في منصبه الجديد، فنصرة الدِّين صديقٌ قديم، وله ولعٌ بالأدب مثله، وترسُّله ـ كما وصفه ـ يفيض عذوبة[٦].

❁ ❁ ❁

---

(١) (ص١٢٩) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٦٠)، وذكر النسوي أن هذا الفرس بقي مع جلال الدين مدة، معافى من الركوب، تكريمًا له.

(٢) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٣٧).

(٣) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٨١).

(٤) (ص١٢٠) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٣٨ ـ ١٣٩).

(٥) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٣٩).

(٦) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٨٧ ـ ١٨٨).

وبعد غياب السُّلطان جلال الدِّين في أعماق الهند، انضوى إلى أخيه غياث الدِّين من تفرَّق من العساكر السُّلطانية، فأعاد بهم بسط نفوذه على معظم البلاد، وقد فترت هجماتُ التَّاتار عليها، وأقيمت له الخُطْبة في خُراسان وعراق العَجَم ومازَنْدَران[1].

وكان هوى نصرة الدِّين حمزة؛ أمير نسا مع السُّلطان جلال الدِّين، فلم يخطب لغياث الدِّين كغيره من المتغلِّبين على الأقاليم، مجاهرًا بمخالفته له، قائلًا في مجالسه، وكأنه يتنبأ بما سيؤول إليه الحال: إنَّ جلالَ الدِّين سيظهر ويصلح، وإن غياث الدِّين لا يفلح[2].

وانتهى إلى غياث الدِّين رأيُه في السُّلطان جلال الدين واختياره عليه، فجرَّد إليه طولق بن إيتانج خان مع عساكر أبيه لقتاله. وأُسْقِطَ في يد نُصْرة الدِّين حمزة لمَّا بلغه ما يدبِّرُه غياثُ الدِّين له، فوقع اختياره على النَّسوي كي يرسله إليه مُعْلنًا الطاعة، ومعه ألفُ دينارٍ لوزيره لدفع أذاه. ولم يكن النَّسوي راغبًا في تلك السِّفارة، فتوجَّه إليه كارهًا.

وفي الطريق، فوجئ ليلًا بطولق بن إيتانج خان في عساكره، فخاف أن يقع في أسره، فتلفع بعَتَمَة الليل هاربًا حتى وصل إلى جُرْجان. وهناك بلغه أنَّ السُّلطان جلال الدِّين رجع من الهند[3]، ووصل إلى كَرْمان بعد شدائد قاساها سنة ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م[4]. ثم سرعان ما استولى على أصفهان والرَّي وهَمَذان وبلاد فارس من أخيه غياث الدِّين؛ لأن أكثر جنودِها كان هواهم معه، بل إنَّ أخاه غياث الدِّين دخل في طاعته[5]. فكاد من فرحه يطيرُ لعودة السُّلطان جلال الدِّين إلى البلاد،

---

(١) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٨٠).

(٢) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٨٨).

(٣) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٨٩).

(٤) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٧٤).

(٥) (ص١٣٦) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٧٦ ـ ١٧٩).

وهمَّ بالرُّجوع إلى نَسَا ليزُفَّ إلى صاحبها هذا الخبر السَّار الذي طالما لَهِجَ به. ثم فكَّر في الأمر، فترجَّح لديه أنْ لا وجه للعود؛ لأنَّ ابن إيتانج خان لن يردَّه عن نسا، وقد زحف إليها، إلا أمرٌ سُلْطاني، فعزم حينئذٍ أن يتَّجه على عَجَلٍ إلى السُّلطان جلال الدِّين لإنقاذ صاحبه.

فسارع إلى أَسْتَراباذ، ثم ألجأته الضَّرورة إلى العود إلى طريق بِسْطام، ثم سار مخاطرًا إلى الرَّي، ومنها بادر إلى أصفهان، وطوال تَرْحاله كانتِ الأخبارُ تتبعه بحصار نَسَا والتضييق عليها، فتحرمه من الرَّاحة.

وكم آلمه اضطراره إلى الإقامة بأصفهان شهرين، فالطُّرق إلى السُّلطان كانت مَخُوفة لانعدام الأمن، وزاد مسالِكَها صعوبةً انسدادُها بما تراكم عليها من ثلج. فما إن أقبل الرَّبيع بدفئه حتى نَهَدَ مُسْرعًا إلى السُّلطان، وكان قد أقام مخيَّمه على تخوم هَمَذان[1]. فاتَّفق وصولُ النَّسوي إليه والسُّلطان غائبٌ عنه لقتال الأتابك يغان طايسي لمجاهرته بالعصيان[2].

فالتقى النَّسوي وزيرَه شرف المُلك، وأعطاه الألفَ دينار التي كان يحملها لوزير غياث الدين، ورغب إليه أن يقضي أشغاله لدى السُّلطان بإقرار نصرة الدين حمزة في إمارة نسا، وطرد ابن إيتانج عنها. فوعده شرف المُلك بتمشية الحال، وقضاء الأشغال.

ولما عاد السُّلطان جلال الدِّين إلى مخيمه برز أمرُه على ما اشتهاه النَّسوي وتمنَّاه، وذلك بإقرار نصرة الدين في إمارة نسا، مضافًا إليها عِدَّة نواح تناخِمُها. وعُيِّن للنسوي من الخواصِّ من يصحبه إلى نسا لطرد ابن إيتانج عنها، وإحضاره إلى الأبواب السُّلطانية. وما كاد النسوي ينتشي بنجاح مسعاه حتى ورد النَّاعي إليه بعد يومين بهلاكِ صاحبه نصرة الدين، فقد تمكَّن ابنُ إيتانج أخيرًا من الاستيلاء على نسا بعد طولِ

---

(١) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٨٩ ـ ١٩٠).

(٢) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٩٠ ـ ١٩١).

حصار، فاقتحم قلعتها، وأخرج نصرة الدِّين منها، ثم قتله. وحتى النَّسوي على بُعْده عنه لم يسلم منه، فلم يراع خدماته لأبيه من قبل، فقابلها كما يخبرنا بألم: «بقتل من ظَفِرَ به من ألزامي، ونَهْبِ ما وجد من أسبابي، وكبس بيتي ممَّا جمعه إرثي واكتسابي»[1].

وهكذا وجد النَّسوي نفسه بين ليلةٍ وضحاها فاقدًا المال والوطن والحامي، فلم يبق له من دنياه إلا أن يمنح ولاءه للسُّلطان جلال الدِّين، مؤثرًا ملازمته على مَنْ سواه.

❀ ❀ ❀

ويرحل السُّلطان جلالُ الدِّين، في مسعاه لإعادةِ بسط نفوذِه على سائر بلاده، صوبَ أَذْرَبِيْجان، وما إن يقارِبَها حتى تَرِدَ على وزيره شرفِ المُلك كتبُ أهل مَرَاغة، حاثِّين السُّلطان على المسير إليها. فيسوقُ إليها، ويدخلها غير مدافع، ويقيم بها أيامًا، ومن هناك يوجِّه القاضي مجيرَ الدِّين عمر بن سَعْد الخُوارزمي رسولًا إلى سُلْطان السَّلاجقة في الأناضول، وملوك الشَّام ومِصْر من الأيوبيين بكتُبٍ تتضمَّن تملكه بلاد أَذْرَبِيْجان.

وفي ذلك النَّهار من سنة ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م يفوِّض السُّلطان للنَّسوي كتابة الإنشاء[2]، بإشارةٍ من وزيره شرف المُلك. وكان يلي ديوان الإنشاء والعَرْض ضياء المُلك علاء الدِّين محمد بن مودود النَّسوي، وهو من بيت رياسةٍ وفضل. وكان شرفُ المُلك يخشى أن يزاحمه على الوِزَارة، فرغب في إبعاده[3]. وربما كان النَّسوي يمنِّي نفسه بولايةِ قلعةٍ أو مدينة، وهو

---

(١) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٩١).

(٢) (ص١٤٨) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٩٤)، والكامل لابن الأثير (١٢/ ٤٣٢).

(٣) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٢٥١).

سليلُ أسرةٍ حاكمة، فلمَّا فُوِّض إليه ذلك المنصب، تولَّاه على كُرْه منه لذلك، استحقارًا له[1]. وضاق الأمر على ضياء الملك لعزله عن ديوان الإنشاء، فاستنابَ عن ديوان العرض المجدَ النَّيْسَابوري، وتولى وِزَارة نسا، فأقطعه السُّلطان بها ترضية له إقطاعات[2]. فسار إليها وقلبه يكاد يتميَّز من البُغْض للنَّسوي[3]. ولمس النَّسوي فيما بعد فوائد ذلك المنصب، وما يتيحه لصاحبه من مالٍ وجاه، فصار يقاتِلُ من يزاحمه عليه، على حدِّ تعبيره[4].

وتعزَّزت مع الأيام ثقة السُّلطان جلال الدِّين بالنَّسوي، فحين سار لفتح تِفْلِيْس؛ عاصمة الكُرْج سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م[5]، مَرِضَ النَّسوي في الطريق مرضًا شديدًا، تعذَّرت معه الحركة، وكان في جيش السُّلطان صاحبا سُرْمارَى، فأذن لهما بالعودة إلى بلدهما، وسار معهما النسوي للاستشفاء هناك. وقد أمرهما السُّلطان ألا يفتحا كتابًا يرد عليهما من ملوك الشام وسلاجقة الروم والكُرْج إلا بحضور النَّسوي ما دام معهما، وألا يحضر رسولٌ من تلك البلاد إلا وهو حاضر، وإلى ما يَرِدُ أو يصدر ناظر. وأقام النَّسوي في سُرْمارَى نحو سبعة أشهر مضطرًّا، لانقطاع طريقه إلى السُّلطان[6]، وتأكدت في تلك الإقامة صحبتُه مع أحدهما، وهو حسام الدِّين[7]. وكانت أخبار السُّلطان منقطعة عنه كذلك طوال تلك المُدَّة، وبينما كان ذاتَ يومٍ جالسًا والهموم قد ملكت عليه فكره، والأحزان

---

(١) (ص١٤٨) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٩٤).
(٢) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٢٥١).
(٣) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٢٥١).
(٤) (ص١٤٨) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٩٥).
(٥) «الكامل» (١٢/ ٤٥٠)، و«مفرج الكروب» (٤/ ١٨٥).
(٦) (ص١٦٢) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص٢١١).
(٧) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٢٩٨).

أخذت بجوامع سِرِّه إذ دخل واحدٌ من حاشية السُّلطان مبشِّرًا بقدومه إلى سُرْمارَى، فخفَّ النَّسوي مبتهجًا لاستقباله. وكان في سُرْمارَى ثلاثة من أسرى الكُرْج ومشاهير أمرائهم على وَشْك فدائهم بعشرين ألف دينار، فاستحضر السُّلطان النَّسوي، وأمره ألا يُمكِّن أحدٌ من إطلاقهم، قائلًا له: لو كنتُ أرغبُ في بيع عدوِّي لجمعتُ من الكُرْج أموالًا لا تأكلها النَّار[1].

❁ ❁ ❁

ولم يزل النسوي يترقَّى في خدمة السُّلطان جلال الدين حتى ولَّاه وِزَارة نَسَا، مشترطًا عليه أن لا يفارقه، مستنيبًا فيها من يثقُ به[2].

وكان النسوي هو مَنْ سعى لدى السُّلطان في إزاحة ضياء المُلك عنها، وقد رأى مبالغته في بُغضه، وأذيَّته لمن له أدنى تعلّق به من قرابة أو صداقة أو خدمة. فاستغلَّ قطع ضياء المُلك لما كان يحمله لخزانة السُّلطان، وأطمعه في تكثير أموال نسا، وتثمير أعمالها، فولَّاه السُّلطان وِزَارتها.

وعاد ضياءُ الملك من نسا معزولًا، وقد خسر منصبَيْه: ديوان الإنشاء، ثم وزارة نسا. فاتفق معه وزير السُّلطان شرف الملك على مساعدته للإيقاع بالنَّسوي وكان قد تغيَّر عليه. فبادر النَّسوي، حين علم بما يُكادُ له، إلى السُّلطان، فاختلى به، وعرَّفه بما عزما عليه. فانتصر له السُّلطان جلال الدِّين، وكانت عاقبة ضياء الملك أن خرج من مجلس السُّلطان مدحورًا مطرودًا، ثم ما لبث أن حُمَّ، ومات بعد أيام كمدًا وحزنًا. فهل استشعر النَّسوي من بعد أنه أخطأ بحقه حين قال: «اللَّهُمَّ ارض عنه وارض عنا، وتجاوز عنَّا فيما أخطأنا برحمتك»؟[3].

❁ ❁ ❁

(١) (ص١٦٣) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص٢١٣ ـ ٢١٤).

(٢) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٢٥٢).

(٣) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٢٥١ ـ ٢٥٢).

وتزداد منزلة النَّسوي رِفْعةً لدى السُّلطان جلال الدِّين، حتى صار يستشيره فيما يعرض له[١]، ويقبل شفاعته فيمن يَتَشَفَّع إليه من الأمراء[٢]. وعُرفت منزلته هذه حتى في بغداد، ففي السِّفارة التي أرسلها جلال الدِّين إلى دار الخلافة سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م، كان النَّسوي هو من أنشأ الكتاب الذي سَيُقْرأ بين يدي الخليفة المستنصر بالله[٣].

وفي جواب الخليفة للسُّلطان خُصَّ النسوي بالذِّكْر والخِلَع بعد السُّلطان والوزير مباشرة، ولم يُذكر أحدٌ غيره بالاسم من أصحاب الدِّيوان. وقد أثار عليه ذلك حقد الوزير شرف المُلك، وكانت علاقته به يعتريها الفتور حينئذٍ، لإعارته سمعه للوشاة ضده، فوجد بتخصيصه بالذِّكر مطعنًا. فلمَّا قرئ كتاب الخليفة بين يدي السُّلطان، قال الوزير: ما سببُ تقديم فلان ـ يعني: النسوي ـ على صاحب الدِّيوان؟ هلَّا سووا بينهما في الخِلْعة والإنعام؟ فانبرى السُّلطان مُدافعًا عن النسوي بقوله: السببُ في ذلك بيِّن، وذلك أنه يُحسن التأدُّب معهم في المُخاطبة، ويحفظ ما يتعلق بناموسهم في المكاتبة، ثم إنَّ رُسُلَهم شاهدوه عندنا بالحضور للمشورة، وليس صاحب الدِّيوان بهذه المثابة[٤].

ولفرط ثقة السُّلطان به صار يرسله في المُهمات الصَّعبة[٥]، ومنها سِفارتُه إلى علاء الدِّين؛ صاحب ألموت، لمطالبته بإعادة الخُطبة للسُّلطان، ودفع ما تبقى عليه من الإتاوة[٦]. وكان السُّلطان ناقمًا عليه، فشرط على النسوي أن لا يقبِّل يده عند الاجتماع به، وأن يخالف جميعَ ما يقتضيه

---

(١) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣١٣ ـ ٣١٥).
(٢) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٢٩٨، ٣٠٠).
(٣) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٠٥).
(٤) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٠٩).
(٥) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٣٦ ـ ٣٣٧).
(٦) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٣٧).

الأدب من التعظيم والاحترام في الجلوس وغيره[1]. وإن لم يستجب فسيدخل العسكر بلاده، فيُوسِعُها نهبًا وإحراقًا، وسَفْكًا وإرهاقًا.

فسار النَّسوي على كُرْه منه لتلك السِّفارة لخطورتها، وكان يُستقبل بحفاوةٍ في البلاد التي يمرُّ عليها، حتى دخل أصفهان في ٢٨ رمضان سنة ٦٢٧هـ/ ١١ آب ١٢٣٠م[2]، ومنها سار إلى قَزْوِين[3]، ثم دخل ألموت، واجتمع بعلاء الدِّين، وأدَّى رسالته إليه بما فيها من المُخاشنة[4].

وعلى خلاف المتوقع خَصَّ علاءُ الدِّين النسويَّ من سائر رُسُل السلطان إليه بمزيد من الاحترام، وخلع عليه خِلْعة سنية، وقال: هذا رجلٌ صحيح، والإحسان إلى مثله لا يضيع[5]. وهكذا نجح النَّسوي في سِفارته تلك، ووصفَ لنا من بعد بتفصيلٍ رائع وقائع اجتماعه بعلاء الدِّين[6].

❁ ❁ ❁

ويعود النسوي إلى قَزْوِيْن ومعه المالُ الذي تسلَّمه من ألموت، وهناك يبلغه الخبر بوصولِ التاتار إلى أَسْفَرَايين[7].

وكان السُّلطان جلال الدِّين ـ والنَّسوي في طريقه إلى ألموت ـ قد علم باتِّفاق علاء الدِّين كَيْقُباذ؛ سُلْطان سلاجقة الرُّوم، والملك الأشرف موسى بن العادل عليه، بعد استيلائه على خِلاط، فرأى أن يبادر إلى مهاجمتهم قبل أن يهاجموه[8]، ووقع القتال بينهم يوم السبت ٢٨ رمضان

---

(١) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٣٩).
(٢) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٣٧).
(٣) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٣٨).
(٤) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٣٩ ـ ٣٤٠).
(٥) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٤٢).
(٦) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٣٩ ـ ٣٤٣).
(٧) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٤٨).
(٨) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٢٩).

سنة ٦٢٧هـ/ ١١ آب ١٢٣٠م[١]، فتمت الهزيمة عليه[٢]، وعاد بجَمْعٍ متفرق وشَمْل مبدَّد ممزَّق. وبلغت هزيمته التَّاتار، فاغتنموا ضعفه وطلبوه[٣]، حتى وصلوا إلى أَسْفَرَايين. وانقطعتِ الطرق بسبب ذلك، فأظلم في عيني النَّسوي ضوءُ النَّهار، وهو بقَزْوين، ولا سِيَّما أن الخبر قد شاع بما يحمله من مالِ ألموت. فخاطر بنفسه، ولم يعرف حمَّامًا ولا بَرْدَ المياه إلا لِمَامًا إلى أن وصل إلى تِبْرِيْز، وكان السُّلطان جلال الدِّين بها[٤].

ومع السُّلطان يرحل النَّسوي إلى مُوقان، ليجمع بها ما تفرَّق من عساكره. وفي صُحْبته مجيرُ الدِّين يعقوبُ بن العادل، يلازمه في الطريق ويكلمه. فكان النَّسوي يرمق السُّلطان إذا ما غاب عنه مجيرُ الدِّين، فيرى دموعه تتحدَّر على خدَّيه، لِمَا يتوقعه من زوال مُلكه، ولمفارقته الأهل والأعِزَّة في تِبْرِيْز على يأسٍ من الاجتماع بهم، وتركه إياهم بالعَرَاء عُرْضة للأعداء دون حصنٍ يحميهم[٥]. فلمَّا وصل إلى قرية أرمينان، نزل للاستراحة، واستدعى النَّسويَّ، وأطلعه على كتابٍ ورد إليه من والي إحدى القلاع، يخبره فيه أنَّ عِدَّة التَّاتار القادمين نحو سبعة مئة فارس.

وقد سُرَّ السُّلطان بهذا الخبر، وخفَّ ما يشعر به من ثِقَلِ الهَمِّ. ولم يرتحِ النَّسوي لمضمون الكتاب، فحاول أن ينبِّه السُّلطان إلى أنَّ هؤلاء الفُرْسان قد يكونون طلائع جيش التاتار، ومُعْظم عسكرهم وراءهم. فلم يُعجبه ما قاله، إذ كان لا يرغب إلا في سماع ما يخفِّفُ الهمَّ عن قلبه.

---

(١) «الكامل» لابن الأثير (١٢/ ٤٨٩).

(٢) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٣١ ـ ٣٣٢)

(٣) (ص١٩٤) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٤٨).

(٤) (ص١٩٤) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٤٨ ـ ٣٤٩).

(٥) (ص١٩٥) من هذا الكتاب، «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٥٠ ـ ٣٥١).

وتابع السلطان طريقه إلى مُوقان، فوصل إليها، ووجد عساكره متفرِّقة، فأمر باستدعائهم على الفور[1]. وريثما يتمُّ ذلك اشتغل بالصَّيْد[2]، ولم يكن معه حينذاك إلا ألف فارس من خواصِّه. فنزل ليلة بقرب شيركيوت، وهي قلعة بُنيت على تلٍّ بمُوقان. وفي عسكره أحدُ التاتار، كان السُّلطان قد أبقى عليه، فلم يقتله، فأمر السُّلطان بالقبض عليه احترازًا من أن يقفز إلى التَّاتار، فيعلمهم بحاله، وتفرُّقِ عسكره، وسلَّمه للنسوي، قائلًا له: اصعد به إلى قلعة شيركيوت، فقيِّدْه بها، وسلِّمْه إلى واليها. وصَعِدَ النَّسوي به إلى القلعة، وكان الليل قد هجم، فباتَ فيها، وليس معه من أصحابه إلا ثلاثة، أما سائرهم وما كان معه من دوابّ ومالٍ فقد تركهم في المخيَّم.

وفي الصَّباح نزل النَّسوي إلى المخيَّم، فراعه صمتُه، إذ وجد الخيام عن أهلها خالية، والأمتعة مطروحة، فعلم أن المحذور قد وقع، وأن السُّلطان قد كَبَسَه التَّاتار ليلًا. فضاقتْ عليه الأرض بما رَحُبَتْ، ولم يدرِ هل كُتبت السَّلامة للسلطان؟ وعجَّل في مفارقة القلعة؛ لأنَّها لا تثبتُ على الحِصار[3]. فسار مخاطرًا بنفسه إلى بَيْلَقَان، متحقِّقًا أن طائفة التاتار التي كبستِ السُّلطان أمامه، ومعظم عسكرهم وراءه. وفي طريقه إليها اعترضه فرعٌ من نهر أرس، ووجد على جسره أغنامٌ للتُّرْكمان لا تُحصى كثرة، فلم يجد للعبور مسلكًا، فاقتحم بفرسه النهر حتى عبره، ووصل إلى ظاهر بَيْلَقَان. وهناك علم أنَّ الوزير شرف المُلك بها، ومعه حُرَم السُّلطان وخزائنه، فلم يرَ الاجتماع به، خوفًا على نفسه منه، لفتور العلاقة بينهما. وبرغم أنَّ له فيها جملة من الخيل والقُماش، فإنَّه حَسِبَها

---

(١) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٥١).

(٢) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٥٢).

(٣) (ص١٩٥ ـ ١٩٦) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٥٣ ـ ٣٥٤).

كأنْ لم تكن، وتابع سيره إلى كَنْجَة. ووصل التاتار إلى ظاهرها ثاني يوم وصوله.

وما حاذر النَّسوي منه قد وقع، فقد جاهر الوزير شرف المُلك بالعِصْيان، وقد رأى تغلُّبَ التَّاتار على البلاد، وانهزام السُّلطان[1]، فاعتقدَ أنَّ جفلته منهم ستنتهي به إلى الهند[2]. فقبض على أصحاب الدِّيوان ممن رافقه، وسجنهم وعذَّبهم، مطالبًا لهم بالأموال[3].

وأقام النَّسوي في قلعة كَنْجَة في بعض دور السَّلطنة بها ثلاثة أشهر يعاني القلق والأرق، خوفًا من غوغائها. وكان السُّلطان جلال الدِّين بماهان، ولا يمكن الوصول إليه إلا من طريق أَرَّان، وهي تموج بالتَّاتار. فلما انقضى الشتاء، وأقبل الربيع وردته رسالةٌ من السُّلطان تدعوه للمسير إليه، ولأنَّ العبور على أَرَّان متعذر، رغب إليه السُّلطان أن يأتيه عن طريق الكُرْج، فهم مخوَّلون بإيصاله إليه.

وحار النَّسوي في أمره، فهو لا يرى المسير إلى الكُرْج؛ لأنه لا يأمن غدرهم، وفي الوقت نفسه لا بُدَّ له من مغادرته كَنْجَة؛ لأنَّ أمارات الشَّر ظهرت من أهلها، ولا سيَّما تجاه من له علاقة بالدَّولة الخُوارزمية[4]. فجازف في سلوك طريق أَرَّان، متوكلًا على الله تعالى، يسير ليلًا ويستخفي نهارًا، ونيران التَّاتار تتراءى له على جانبَيْ طريقه حتى وصل بعد يأس إلى ماهان[5].

ومرة أخرى ما حاذر منه النَّسوي قد وقع، فبعد خروجه من كَنْجَة

---

(١) (ص١٩٦) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٥٤).
(٢) (ص١٩٨) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٥٧).
(٣) (ص١٩٨) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٥٤).
(٤) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٦٠، ٣٦١).
(٥) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٦١).

أعلن أهلها العِصْيان، وقتلوا من بها من الخُوارزمية، وحملوا رؤوسهم إلى التَّاتار[1].

ويلتقي النسوي أخيرًا السُّلطان جلال الدِّين بعد طول مشقة وغياب، فيسأله السُّلطان عن أحوال أَرَّان، فيعلمه النسوي أنها تموجُ بالتاتار، وبالأمس كان على مقربة من نيرانهم. ويبثه السُّلطان ذات نفسه، وما ظهر في أيام الشدائد من خفايا البواطن، مشيرًا بذلك إلى عصيان وزيره شرف المُلك.

ثم يستدعيه السُّلطان عصر ذلك النَّهار، وعنده طائفة من خواصِّه، وكان قد وقع اختيارُهم على النَّسوي، لإرساله إلى أَرَّان، ليجمع ما تفرَّق من العساكر، ويحشد التُّرْكمان. لأن السُّلطان سيسوق بهم عند اجتماعهم إلى كَنْجَة، وينازل التاتار في ظاهرها، فإما النصر وإما الهزيمة. والتفت السُّلطان إلى النَّسوي قائلًا: إننا نريد من يمشي إلى التركمان، فيستميل قلوبهم في هذا الوقت، ولا يطمع في مالٍ أو منال، ولست أثق بمن حولي أن يفعلوا ذلك. وفهم النَّسوي أنَّه المُراد للقيام بهذه المهمة الخطرة، فقال للسلطان بشجاعة، مشيرًا إلى موافقته: ما مَثَل الخدم والمماليك إلا مَثَل العُدَّة، فتارة تتكسَّر، وتارة تسلم.

وفي سواد الليل المُدْلهم يرحل النسوي إلى جبال التُّرْكُمان، وما هي إلا أيامٌ حتى يعود إلى معسكر السلطان ناجحًا في مهمته، فقد سبقه التركمان إليه أرسالًا، وعاد للمعسكر رونقه المألوف، وماج بالألوف، على حدِّ تعبيره[2]. ولمَّا سمع التاتار باجتماع التركمان تراجعوا في معظم جموعهم من أَرَّان إلى معسكرهم بأوجان[3].

---

(١) (ص١٩٦) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٦٠، ٣٦٩).

(٢) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٦٢).

(٣) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٦٢ ـ ٣٦٣).

ويرسله السُّلطان في مهمة أخرى مع حاجبه الخاص إلى كَنْجَة، ليدعو أهلها إلى الطاعة. فينزل قريبًا منها، ويقيم بتخومها، ويكاتبهم محذِّرًا من عواقب العِصْيان. فلم يسمعوا لقوله. ولم يلبث السلطان أن يصل إليها، ويَعِدَ أهلها ببذل الأمان لهم والوعد بالعفو والإحسان. فصمُّوا آذانهم عن وعوده[1]، بل وخرجوا إليه مقاتلين. فما كان منه إلا أن حمل عليهم في كتيبةٍ من خواصِّه، فبدَّد شملهم، ودخل المدينة، وقتل رؤوس الفتنة فيها.

وأقام السُّلطان بكَنْجَة سبعة عشر يومًا ينتظر ما يُسْفر عنه التدبير، حتى اتفق الأمراء على المسير، وأجمعوا أمرهم على الاستنجاد بالملك الأشرف موسى على التاتار[2]. فسار السُّلطان إلى خِلاط، وهو يتابع رسله إلى الملك الأشرف بدمشق مُسْتنجدًا، وهيهات أن ينجده وقد تقاتلا بالأمس، فما كان من الأشرف، دفعًا للحرج، إلا أن نأى بنفسه متوجِّهًا إلى مِصْر[3].

❁ ❁ ❁

وكان السُّلطان جلال الدِّين مذ كَبَسَ التَّاتار معسكره في مُوقان يسعى جاهدًا للتحالف مع عدوِّ الأمس الملك الأشرف موسى بن العادل لإنجاده على التاتار، فليس يردُّهم، كما بات يعتقد أخيرًا، إلا اجتماع الأمة، واتفاق الكلمة. ولذلك أرسل إليه أخاه مجيرَ الدِّين يعقوب بن العادل. وكان النَّسوي على يأسٍ من نجاح مسعاه؛ لأن من العجائب ـ كما قال ـ انتصاره بقلبٍ جَرحه بصوارمه، واستظهاره بجناحٍ بَتَّ بيده مصفوف قوادمه[4].

فلمَّا أيس السُّلطان من إنجاد الأشرف موسى له، رأى أن يرسل

---

(١) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٦٩).

(٢) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٦٩ ـ ٣٧٠).

(٣) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٧١).

(٤) (ص١٩٧) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٥٥).

النَّسوي إلى أخيه الملك المُظَفَّر شهابِ الدِّين غازي بن العادل؛ صاحبِ مَيَّافارِقين، ليستحضره بنفسه وعساكره، ومَنْ حوله من الملوك مثل صاحبي آمِد ومارِدِين، قائلًا لأمرائه: عند حضورهم لا حاجة إلى نجدة الأشرف. ثم التفت إلى النَّسوي بقوله: قل للملك المظفر هُلمَّ إليَّ مساعدًا، وفي حادثة التاتار معاضدًا، فإن الله جلَّ ذكره إن كان ينصرني عليهم ملَّكتك من البلاد ما ترى خِلاط ونواحيها، التي حسدك أخوك عليها، في قُبالتها نَزْرًا، ولم تجد لها عندي قدرًا[1]. ولمَّا خلا السُّلطان بالنَّسوي أسرَّ إليه أنه لا ينتظر نجدة من المظفر، وإنما يريد أن يقطع طمع أمرائه بنجدته، كي يتفقوا على المسير إلى أصفهان[2].

ويؤدِّي النسوي الرِّسالة، ويبدي الملك المظفر ـ كما هو متوقع ـ اعتذاره عن إنجاده، قائلًا له: ما أنا مستقلٌّ برأيي، بل معدودٌ في جملة نُوَّاب إخوتي، فكيف يمكنني إنجاد السُّلطان إلا بأمرهم؟ وأما صاحبا آمِد ومارِدِين فلا يسمعان مني، ولا يمتثلان أمري[3].

وإلى مَيَّافارِقِين يرد خبرٌ بأن التَّاتار يتتبَّعون آثار السُّلطان، وأنهم قد عَبَروا على نواحي خِلاط، ولا بُدَّ أنَّهم ملاقوه، فيقترح الملك المظفر على النسوي أن يقيم عنده لينظر ما يكون. فيتمثل النسوي قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٩٥]. ثم يقول: إنني لستُ بأعزّ من السُّلطان، ولا ممن اختار الحياة بعده. ثم يردف وهو يودِّعه: لا بُدَّ من إحدى الحالتين، إما للسُّلطان أو عليه، وأيًّا ما كانت تُعْقِبُكُم نَدَامة، وتُورِثُكم مَلامة. فيتساءل الملك المظفر: كيف ذاك؟ فيقول النسوي: إنْ كانت للسُّلطان، وقد قعدْتُم عن

---

(١) (ص٢٠٢ ـ ٢٠٣) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٧٢).

(٢) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٧٢ ـ ٣٧٣).

(٣) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٧٣).

نُصْرته، فلو بذلتم خزائنَ الأرض في طلب مرضاتِه لم ينفع، وإن كانت عليه فستذكرونَه حين تُبلون بمجاورة التَّاتار. فيجيبه الملك المظفر: كلامٌ لا أشكُّ في صِحَّته، لكني محكومٌ عليَّ[1].

ويفارق النَّسوي ميَّافارِقِين صوبَ حاني ـ وكان السُّلطان جلال الدِّين يقيم آنذاك على حدود جبل جور ـ وفي طريقه إليها ينزل النَّسوي قبيل المغرب بقريةٍ تسمى المغارة، لتستجمَّ الخيل، استعدادًا لسُرَى الليل، فتأخذه سِنَةٌ من النوم، يرأى فيها كأنَّ رأسه في حِجْره، وكأنَّ شعر رأسه ولحيته قد احترقا.

ويعبِّرُ منامه وهو نائم، فيقول: الرَّأس السُّلطان، فكأنه يعدم ولا يسلم، واللحية مما يتعلق بالحُرَم، فكأن جواريه تؤسر، وشعر الرأس دليل المال، فكأنه يتلف. فيهوله ما رأى، وينتبه من النوم مذعورًا. ويتابع رحلته إلى حاني، وقد أمسك الكمدُ بأنفاسه، فيلزم الصمت طوال الليل إلى أن يصل إليها، فيجد أثقال العسكر ونساءهم نازلة بأوديتها، ويخبره أحدُهم بأنَّ السُّلطان جلال الدِّين علم بوصول التَّاتار، فخرج يكمُنُ لهم في جبل جور.

فيتجه النَّسوي إليه على الفور، فيصادفه في الطريق عائدًا إلى المعسكر. فيسأله السُّلطان عما أجاب به الملك المُظَفَّر شهاب الدِّين غازي، فيورد النسوي عليه جوابه، ويُعلمه بعبور التَّاتار نحو خِلاط. فيطمئنه السلطان قائلًا: أُعْلمتُ أنَّ هؤلاء التاتار قد رجعوا. فيتساءل النَّسوي باستغراب: لِمَ يعودون بعد ركوبهم على نية الالتقاء؟ فيقول السُّلطان: كأنَّ القوم قد ركبوا ليلتقونا ببلد خِلاط، فحين علموا بتوسُّطنا البلاد الشَّامية، واعتقدوا اتفاقهم معنا رجعوا. وينقطع حبلُ الحديث بينهما، ويبقى النسوي على استنكاره لرجوعهم، واستبعاده لعودهم[2].

---

(١) (ص٢٠٣) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٧٤).

(٢) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٧٤ ـ ٣٧٦).

ويجمعُ السُّلطان الأمراء، ويستعيد النسويَّ جوابَ الملك المظفر شهاب الدِّين غازي، فيعيد عليهم ما سمعه، ثم يقول لهم: إنَّكم تضربون في حديدٍ بارد، فما من منجدٍ ولا مساعد. فيتفق رأي الأمراء حينئذٍ على أن يتركوا أثقالهم بديار بكر، ويتجهوا خِفافًا بنسائهم وأولادهم إلى أصفهان، كما يرغب السُّلطان.

وبينما هم على عزم ذلك يقدم على السلطان رسولُ صاحب آمِد عارضًا عليه الطاعة، ومزيِّنًا له قصدَ سلاجقة الرُّوم، والاستيلاء على بلادهم، ليتقوَّى بها على مواجهة التَّاتار. وكان بين صاحب آمد وسُلْطان سلاجقة الرُّوم علاء الدِّين كَيْقُباذ عداوة. فيميل السُّلطان إلى كلامه، ويعدل عمَّا نواه من المسير إلى أصفهان، ويتَّجه صوب آمِد، وينزل على جسر بقربها. فكان كالغريق يتعلَّق بما تصل إليه يدُه، على حدِّ تعبير النَّسوي[1].

ويطمئن السُّلطان في تلك الليلة، لاعتقاده برجوع التَّاتار عنه، فيشرب حتى يسكر، وينال من سُكْره دُوارُ الرَّأس. ويأتيه في منتصف الليل رجلٌ تُرْكماني يقول له: قد رأيتُ في مخيَّمك الذي كنت فيه بالأمس عسكرًا زِيُّهم غير زِيِّ عسكرك، بخيلٍ أكثرُها شُهْب. فلا يلتفتُ السُّلطان إلى قوله، بل يكذبه، قائلًا له: هذه حيلةٌ ممن لا يرغب في توسُّطنا هذه البلاد. وقضى ليله منتشيًا بالخمر إلى قريب الفجر، وإذا بالتَّاتار، مع غَبَشِ الصَّباح، يحيطون به وبعسكره. وكان النسوي قد قضى ليلته تلك في الكتابة، وغلبه النَّوم في أخرياتها، فلم يشعر إلّا بصوتِ غلامه ينبهه، ويقول له: قم فقد قامت القيامة. فينتبه فَزِعًا، ويلبسُ على عجل، ويخرج سريعًا، تاركًا في خيمته ما ملكه جميعًا[2]، لا يرى الغنيمة إلا النَّجاة بنفسه. فما إن استوى على فرسه حتى رأى كتائبَ

---

(١) (ص٢٠٤) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٧٧ ـ ٣٧٨).

(٢) (ص٢٠٤) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٧٨).

التَّاتار قد أحاطت بخيمة السُّلطان، وهو نائمٌ سكران، وإذا بأحد قادته يصلُ إليه مع عساكره، فيحمل على التَّاتار، ويُبْعدهم عن خيمة السلطان، ويدخل بعضُ الخواص، فيأخذ بيده، ويُخرجه وعليه طاقية بيضاء، ويُركبه الفرس، فيعدو مبتعدًا به[1].

❁ ❁ ❁

وكانت تلك آخرَ نظرةٍ يلقيها النَّسوي على سُلْطانه، يفترق عنه بعدها، ليتوارى خائفًا في بعض المغارات، متربِّصًا فيها ثلاثة أيام. ثم ترميه الجَفْلة إلى آمِد، فيقيم فيها شهرين ممنوعًا من الخروج. ثم منها يسير، تتجاذبُه أيدي الغربة[2]، إلى إرْبِل، ثم إلى أَذْرَبِيْجان[3]، متحسِّرًا على مكتبته النَّفيسة التي خلَّفها بقلعته[4]. وفي تشرده ذاك يعاني من مصائب شتى ونوائب تترى، على حدِّ تعبيره. وفي كلِّ بلدٍ كان ينزلُ به تقرع أسماعَه أماني غرور ينسجها الودُّ والولاء، مُرْجفةً بأن السُّلطان باقٍ، وأنه يجمع ويحتشد لملاقاة التاتار. ويصلُ أخيرًا إلى مَيَّافارِقِين بعد مشقةٍ وبؤس، فقيرًا عاريًا إلا من أسمال، وهناك يتيقن هلاك السُّلطان[5].

ويحدِّثه عن ساعاته الأخيرة ممن كان مع السُّلطان في ذلك الصَّباح البائس: فقد ساق السُّلطان جلال الدِّين إلى آمِد والتَّاتار خلفه، وكانت آمِد قد تشوَّشت، وظنَّ أهلها أنَّ الخُوارزمية أرادوا الغدرَ بهم، فلمَّا وقف السُّلطان قرب سورهم ضربوه ورموا الحِجارة عليه، وردُّوه. وحين أيس

---

(١) (ص٢٠٤) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٧٩).

(٢) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص١١١).

(٣) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٨١).

(٤) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص١١١).

(٥) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٨١).

من دخولها، اتَّجه يسارًا، وقد انضوى إليه من جنودِه نحو مئة فارس. فاضطرَّته الجَفْلة بهم إلى مضايق صَعْبة المسالك، فارتدَّ على آثاره إلى قريةٍ من قرى مَيَّافارِقِين، ونزل ببيدرها، وهناك فارقه أكبرُ قواده جُبْنًا منه وخَوَرًا. فبات السُّلطان بالبيدر مُسْتترًا برداء الليل، حتى طلع عليه التاتار مع الفجر، فامتطى فرسه على عَجَلٍ، وعُوجل أكثر من معه عن الرُّكوب، فقتلوا[1].

وجدَّ التَّاتار في طلبه، وقد أخبرهم أحدُ الأسرى أنَّه هو السُّلطان. فساق وراءه خمسة عشر فارسًا منهم، ولحقه فارسان فقتلهما، وأيس الباقون من الظفر به، فرجعوا. فصَعِدَ السُّلطان الجبلَ وحيدًا إلا من سَيْفه وفرسه، وكان فيه أكراد يسلبون من يمرُّ به، فأخذوه وسلبوه كعادتهم بسائر من يظفرون به. وحين همُّوا بقتله، همس السُّلطان إلى كبيرهم قائلًا: إنني أنا السلطان فلا تستعجل في أمري، ولك الخِيار في إحضاري عند الملك المظفر شهاب الدِّين، فيغنيك، أو إيصالي إلى بعض بلادي فتصير مَلِكًا.

فرغب الرَّجل في إيصاله إلى بلاده، ومشى به إلى عشيرته، فتركه عند امرأته، ومضى وحده إلى الجبل لإحضار خَيْله. فبينا الرَّجل غائب، إذ وافى شخصٌ كرديٌّ من السَّفِلة الأراذل، وبيده حربة، فقال للمرأة: ما هذا الخُوارزمي، وهلَّا تقتلونه؟ فقالت: لا سبيل إلى ذلك، وقد أمَّنه زوجي وعرف أنَّه السُّلطان. فقال الكُرْدي: كيف تصدِّقونه بأنه السلطان؟ وقد قُتل لي بخِلاط أخٌ خيرٌ منه. فضربه بالحربة ضربة كان فيها مصرعه[2]. وذلك في منتصف شوَّال سنة ٦٢٨هـ/ ١٦ آب ١٢٣١م[3].

ويجتاحُ قلبَ النَّسوي حزن وغيظ، وهو يسمع هذه النهاية البائسة

---

(١) (ص٢٠٥ ـ ٢٠٦) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٧٩ ـ ٣٨٠).

(٢) (ص٢٠٦) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٨١ ـ ٣٨٢).

(٣) (ص٢٠٨) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٨٥).

لسلطانه بعد بطولاته ومعاركه[1]، فلربما كاد يختنق ببكائه، وهو يقول: «فكرهت حياتي، ولمتُ القدر على نجاتي، فظللت أتنفس الصُّعَداء، وأقول: ليتَ ربَّ محمدٍ لم يخلق محمدًا. ولو أنَّ في الآجال حيلة قاسمته عُمْري»[2].

❁ ❁ ❁

ويقيمُ النَّسوي في مَيَّافارِقِين، في كَنَف صاحبها الملك المظفر شهاب الدِّين غازي بن العادل[3]، وهناك يقف على كتاب «الكامل» لعلي بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير، فيعكفُ على قراءته، لِمَا يتضمَّنه من أحاديث الأمم عمومًا، وغرائب أخبار العَجَم خصوصًا. فيعجب، على بُعْد بلاده، لدِقَّته وتحرِّيه الصواب فيما يورد من أخبارهم، ويرى أنه قد أنصف بتسميته كاملًا، ولا يستبعد ظفره ببعض تواريخهم المؤلفة بلغتهم، وإلا فما أودعه في كتابه أكثر من أن يُتلقف من أفواه الناس.

وتفضي به مطالعته إلى ما تضمَّنه من أخبار السُّلطانين علاء الدِّين محمد بن تُكُش، وابنه جلال الدين مَنْكَبُرْتي، فيجده قد ألمَّ بسيرتهما، ولم يتجاوزِ الصِّحَّة في أخبارهما إلا قليلًا، فيقول: لله در مقيم بديار الشام، دعته همته إلى ضبط ما حدث بأعالي بلاد الصين، وأعماق بلاد الهند[4]. فتتحرَّك همته، وهو الأسيف، إلى تدوين حادثة التَّاتار، تلك الطامَّة الكبرى، التي هجمت فطمَّت عليه وعلى بلاده[5]، وما عاناه

---

(١) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٨٢).

(٢) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٨١).

(٣) «التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان» (ص٦٢).

(٤) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٤ ـ ٣٥).

(٥) (ص٥٣) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٧).

السُّلطان جلال الدِّين في قتالهم حتى مقتله، وقد عايشه في تلك السَّنوات العِجاف، وخَبَرَ أحواله بين مليكٍ مطاع، وطريد مرتاع[1]. وما كان له أن يمسك بالقلم لولا أنَّ أمواج الحوادث رمته إلى شاطئ النجاة، وقد شَمِلَ الغرقُ عامَّة رُفقائه، فتصدَّى لما تصدَّى له مع قريحةٍ قريحة، وفكرةٍ عليلة، ومُزْجاة من بضاعة الكتابة قليلة، على حدِّ تعبيره[2]. آخذًا على نفسه أن يكتبَ ما شاهده هو بنفسه، أو سمعه ممن شاهده[3]. ويشرع في مؤلفه سنة ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م[4]، ويسمِّيه «سيرة السُّلطان جلال الدِّين مَنْكَبُرْتي»[5].

ولحُبِّه لسُلطانه رأى أن يعتذر للقارئ عما في سيرته من هَفَوات، فقال فيه: «وكان حليمًا لا غضوبًا ولا شتَّامًا، وقورًا لا يضحك إلا تبسُّمًا، ولا يكثر كلامًا. وكان يحبُّ العدل، غير أنه صادف أيام الفِتْنة

---

(١) (ص٥١) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٥).

(٢) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٧).

(٣) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٥).

(٤) (ص٢٠٥) من هذا الكتاب، و«سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٧٩).

(٥) منكبرتي، هكذا ورد اسمه في الأصل: بالتاء، أينما ورد، وكتبه محقق (ن): منكبرني ـ بالنون ـ وهو ما كان رجحه أحد الباحثين. وذكر عباس العزاوي أن معنى منكبرتي: عطاء الخالق، أو عطاء المنعم، وهو ما يرجح أنه بالتاء، والله أعلم. ينظر: «التعريف بالمؤرخين» (ص٦٣).
وثمة كتاب آخر في الموضوع نفسه بالفارسية بعنوان: «نفثة المصدور في فتور زمان الصدور وزمان صدور الفتور» تأليف الخواجة شهاب الدين محمد الزيدري الخراساني، منشئ السلطان جلال الدين منكبرتي، كتبه سنة ٦٢٢هـ. فهل الزيدري هذا هو نفسه شهاب الدين النسوي، كما ذهب إلى ذلك بعض الباحثين؟ أرجو أن يسفر بحث المختصين المتقنين للغتين الفارسية والعربية عن جلاء هذا الغموض. ينظر: «مختصر سلجوق نامة» (ص٢٦٥)، و«التعريف بالمؤرخين» (ص٦٣ ـ ٦٧).

فغلب، ويحبُّ الترفيه على الرَّعية لولا أنه ملك في زمان الفترة فغضب»[1].

ولا ندري متى فارق النَّسويُّ ميافارقين، ليلتحق بخدمة أمير الخوارزمية بركة خان، فلما قتل في أول محرَّم سنة ٦٤٤هـ/ ١٩ أيار ١٢٤٦م[2]، أقام في حلب، وتقدَّم عند صاحبها الناصر يوسف بن العزيز محمد. وبعثه النَّاصر رسولًا إلى التَّاتار مرارًا، وفي آخر سِفارة له عاد إلى حلب، ووافته المنية فيها سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م[3]

وطُوي ذلك العصر بمآسيه وأحزانه، وأعقبته عصورٌ انقضت هي الأخرى بمآسيها وأفراحها، فهل كان النَّسوي في انكبابه على كتابة سيرة السُّلطان جلال الدِّين، ممن يؤمن بأنَّ قارئ التَّاريخ في زمن المِحَن، لا بُدَّ أن يستسلم أخيرًا للأمل؟

ـ ٤ ـ

وكان اعتمادي في تحقيق هذا الكتاب على نسخة مصوَّرة في معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، عن نسخة في مكتبة العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بتونس، برقم (١٢٨٢) تاريخ.

وهي نسخةٌ جيدة، متقنة الخط، تقع في (٥٢) ورقة، لا يعيبها إلا طمسٌ في الورقة (٤٣)، أتى على ستة أسطر منها. نسخها أحمدُ بن حسن؛ نزيل بيت المقدس الشريف، وفرغ من نسخها في ١٨ شوال سنة

---

(١) «سيرة السلطان جلال الدين» (ص٣٨٤).

(٢) «المذيل على الروضتين» (٢/ ٧٩).

(٣) تردد العلامة خير الدين الزركلي في سنة وفاته، فأثبتها في ترجمته سنة ٦٣٩هـ، ثم قال في الهامش: وقد تكون وفاته سنة ٦٤٧هـ، ينظر: «الأعلام» (٥/ ٣٢١). وما أثبته هو الأقرب للصَّواب، وهو ما ذكره عباس العزاوي في كتابه «التعريف بالمؤرخين» (ص٦٢).

٧٣٤هـ، كما جاء في ورقتها الأخيرة. ثم قابلها بأصل أبي شامة بخطه الحافظُ المحدِّثُ الفقيه صلاح الدِّين خليل بن كَيْكَلَدي العلائي الدِّمَشْقي، وهو من كبارِ علماء عصره، ولد سنة ٦٩٤هـ، وتوفي في بيت المقدس سنة ٧٦١هـ[١]، وعليها خطه، فقد كتب في ورقتها الأخيرة: «بلغ مقابلة على أصله بخط مؤلفه رَحِمَهُ اللهُ، كتبه ابنُ العلائي».

وفي صفحة غلافها مطالعات، منها باسم عبد الله بن محمد بن علي بن محمد الزَّكي. وبيتُ الزَّكي من بيوتات دمشق علمًا وفقهًا في ذلك العصر، وُلُّوا القضاء فيها كابرًا عن كابر. ولم أقف على ترجمة عبد الله، ولعله أحد حَفَدة قاضي دمشق محيي الدين أبي المعالي محمد بن علي، المتوفى سنة ٥٩٨هـ، وصاحب الخطبة المشهورة في المسجد الأقصى سنة ٥٨٣هـ لما فتح صلاح الدين بيت المقدس الشريف[٢].

وعلى صفحة غلافها كذلك خَطَّ أحمد عارف اسْمَه، وهو الفقيه القاضي المؤرِّخ أحمد عارف حكمة، المتوفى سنة ١٢٧٥هـ/١٨٥٨م، صاحب المكتبة الشهيرة، الموقوفة بالمدينة المنورة. ووقف عليها العلامة خير الدِّين الزركلي، ومنها أثبت خط عارف حكمة حين ترجم له في كتابه الماتع «الأعلام»[٣].

وهذه النسخة في متنها أقرب ما تكون إلى نسخة المتحف البريطاني من سائر النسخ التي اعتمدتْ في تحقيق طبعة موسكو، ولعلها أخت النُّسخة الأم التي بنى عليها أبو شامة اختصاره هذا.

---

(١) تنظر ترجمته في: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (١٠/ ٣٥ ـ ٣٨)، وفيه مصادرها.

(٢) تنظر ترجمة أبي المعالي في: «المذيل على الروضتين» (١/ ١٢٣ ـ ١٢٥)، و«كتاب الروضتين» (٣/ ٣٨٤ ـ ٣٩١).

(٣) الأعلام (١/ ١٤١).

وعلمتُ أن لكتاب «نزهة المقلتين» نسخة أخرى في المغرب، في الخزانة العامة بالرباط، برقم (٢٥١). لم يتسنَّ لي الوقوف عليها.

❁ ❁ ❁

وأما النهج الذي سلكته في تحقيقه؛ فهو:

١ ـ اعتمدتُ ـ كما ذكرتُ ـ على نسخة العلامة محمد الطاهر بن عاشور، وأشرتُ إليها في الحواشي بالأصل.

٢ ـ قابلت هذا المختصر بأصله، وهو «سيرة السُّلطان جلال الدِّين منكبرتي»، في طبعة موسكو، لاعتماد محققها على عِدَّة نُسَخ ـ كما ذكرتُ ـ ورمزتُ لها بالحرف (ن)، وعليها أحيل في ذكر فروق النسخ في الحواشي.

٣ ـ تتبَّعْتُ بعض الأخطاء التي وقع فيها محققا «سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي» في طبعتَيْ القاهرة وموسكو، ممَّا لا يحسن السكوت عنها، ورمزتُ لطبعة القاهرة بالحرف (ق).

٤ ـ شرحتُ ما وقع في الكتاب من غريب اللغة شرحًا موجزًا، يضيء المعنى، ويقربه لفهم القارئ.

٥ ـ ترجمتُ لما ورد فيه من أعلام، مما أمكنني الوقوف عليها.

٦ ـ أحلت في بعض الأخبار على موارد أخرى لها، زيادة في توثيقها.

٧ ـ نبَّهت على الأوهام التي ندَّت عن أبي شامة في اختصاره، أو عن النَّسوي في تأليفه.

٨ ـ صنعتُ فهرسًا للكتاب، يضمُّ فهرسة الأعلام، والأماكن، والمصطلحات، والوقائع والأحداث.

وخِتامًا..

اللهَ أسأل أن يوفِّقني لصالح الأعمال، ويدَّخرَها لي في صحائفِ حسناتي، يوم لا ينفع بنون ولا مال، هو حَسْبي ﷻ، ولا مولى لي سواه.

دمشق في ١٤ محرم الحرام ١٤٣٦هـ
٦ تشرين الثاني ٢٠١٤م

نزهة الفضلين
في سيرة الدولتين العلايه والجلاليه
وما كان فيهما من الوقايع التاتاريه
جمعها الفقير إلى الله تعالى عبد الرحمن بن اسماعيل
بن ابراهيم التنايغي عفا الله عنه على سبيل
الاختصار من كتاب المسمى الفاضل شهاب الدين
محمد بن احمد النسوي
رحمه الله تعالى
صاحبه اليد
احمد المنصوري
تامله مدرار المدعو
احمد عارف
الحمد لله
طالعها أنا فقير عفو الله عز وجل
محمد الفقي التاضحي المظلوم
صلى الله تعالى على عبده
تم الظاهر ابات ماسور
طالع في هذا الكتاب داعيه الله الاحد الفقير الى رحمة الله تعالى محمد
الصباغ مقاطعة اباسه
في قرية ابيح
ومولده

صفحة الغلاف

الورقة الأولى

ثم وارد في منهد العابدين ذلك الدير فاستحيوا من الكنيسة
وارتحلوا انه بحر لدى العجب رفيق الحسين في الحسنين
لطف الله تعالى بخروج العسكر المجتمع ملكهم
النزل في حلق عظيم فالتقوا بعسكر التتار بارض البشام عند
عين الجاذب وما قاربا فهزمهم المسلمون وقتلوا صبر
واخذوهم وقتلوا ملكهم واسروا ابنه وذلك يوم الجمعة
الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وستمايه
ورحلوا الغنايم من بلد دمشق من نواب التتار فانهزموا المسلمون
ولم يشعروا الناس بسبب من بينهم ثم عطفوا فتبعوهم فهبوهم وكسروهم
من ظفر به منهم وكان ذلك فتحا مبينا ونصرا عزيزا
نشأ به الاسلام فسبحان من بيده مقاليد الامور
انهم كسروا واهلكوا بايسر حديث من النزر وقلت يا ذل
غلب التتار نحيل البلاد فجاءهم من سيرتوكي يجود بنفسه
بالشام اهلكهم وبدد شملهم ولكل شئ آفة من جنسه
ثم قتل رحمه الله بعد هذه الكسرة الشنيعة وقعها وعم نفعها بحمو من
سهرف ثم ان التتار المنهزمين تجمعوا وهموا بالرجوع الى البلاد
الشامية فكسروا كسرة اخرى عظيمة بارض حمص في اول سنة تسع
وخمسين وستمايه وذلك ايضا يوم الجمعة خامس محرم وهو يوم عاشوراء
طائفة منهم وطيف نجا في اسواق دمشق فذلوا بعد عزتهم الكثيرة

وطمع المسلمون بعدهم واستقل اليهم ما كان عند المسلمين من الحرب منهم ثم
مات ملكهم الاكبر وغلب على بلادهم منهم الملك بركة وكان يقاتلهم
فنشأ من دين الاسلام ولمة من خالفه من كفرة التتار ما زالوا
يردد الينا من اخبارهم ما ينبغي سمعه ويعم نفعه والله تعالى يديم
نصره للمؤمنين وجمع من توافقت من ملوك المسلمين
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
وحسبنا الله ونعم الوكيل

سوال المبارك سنة اربع وتسعين

عيد الفطر يا الله تعال اجعله حسن نيل ما تتقبل الشريف
تقبل الله تعالى منه صالح العمل

بلغ مقابلة على اصله
بخط مؤلفه رحمه الله تعالى
كتبه ابن الطيلسان

وسنة الطلب

قال المؤلف وقلت ايضا

ولعل شي افه من جنسه حتى البعوض
من بعد ما قهروا العباد مساعد الهم القدر
والمسلمون استقاموا وتيقنوا ان لا وزر
ما كان من احد توهمه ولا ملك يصر
والحمد لله رب العالمين والحمد اعتلا دين الاله وظهر

نجاتهم من ترك مصر عساكر مثل اللجم
قتلوا وبدد شملهم بالشام في هذا يعبر
ونحاذلت عجم الملوك فاعجب لها حبر
واكم قهر عزيز مثل ذا العصر
لكن يا الملك المظفر حده كان الظفر

نزهة المقلتين في سيرة الدولتين

العلائية والجلالية

وما كان فيهما من الوقائع التاتارية

جمعهما

عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم الشافعي

المعروف بأبي شامة

٥٩٩ هـ - ٦٦٥ هـ

على سبيل الاختصار من كتاب المنشئ الفاضل

شهاب الدين محمد بن أحمد النسوي

عدة شعة فاتلها بأصل أبي شامة بخطه المانظ ابنه العلائي

حققه وعلق عليه

إبراهيم الزيبق

بسم الله الرحمن الرحيم،
وهو حسبي، وبه [ثقتي][1]

الحمدُ لله على جميع النِّعَم، الذي عافنا مما ابتلى به غيرَنا من الأُمَم، ونسأله دوامَ العافية، وأن يوفِّقَنا لطاعته سرًّا وعلانية، ويجعَلها في أعقابنا كلمة باقية، إتمامًا للفَضْل والكَرَم. وصلَّى الله على أفاضل خَلْقه، وهم الملائكة المقرَّبون، والأنبياء الأكرمون، وعلى آلهم الطَّاهرين، وأصحابهم الأصفياء، وأتباعهم البَرَرَة الأتقياء، وسَلَّم وشَرَّف وكرَّم.

أما بعدُ، فإني جمعتُ في كتابين؛ مطوَّلٍ ومُخْتصر، ما كان في زمن آبائنا من مناقب سُلْطانين جليلَيْن متتابعَيْن ببلادِنا الشَّامية، جمعتُ فيهما من أخبارهما ومآثرهما ما غبَّر في وجوه مَنْ قبلَهما من الملوك، فكيف مَنْ بعدَهُما؟ فسقى الله عهدَهما. وسمَّيْتُ الكتابَ المطوَّل بـ«الرَّوضتين في أخبار الدولتين النُّورية والصَّلاحية»، والآخر مختصره[2].

---

(١) بياض في الأصل، وما بين حاصرتين زيادة من عندي، ظنًّا لما كان، والله أعلم.

(٢) من فضل الله تعالى عليَّ أن وفقني لتحقيق «كتاب الروضتين في أخبار الدولتين»، وصدر في خمسة أجزاء، عن مؤسسة الرسالة في بيروت، سنة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
أما مختصره، فهو «عيون الروضتين» كما سماه المحدِّث الشيخ خليل بن كيكلدي بن عبد الله العلائي، وقد بيَّنت ذلك في كتابي «أبو شامة مؤرخ دمشق =

ثم إنِّي أردتُ الوقوفَ على أخبار ملكَيْ بلاد العَجَم في زماننا اللَّذين قهرا العباد، ثم خَرِبت في ولايتهما البلاد، واستولى على تلك الدِّيار الكفرة التَّاتار ـ لعنهم الله ـ وسَفَك أولئك الملاعين دمَ الكبير والصَّغير من المُسْلمين. وجرى في تلك المُدَّة من العجائب والغرائب ما لم يتقدَّم مثله، ولا أظنُّه يأتي إن شاء الله تعالى، فإنَّها من أفظع المصائب. فوجدتُ قد جمع أخبارَ تينك الدَّوْلتين الكاتبُ الفاضل العالم شهابُ الدِّين محمد بن أحمد بن علي بن محمد النَّسَوي، المعروف بالمُنْشِئ، الذي كان في صُحْبتهم وخِدْمتهم، مُطَّلعًا على أحوالهم، متصرِّفًا لهم في أعمالهم. جَمَعَ ما جرى من ذلك في مجلدة واحدة، فاختصرتُ المقاصد منها، على عادتي في مثلِ ذلك. والغرضُ الأهم ـ كما ذَكَرَ ـ من إثبات الآثار وإخلاد الأخبار، إفادةُ التَّجربة والاعتبار.

أما السُّلطانان فهما: علاءُ الدِّين محمد بن تُكُش بن أيل[1] أرسلان بن أَتْسِز بن [محمد][2] بن نوشْتِكِين[3]، وولده جلال الدين مَنْكَبُرْتي، المعروف بخُوَارَزْم شاه[4]، وقد تقلَّبت الأيام به بين إهباط وإصعاد، بينا تُمَلِّكُه إذ تكاد[5] تُهلكه، وحالَ ما[6] تُعْليه إذ رأيتَه تبتليه.

= في عصر الأيوبيين» (ص٣٩٩ ـ ٤٠١)، وطبع بتحقيق أحمد البيسومي، وصدر عن وزارة الثقافة بدمشق سنة ١٩٩١م.

(١) في الهامش: «ألب»، وكتب إلى جانبها: صح. والمثبت من (ن)، وورد كذلك (ص٧٣، ٨٨) من هذا الكتاب، وفيما ذيله أبو شامة عليه نقلًا عن العماد الكاتب (ص٢١١)، وهو ما أثبته كذلك في «كتاب الروضتين» (٤/ ٤٨٤).

(٢) في الأصل طمس، والمثبت ما بين حاصرتين من (ن).

(٣) في (ن): «أنوشتكين».

(٤) ينظر عن بُدُوِّ دولة الخوارزميين: «تاريخ جهانكشاي» (١/ ٢٥٥ ـ ٢٩٢)، وأخبارها مبثوثة على السنين في «الكامل» لابن الأثير.

(٥) في الأصل: «كاد»، والمثبت من (ن).

(٦) في (ن): «حال تعليه».

قال المنشئ: وحَسْبُك منها أربعَ عشرةَ وَقْعة مذكورة في إحدى عشرة سنة، لفَظَتْه فيها بلادُ التُّرك إلى أقاصي الهِنْد، وأقاصي الهند إلى أواسط الرُّوم، من مليكٍ مطاع، وطريدٍ مرتاع. قال: وها أنا مُمْلٍ منها ما شاهدتُه، أو سمعتُ ممَّن شاهدَه.

[السُّلطان علاء الدِّين محمد بن تُكُش][1]

بلغ من أمر السُّلطان محمد بن تُكُش، وعِظَم شأنه، أنه جمع ـ إلى ما أورثه أبوه من خُرَاسان وخُوارَزْم ـ مُلْكَ العراق ومازَنْدران وكَرْمان ومُكْران وكِيْش وسِجِسْتان وبلاد الغُوْر وغَزْنة وبامِيان، إلى ما يليها من الهند بأغوارها وأَنْجادها، مَلَكها بالهيبة صَفْوًا عفوًا. وملك على الخطائية[2]

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة من عندي للإيضاح.

وكان السلطان علاء الدين محمد قد اعتلى عرش خوارزم يوم الخميس ٢٠ شوال سنة ٥٩٦هـ، بعد وفاة أبيه تكش، كما ذكر عطا ملك الجويني في كتابه «تاريخ جهانكشاي» (١/ ٢٩٢)، وأخباره مبثوثة في التواريخ التي أرخت لعصره، من أهمها كتاب «الكامل» لابن الأثير، و«تاريخ جهانكشاي» للجويني، و«تاريخ الإسلام» للذهبي. ووهم سبط ابن الجوزي ألوانًا من الوهم حين ترجم له في كتابه «مرآة الزمان» (٢٢/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥، ٢٤٦)، منها ذكره أن الخطا هم من لاحقه بغية قتله حتى ألجؤوه إلى جزيرة في البحر، فمات فيها سنة ٦١٥هـ؛ أي: قبل غزو التاتار له. والصواب أنه مات سنة ٦١٧هـ، في أثناء مطاردة التاتار له، كما سيأتي (ص٩٨ ـ ٩٩) من هذا الكتاب، ونقل أبو شامة ترجمته عن السبط في كتابه «المذيل على الروضتين» (١/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩)، ولم ينبه إلا على خطئه في سنة وفاته.

وتنظر ترجمته كذلك في: «الكامل» لابن الأثير (١٢/ ٣٧١ ـ ٣٧٢)، و«تاريخ الإسلام» (١٣/ ٥١٥ ـ ٥٢٥)، و«سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ١٣٩ ـ ١٤٣). وتنظر ترجمة أبيه تكش في: «الكامل» (١٢/ ١٥٦ ـ ١٥٨)، و«المذيل على الروضتين» (١/ ٨٩ ـ ٩٠)، و«تاريخ الإسلام» (١٢/ ١٠٧٠ ـ ١٠٧١)، و«سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٣٣٠ ـ ٣٣٢).

(٢) الخطا: هم قوم من المغول، أسسوا دولة قوية في شمالي الصين، ولما تلاشت =

وغيرهم من ملوك التُّرك، وقروم[1] ما وراء النَّهر ـ بعد إخافتهم واستئصال شأفتهم، وإلجاء المُفْلتين منهم إلى أقاصي الصِّين ـ ما يقارب أربع مئة مدينة. وخُطِبَ له على منابر فارس وأرَّان وأذْرَبِيجان إلى ما يلي دَرْبَنْد شَرْوَان. فتواصلتْ له فتوحُ الأقاليم، اتِّساق الأنابيب، لا مُهْلة بينها ولا فُرْجة[2].

غير أنَّ الطامَّة الكبرى من حادثة التَّاتار هجَمَتْ فطمَّت على المؤلِّف وتأليفه[3]، والسُّلطان[4] في لفِّه ولفيفه.

حدَّثني غيرُ واحد[5]، ممَّن يُعتبر قولهم أن مُلْكَ الصِّين ملكٌ متَّسع، دوره مسيرة ستة أشهر، وقد قيل: إنه يحويه سورٌ واحد، لم ينقطع إلا عند الجبال المنيعة، والأنهر الوَسِيعة. وقد انقسم من قديم الزَّمان ستة أجزاء، كل جزء منها مسيرة شهر، يتولى أمره خان ـ أي: ملك بلغتهم ـ نيابة عن خانهم الأعظم.

وكان خانُهم الكبير الذي عاصَرَ السُّلطان محمد ألْتُون خان، توارثها كابرًا عن كابر، ومن عادتهم الإقامة بطوغاج[6] ـ وهو واسطةُ

= دولتهم اتجهوا نحو الغرب، فوصلوا إلى حدود نهر جيحون، واستوطنوا تركستان. وكان حكامهم عند المسلمين يسمون كورخان، ومعناه: خان الخانات، وبقيت الصينية لغتهم الرسمية. ينظر: «تاريخ الترك في آسيا الوسطى» (ص١١٤، ١٣٨، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٣).

(١) القروم جمع، مفردها قرم: وهو السيد المعظم. «اللسان»: (قرم).

(٢) فصَّل ذلك ابن الأثير في «كامله»، وأوردها منجَّمة على السنين.

(٣) المؤلف وتأليفه؛ يعني: النسوي نفسه.

(٤) لفظ: «السلطان»، ليس في (ن)، وفيها: «ولفه ولفيفه». والضمير فيها يعود على النسوي كذلك.

(٥) سيذكر الآن النسوي مبدأ أمر التاتار ومشتاهم.

(٦) وستأتي كذلك (ص٧٨) من هذا الكتاب، وفي (ن): «طَمْغاج».

الصِّين ـ ونواحيها طوال صيفهم، [فيعوِّل إذ ذاك في حراسة ما خلَّفه من المُلك على][1] الخانات الستة المقيمين بالصِّين. [وكان][2] في عصر المذكور شخصٌ يسمى دوشي خان، وقد تزوَّج بعمَّة جنكيزخان اللعين ـ وهو بالجيم والنون والزاي المُعْجمة ـ وقبيلة هذا اللعين سُكَّان البراري، ومشتاهم[3] بموضع يسمى أرغون، وهم المشهورون من طوائف التُّرك بالشَّرِّ والغدر[4].

فاتفق أن مات دوشي خان ـ وألتون خان غائب ـ ولم يخلِّف ولدًا، فأقيم جنكيزخان ابن أخي زوجته مقامه. فتولَّى ما كان يليه، وانضمَّ إليه من أشرار عشيرته وشِرار أسرته رجومٌ للفِتَن[5] لا تخبو نارُها.

فلما عاد ألتون خان أنكر تقديمَ جنكيزخان، فخاف هو ومن قدَّمه

---

(١) طمس في الأصل، والمثبت ما بين حاصرتين من (ن).

(٢) ما بين حاصرتين من (ن).

(٣) في الأصل: «ومنشأهم»، وإخالها تحريفًا، والمثبت من (ن).

(٤) موطن المغول في منغوليا، وهي شمالي صحراء جوبي في أواسط آسيا، جنوبي سيبريا، وشمالي التبت، وغربي منشوريا، وشرقي تركستان. ينظر: «المغول في التاريخ» (ص٣٠).
وهذه هي رواية النسوي، والمعروف أن جنكيزخان ولد سنة ٥٤٩هـ/ ١١٥٥م، واستطاع أن يوحد قبائل المغول سنة ٦٠٢هـ/ ١٢٠٦م، وكانت أولى حملاته الحربية على الصين سنة ٦٠٧هـ/ ١٢١١م، وسقطت بكين في يده سنة ٦١٢هـ/ ١٢١٥م بعد معركة فاصلة. أما وفاته فكانت في رمضان سنة ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م، ينظر: «تاريخ جهانكشاي» (١/ ٦٩ ـ ٧٢، ١٧٥)، و«سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤)، و«الدول الإسلامية» (٢/ ٤٩٩)، و«المغول» للعريني (ص٥٤، ٦٤)، و«المغول في التاريخ» (ص٥٢، ٥٣)، و«تاريخ الترك في آسيا الوسطى» (ص١٧٢).

(٥) في (ن): «رجوم الفتن»، وفي النسخة الباريسية: «للفتن». وهي توافق ما في الأصل.

من الخانات الستة، وكان قدَّمه اثنان منهم، فنزعوا إذ ذاك أيديهم من الطاعة، وخالفوا الجماعة، وتحالفوا على التعاضد.

واستظهر جنكيزخان بمن انضوى إليه من عشيرته، فراسلهم ألتون خان في استردادِهم إلى الطَّاعة، فلم يزدهم دعاؤه إلا فِرارًا[1]. فالتقاهم، فكسروه أقبحَ كَسْرة، وأخلى لهم البلاد، فتمكَّنوا فيها وتملَّكوها، وانضوى إليهم من أوشابِ التُّرْك وأوباشِها كلُّ طامع. فتضاعف ضَعْف ألتون خان، وتزلزل أمرُه، فراسلهم مسالمًا ومُهادِنًا، قانعًا بما بقي تحت[2] يده من البلاد، فأجابوه إلى ما سأل. واستمرَّ الأمر بين الثلاثة على قاعدة المشاركة، فمات أحدُ الخانين، وتفرَّد الآخران بالمُلك، وساقا إلى بلاساغُون[3]، فملكاها، وملكا من البلاد ما تاخَمَها وداناها.

ثم مات الخان الآخر، وخلَّف ولدًا، ولُقِّب بلقبِ والده كشلوخان. فاستضعفه جنكيزخان، فاستوحش منه كشلوخان، ففارقه، واتَّصل بصاحب قيالق. ثم استولى على خان الخانية ملكِ الخطائية، فأسره بعد أن كان هرب من السُّلطان محمد إلى كاشْغَر، فأنفذ السلطان إلى كشلوخان يطلبه منه، ويخوِّفه إن لم يفعل. فماطله ودافعه؛ لأن الأسير تضرَّع إليه، واستعفى من ذلك، وقال: هذا السُّلطان وأبوه كانا يحملان [إليَّ الإتاوة، ويبذلان لي][4] الطاعة، ثم ساعدته الأيامُ حتى رضيتُ معه بالمُسالمة، وليس يطلبني الآن مُلحًّا إلا للإهلاك[5]،

---

(١) اقتباس من قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا﴾. [نوح: ٦].

(٢) في الأصل: «قانعًا بما بقي في يده»، ثم ضرب على «في»، وكتب فوقها: «تحت»، وهو ما أثبته. وفي (ن): «بما تحت يده».

(٣) في الأصل: «بلاد ساقون»، وفي (ق): «بلاساقون». والمثبت من (ن)، وهي بلد عظيم وراء نهر سيحون، قريب من كاشغر، ينظر: «معجم البلدان» (١/ ٤٧٦).

(٤) في الأصل طمس، وما بين حاصرتين من (ن).

(٥) في (ن): «للهلاك».

وليسُومَني من الذُّلِّ ما الموتُ دونَه. فرَقَّ له قلبُ كشلوخان، فدافع عنه. فتجهَّز السلطان إليه في ستين ألفًا.

وكان جنكيزخان لمَّا بلغه استيلاءُ كشلوخان على مُلك كاشْغَر وبلاساغون[1]، جرَّد إليه ابنه دوشي خان[2] في زُهاء عشرين ألفًا أو أكثر، فظَفِرَ به، وقلعه عن أساسه، وعاد براسه. وصادفه السُّلطان راجعًا بالغنائم، وأنفذ إلى السُّلطان: إنَّ أبي أوصاني أن أسلك مسلك الأدبِ مع السُّلطان، وما فعلتُ هذا إلا خِدْمة للسُّلطان ونيابة عنه، وهذه الغنائم والسَّبايا بين يدي السُّلطان، يحكم فيها كيف شاء، فإن رأى أن يُنْعم ببعضها على مَنْ باشَرَ القتال، وإلا فيوجِّه من يتسلَّمُها. فلم تُغْنِ ملاطفتُه، ولجَّ السُّلطان في قتاله، لكثرةِ رجاله، وانتصف منه دوشي خان لمَّا حمل على ميسرته إلى أن كادت الهزيمة تستمرُّ بالسُّلطان. وتفرَّق الفريقان يومهم ذلك على مِيْعاد استئنافِ الحرب من بُكْرة غد، فأشعلتِ الكفرةُ جُنْحَ الليل نارًا كثيرة، مُظْهرين أنهم بائتون، وركبوا الخيل تحت ذيولِ الليل، فقطعوا في تلك السَّاعة مسافة يومين. وتمكَّن في قلب السُّلطان من الرُّعب والاعتقاد ببسالتهم ما إذا ذكروا في مجلسه، يقول: لم يُرَ كرجالهم إقدامًا وثباتًا على مَضَضِ الحرب[3]، وخبرةً بقوانين الطَّعْن والضَّرب[4].

(١) تنظر الحاشية رقم: ٣ (ص٥٥) من هذا الكتاب.

(٢) كان لجنكيزخان أربعة أبناء: دوشي هذا، وهو أكبرهم، وجغتاي، وأوكتاي، وتولي. ينظر: «تاريخ جهانكشاي» (١/ ٧٢).

(٣) المضض: وجع المصيبة. «اللسان»: (مضض).

(٤) ينظر كذلك: «الكامل» (١٢/ ٢٦٩ ـ ٢٧١).

فصل

وفي سنة أربع عشرة وست مئة قصد السُّلطان بلادَ العراق

لمَّا عَظُمَ شأنه، وفَخُمَ أمره، واشتملتْ جريدةُ ديوان الجيش على ما يقارب أربع مئة ألف فارس، سَمَت هِمَّتُه إلى طلب ما كان لبني سَلْجُوق من الحُكْم والمُلْك ببغداد[1]. وتردَّدتِ الرُّسل في ذلك مِرارًا، فلم يُجب إلى المُراد، لعلمهم بما بين يديه من الشَّواغل بما وراء النهر وبلاد التُّرْك، إذ كان مهما قلع طائفة منهم طلعت أخرى لم يُسْمع بها.

قال: وحكى القاضي مجيرُ الدِّين عمر بن سَعْد الخُوَارَزْمي، وكان عند السُّلطان من ذوي الحُظْوة والاختصاص، وقد أرسله إلى بغداد مرارًا، قال: كان آخر رسالتي إليها مطالبة الدِّيوان بما ذكرناه، فأبَوْا ذلك، وأنكروا كلَّ الإنكار، وقالوا: إن اختلافَ الدُّوَل وتقلُّبَ الدَّهر وتغلُّب الخارجي على بغداد[2]، وتسحُّبَ الإمام القائم بأمر الله

(١) ينظر: «الكامل» (١٢/ ٣١٦).

(٢) يعني بالخارجي: البساسيري، وهو أبو الحارث أرسلان بن عبد الله، وكان مملوك بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه، وكان مقدَّمًا زمن القائم بأمر الله على جميع الأتراك، وخطب له على منابر العراق وخوزستان. ثم إنه خرج على القائم، وأخرجه من بغداد، وخطب فيها للمستنصر العبيدي؛ صاحب مصر، وذلك سنة ٤٥٠هـ، وبقي سنة، حتى قتله عسكر طغرلبك السلجوقي أول ملوكهم سنة ٤٥١هـ، وطيف برأسه في بغداد. تنظر أخبار ذلك في: «الكامل» لابن الأثير (٩/ ٦٤٠ ـ ٦٥٠)، و«وفيات الأعيان» (١/ ١٩٢ ـ ١٩٣)، (٥/ ٦٣ ـ ٦٨)، و«سير أعلام النبلاء» (١٥/ ١٣٨ ـ ١٤٠).

ـ رضوان الله عليه ـ منها إلى حديثة عانة، وانتصاره بطُغْرُلْبَك بن ميكائيل، والقصة مشهورة، اقتضت تحكُّم بني سَلْجوق في بغداد، وإلَّا فليس بحَتْمٍ أن يكون مع الزَّمان على أكتاف الخلافة متحكِّمٌ يأمر فيها كيف شاء بما سرَّ وساء. ومهما احتجنا إليك في مثل ذلك ـ ولا كان ذلك ـ [أجبناك][1] إلى ما أجبنا إليه أولئك. أوَليس فيما أُنْعِمَ عليه به من الممالك الواسعة والأقاليم المتباعدة المتشاسعة غُنْية عن الطَّمَع في دار ملك أمير المؤمنين، ومشاهِدِ آبائه الرَّاشدين؟

قال: وأُصْحِبَ في عوده بالشيخ شهاب الدِّين السُّهْرَوَرْدِي[2] رَحِمَهُ اللَّهُ رسولًا مدافعًا، وواعظًا وازعًا عمَّا كان يلتمسه السُّلطان، وتراجعتِ المراسلات في المعنى وتكرَّرت، فكانت غير مُجْدية. وانضاف إلى ذلك [استهانتهم][3] بالسَّبيل الذي كان للسُّلطان في طريق مكة ـ حَرَسَها الله تعالى ـ حتى بلغه تقديمهم سبيلَ صاحبِ الإسماعيلية جلال الدِّين الحسن[4] على سبيله، فكان نكأ للقَرْح، ومِلْحًا فوق الجُرْح.

---

(١) ما بين حاصرتين ليس في الأصل، والمثبت من (ن)، والسياق يقتضيها.

(٢) هو: عمر بن محمد بن عبد الله، كان من كبار صوفية بغداد في عصره، وهو صاحب كتاب «عوارف المعارف» ـ وهو مطبوع متداول ـ توفي سنة ٦٣٢هـ، تنظر ترجمته في: «وفيات الأعيان» (٣/ ٤٤٦ ـ ٤٤٨)، و«سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ٣٧٣ ـ ٣٧٧)، وقد استقصيتُ مصادرها في «المذيل على الروضتين» (٢/ ٣٣).

(٣) ما بين حاصرتين استدرك على هامش الأصل، ولم يظهره التصوير، والمثبت من (ن).

(٤) ولي جلال الدين الحسن بن محمد بن الحسن سنة ٦٠٧هـ، بعد وفاة والده محمد مسمومًا، فنبذ عقائد أسلافه، وأظهر شعائر الإسلام، وكتب بذلك إلى الخليفة الناصر لدين الله. ولما توفي سنة ٦١٨هـ، وولي بعده ابنه علاء الدين محمد، أعادهم إلى عقائدهم الأولى. ينظر: «تاريخ جهانكشاي» (٢/ ٧، ٣٣٥ ـ ٣٤٠)، و«المذيل على الروضتين» (١/ ٢٢٩، ٢٣٧)، والحاشية رقم: ٥ (ص١٧٠) من هذا الكتاب.

قال: وسمعتُ القاضي المذكور يحكي أنَّ الشيخ شِهاب الدِّين لمَّا دخل على السُّلطان ـ وعنده من حُسْن الاعتقاد برفيع منزلته، وعالي قدره وتقدُّمِه فضلًا على مشايخ عصره، ما أوجب تخصيصه بمزيد الإكرام، ومزية الاحترام، تمييزًا له عن سائر الرُّسل الواردة عليه من الدِّيوان ـ فوقفَ قائمًا في صَحْن الدَّار، ثم أذِنَ له في الدُّخول، فلمَّا استقرَّ المجلس بالشيخ، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: إن من سُنَّة الدَّاعي للدَّولة القاهرة أن يُقدِّم على أداء رسالته حديثًا من أحاديث النبي ﷺ تيمُّنًا وتبرُّكًا. فأذِنَ له السُّلطان في ذلك، وجلس على رُكْبتيه تأدُّبًا عند سماع الحديث.

فذكر الشيخ حديثًا معناه التحذير من أذية آل عبَّاس رضي الله عنهم. فلمَّا فرغ شهاب الدِّين من رواية الحديث، قال السُّلطان: أنا وإن كنتُ رجلًا تركيًّا، قليلَ المعرفة باللغة العربية، لكني فهمتُ معنى ما ذكرتَه من الحديث، غير أني ما آذيت أحدًا من ولد العبَّاس، ولا قصدتُهم بسوء، وقد بلغني أن في محابس أمير المؤمنين منهم خَلْقًا مخلَّدين، يتناسلون بها ويتوالدون، فلو أعاد الشيخ الحديث بعينه على مسامع أمير المؤمنين كان أوْلى وأنفع.

فقال الشيخ: إن الخليفة إذ بويع في مبدأ خلافته بويع على كتاب الله وسُنَّة رسوله واجتهاد أمير المؤمنين، فإن اقتضى اجتهاده حبس شِرْذِمة لإصلاحِ أمة، لا يقدح ذلك في طريقته المُثلى. وطال الكلامُ في هذا المعنى[1].

وعاد شهابُ الدِّين والوَحْشة قائمةٌ على ساقها[2].

وشَغَل السُّلطانَ عن قصد بغداد قتلُ نائبه على بلاد عراق العجم،

---

(١) وينظر وصف آخر لذلك اللقاء في: «مرآة الزمان» (٢٢/٢١٦ ـ ٢١٧)، ونقله عنه أبو شامة في «المذيل على الروضتين» (١/٢٨١).

(٢) وأعاد أبو شامة اختصار هذا الخبر من أصل هذا الكتاب في «المذيل على الروضتين» (١/٢٨٢). وعن أسباب أخرى للوَحْشة بين السلطان علاء الدين محمد والخليفة الناصر لدين الله، ينظر: «تاريخ جهانكشاي» (٢/٢٩ ـ ٣٠).

وهو أغلمش الأتابكي، وكان قد ركب يلتقي الحاجَّ مُنْصرَفَهم من مكة، فقفز عليه الإسماعيلية في زِيِّ الحاجِّ، فقتلوه. وانقطعت حينئذٍ خطبة السُّلطان بالعراق؛ لأن الأتابكيَّيْن: أُزبك بن محمد؛ صاحب أرَّان وأذْرَبِيجان[1]، وسعد بن زَنْكي؛ صاحب فارس طمِعا فيها، فنهضا إليها، لبُعْد السُّلطان عنها، وغوصِهِ في أعماق بلاد الترك. فدخل أزبك أصفهان، وملكَ سعدٌ الرَّي وقَزْوين وخُوار وسُمْنان وما تاخمها. وتطايرتِ الأخبار إلى السُّلطان، وهو بسَمَرْقَنْد، فسبق خبرُه إلى بعض أعمال الرَّي[2]، وسعدٌ بظاهرها، فلم يدرِ أسار إليه أم طار، ولم يعرفه، فأخذ في القتال، فأمر السُّلطان بنشر الجِتْر[3]، وكان ملفوفًا، فنُشِرَ، فحين تحقق أصحابُه السُّلطانَ ﴿وَلَوَّوْا عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٦]، وأُخِذَ سعدٌ أسيرًا. وسمع بذلك أزبك، وهو بأصفهان، فعاد إلى دار مُلْكه. وأُخِذَ من أصحابه[4] الملك نصرةُ الدِّين محمد بن بيشْتِكِين ـ وهو الذي كان في أذُنيه حَلْقتان كالسِّوارين، يتوارثهما عن جدٍّ لهم ـ والصَّدرُ

---

(١) ولي أزبك حكم أذربيجان سنة ٦٠٧هـ بعد أخيه أبي بكر بن البهلوان، وأخباره مبثوثة في هذا الكتاب، وفي تواريخ ذلك العصر، ولا سيما «الكامل» لابن الأثير، و«مفرج الكروب» لابن واصل، و«الدول الإسلامية» (١/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦)، وتنظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ١٩٠ ـ ١٩١)، وسيأتي خبر وفاته سنة ٦٢٢هـ (ص١٥٧) من هذا الكتاب.

(٢) ما يوضح هذه العبارة المختصرة أن السلطان محمد تحركت همته، فاختار من نجباء الرجال زهاء مئة ألف فارس، وصل بهم إلى قومس، فاختار منهم اختيارًا ثانيًا، ونهض في اثني عشر ألف فارس، حتى سبق خبره إلى بعض أعمال الري. ينظر: (ن).

(٣) الجتر: وتسمى المظلة كذلك، وهي قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب، على أعلاها طائر من فضة مطلية بالذهب، تحمل على رأس السلطان. ينظر: «صبح الأعشى» (٤/ ٧ ـ ٨).

(٤) أي: من أصحاب أزبك.

ربيبُ الدِّين أبو القاسم بن علي؛ وزير أزبك، فكان يُجاء بهم[1] كلَّ يوم إلى الميدان بهَمَذان، والسُّلطان يلعب بالكُرة[2]، فيقامون هناك إذلالًا لهم، إلى أن أمر بحلِّ وَثاقهم، ومنَّ عليهم بإطلاقهم.

قال: فلينظر المتأمل إلى بُعْد الهِمَّة السُّلطانية، أنها سَمَت من أعالي ما وراء النَّهر إلى كَبْسِ مَلِكَيْن بالعراق[3]، فنال منهما ما أراد، واستوفى عليهما الثأر وزاد.

ثم بعث رسولًا إلى أتابَك أُزبك، بعد إفلاته من شِباكه، يأمره بإقامة رسْمَي الخُطْبة والسِّكَّة باسمه في عامَّة بلاد ممالكه، وأن يحمل كلَّ سنة إلى الخزانة إتاوة معلومة. فخَطبَ للسُّلطان على منابر أَرَّان وأذْرَبيجان إلى ما يلي دَرْبَنْد شَرْوَان، وسيَّر الهدايا والألطاف، وسلَّم قلعة قَزْوين، واعتذر في أمر الإتاوة باستضعاف الكُرْج جانبه، فعَذَره. ومنَّ على سعد بالإطلاق، وتسلَّم منه قلعتي إصْطَخْر وأسكتاباذ[4]، وشرط عليه أن يحمل كلَّ سنة إلى الخِزانة ثُلُث الخَرَاج. فعاد إلى شيراز، وهي كُرْسيُّ مُلْكه[5].

---

(١) أي: بسعد، ونصرة الدين وربيب الدين.

(٢) وكانت تسمى الجُوكان: وهو مِحْجن يضرب به الفارس الكرة، وهو على ظهر الخيل. ينظر: «صبح الأعشى» (٥/٤٥٨)، و«كتاب الروضتين» (١/٣٥).

(٣) أي: عراق العجم، أينما ذكر في هذا الكتاب، وهو إقليم كبير بين بلاد عراق العرب وخراسان، وفيه مدن كبار؛ منها: قزوين وأصفهان والري وهمذان وزنجان. ينظر: «وفيات الأعيان» (٤/٧٩، ٢٧٩، ٥/٣٤١). أما عراق العرب، فيعبر عنه في هذا الكتاب ببلاد بغداد، أو بالديوان العزيز، أو الممالك الديوانية.

(٤) كذا في الأصل، وفي هامشه: «استراباذ». وفي نسخة باريس، وطبعة هوداس والمتحف البريطاني، ونسخة لينينغراد: «أسكناباد». وفي (ن): «أشكناوان». ولم أقف عليها.

(٥) ينظر: «الكامل» (١٢/٣١٦ ـ ٣١٧، ٣١٩ ـ ٣٢٠).

فلما قضى السُّلطان وطَرَه من استصفاء مُلكه بالعراق، وإخلائها ممَّن نازعه فيها، عزم على قصد بغداد. وكان قد قسم نواحي بغداد، وهو بهَمَذان، إقطاعًا وعملًا، فسيَّر العساكر أمامه، وسار وراءهم إلى أن علا عقبة أَسَدَاباذ، فنزل عليه بالعقبة ثلوج طمَّتِ الأباطح والأعلام[1]، وغطت الخراكي[2] والخِيام. ودام ثلاثة أيام بلياليها، فعَظُم إذ ذاك البلاء، وأعْضَل الدَّاء، وشَمِلَ الهلاكُ خلقًا من الرِّجال، ولم ينجُ شيء[3] من الجِمال، وتلفت أيدي رجاله وأرجل آخرين، ورجع السُّلطان عن وجهه ذلك على خيبةٍ مما همَّ به، ويأسٍ من مطلبه[4]. وورد[5] شهابُ الدين السُّهْرَوَرْدِي رسولًا متشفعًا، بالله منذرًا، وعن البغي محذِّرًا. وندم السُّلطان على ما ارتكبه من إذالة[6] الحِشْمة، وإضاعة الحق والحُرْمة، الواجبة مراعاتها على كل ذي دِين قويم، وعقلٍ مستقيم، ومعتقدِ إثبات جنةٍ وجحيم، وعلم أن ذلك البيت[7] هو الذي يؤيِّده الله بملائكة سمائِه، وله سِرٌّ في إدامته وإبقائِه.

---

(١) الأباطح جمع، مفردها الأبطح: مسيل الوادي. والأعلام جمع، مفردها علم: الجبل. «اللسان»: (بطح، علم).

(٢) مفردها: خركاه، وهي بيت من خشب مصنوع على هيئة مخصوصة، يغشى بالجوخ ونحوه للوقاية من البرد. «صبح الأعشى» (٢/١٣٨).

(٣) في الأصل: «شيئًا»، والمثبت من (ن).

(٤) أعاد أبو شامة اختصار هذا الخبر من أصل هذا الكتاب، ينظر: «المذيل على الروضتين» (١/٢٨٢)، وينظر كذلك: «الكامل» لابن الأثير (١٢/٣١٧ - ٣١٨)، و«مرآة الزمان» (٢٢/٢١٧)، و«تاريخ جهانكشاي» (٢/٨).

(٥) في (ن): «وردّ»، وهو تحريف، وفي نسخة المتحف البريطاني: «وورد»، وهي توافق ما في الأصل. وسلف (ص٥٩) ذكر عود السُّهروردي إلى بغداد، وهذا هو رجوعه الثاني إلى السلطان علاء الدين محمد بعد ارتداده عنها.

(٦) في (ق): «إزالة»، وهو تحريف، والإذالة: الإهانة. «اللسان»: (ذيل).

(٧) أي: بيت بني العباس.

فصل

وكان السُّلطان قد قدَّم أمورًا قبل قصده العراق

منها: ضربُه نوبة ذي القرنين، وقد كان في الأزمنة المتقادِمة تضرب له النُّوَب الخمس في أوقات الصَّلوات الخمس، أسوة بسائر السَّلاطين، إلى أن علا شأنه، وعَظُم سلطانُه. ففوَّض عند قَصْدِه العراق النُّوَب الخمس إلى أولاده السَّلاطين، يضربونها في الأقاليم التي سمَّاها لهم، على أبواب دور السَّلطنة بها ـ وسيجيء تفاصيل تفويضها[1] ـ واختار لنفسه نوبة ذي القرنين، وأنها تُضْرب وقتَيْ طلوع الشَّمْس وغروبها. فاستعمل لها سبعًا وعشرين دَبْدبةً من الذهب، قد رُصِّعت بأنواع الجواهر[2]. ونصَّ أوَّلَ يوم اختير لضربِها على سبعة وعشرين ملكًا من أكابر الملوك، وأولاد السلاطين، يضربونها للسُّمْعة، منهم ابن طُغْرُل بن أرسلان السَّلْجوقي[3]، وأولاد غياث الدِّين؛ صاحب الغُوْر وغَزْنة والهند[4]، وعلاء الدِّين؛

---

(١) تنظر: (ص٦٩ ـ ٧٠) من هذا الكتاب.

(٢) تشتمل النوبة على دبادب ـ وهي الطبول ـ وأبواق، فيضرب بالدبدبة، وينفخ بالبوق، ويضرب بصنوج النحاس. ينظر: «التعريف بمصطلحات صبح الأعشى» (ص٢٢٨).

(٣) طُغْرُل بن أرسلان؛ هو آخر ملوك السلاجقة في إيران والعراق، وأخباره مبثوثة في تواريخ ذلك العصر، قتل سنة ٥٩٠هـ. وتنظر ترجمته في: «مرآة الزمان» (٢٢/ ٣٧ ـ ٤٠)، و«المذيل على الروضتين» (١/ ٥٨ ـ ٥٩)، وذكرت ثمة مصادرها.

(٤) هو: السلطان غياث الدين محمد بن سام، أخي السلطان شهاب الدين الغوري، توفي سنة ٥٩٩هـ/، وأخباره مبثوثة في تواريخ ذلك العصر، وترجم =

صاحب بامِيان[1]، وتاج الدِّين؛ صاحب بَلْخ، وولده؛ صاحب تِرْمِذ، وسِنْجر؛ صاحب بُخارى، وأشباه أولئك. وبالجُمْلة أعوزه لتمام سبعة وعشرين ملكًا، فكمَّلهم بابنِ أخيه أوبزخان[2]، ووزيرِ الدَّوْلة نظام الملك ناصر الدِّين محمد بن صالح، فهؤلاء هم الذين ضربوا الدَّبادب في اليوم الذي اختير لضَرْبها.

ومنها: أنه سيَّر الملك تاجَ الدِّين بِلْكاخان؛ صاحب أترار إلى مدينة نَسَا، ليقيم بها، وكان ذا جمال وكرم. وكان لمَّا تملك السُّلطان ما وراء النهر على الخطائية بادر إلى خدمته طائعًا راغبًا، إذ كان يمُتُّ إليه بوسيلةٍ لا يَرَى إخفارها[3] في دين المروَّة، وشرط الحِفاظ والفتوَّة؛ وذلك أن شهاب الدِّين الغُوري لما قصد خُوَارَزْم بعد وفاة السُّلطان تُكُش، قام تاج الدِّين بنفسه وابنُ عمِّه عثمان صاحبُ سَمَرْقَنْد بعسكريهما، وجماعةٌ من الخطائية، فكبسا شهاب الدِّين الغوري، وأكثرا القتل فيمن معه[4]،

= له الذهبي في كتابيه «تاريخ الإسلام» (١٢/ ١١٧٨ ـ ١١٧٩)، و«سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٣٢٠ ـ ٣٢١).

(١) علاء الدين هو: ابن بهاء الدين سام بن محمد بن مسعود، وبهاء الدين هو: ابن أخت السلطان غياث الدين الغوري، وأخبار علاء الدين مبثوثة في تواريخ ذلك العصر، وقتلته تركان خاتون سنة ٦١٦هـ، وينظر: «الكامل» (١٢/ ٢١٧، ٢١٨)، و(ص٨٤) من هذا الكتاب.

(٢) كذا في الأصل، وفي (ن): «أربزخان».

(٣) الخفارة: الذمام، وأخفره: نقض عهده وذمامه. «اللسان»: (خفر).

(٤) شهاب الدين الغوري هو: أبو المظفر محمد بن سام، صاحب غزنة، وحكم أقاليم في الهند، ولي بعد وفاة أخيه غياث الدين سنة ٥٩٩هـ، وأخباره مبثوثة في تواريخ ذلك العصر، وينظر عن وقائعه مع السلطان علاء الدين محمد، ثم قتله سنة ٦٠٢هـ: «الكامل» لابن الأثير (١٢/ ١٦٤ ـ ١٦٧، ١٧٣ ـ ١٧٧، ١٨٠، ١٨٥ ـ ١٨٨، ٢١٢ ـ ٢١٥)، وترجم له الذهبي في كتابيه «تاريخ الإسلام» (١٣/ ٥٩ ـ ٦١)، و«سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣).

فلما وصل إلى السُّلطان أكرمه. فلما سَنَحَ له المسيرُ إلى العراق رأى تَخْلية ما وراء النَّهْر عنه، فسيَّره إلى نَسَا، ليقيم بها؛ لأنها وَبئةٌ جدًّا، شديدةُ الحرارة، كثيرةُ الأمراض. فأقام المذكور بها سنة أو أكثر، وقد وافقه هواؤها وماؤها خرقًا للعادة حتى ازداد حُسْنًا بها. وبلغ السُّلطان ذلك، فعَلِمَ أنه لا يبلغ غرضه منه عاجلًا إلا برفض حِجاب الوفاء، وادِّراع لأُمَة[1] الجفاء، فسيَّر إليه من حزَّ أخدعيه[2]، وأبكى العيون دمًا عليه.

قال: وحكى لي من حَضَر الفجيعة الفاضحة، قال: كُنَّا جلوسًا عند ظهير الدِّين مسعود بن المنوَّر الشَّاشي؛ وزير السلطان بنسا، إذ أتاه آتٍ وأخبر أن جهان بهلوان؛ وهو أياز الطَّشْت دار ـ وقد ارتفع من حضيض الطَّشْتدارية[3] إلى يفاع الملكية، وتقدَّم على عشرة آلاف فارس، وكان متعيِّنًا لحزِّ الرؤوس، وإزهاقِ النفوس ـ قد وصل في نفر يسير. فدُهِش الوزيرُ المذكور، وهاله ما سمع من وصوله، وظنَّ أن الحادثة عليه، ولم يبقَ معه من آثار الحياة إلا نَفَسٌ ضعيف كاد ينقطع. فأُخْبِرَ أن الواصل نزل بدار السَّلطنة، وقال: أحضروا الظهير والأعيان. فركب إليه الظهير، وكاد لضعف بَنَانه لا يقدر على أَخْذ عِنانه، إلى أن حضر، فناوله جهان بهلوان توقيعًا، فلما فرغ من قراءته تشاوروا، واستحضر الملكَ تاجَ الدين بلكاخان لمهمٍّ ورد من الأبواب السلطانية، احتيج فيه إلى حضوره. فحضر

---

(١) اللأمة: الدرع، واستلأم الرجل: لبس ما عنده من عدة رمح وبيضة ومغفر وسيف ونبل. «اللسان»: (لأم).

(٢) في (ن) و(ق): «أجذعيه»، وهو تصحيف. والأخدعان: عرقان على جانبي العنق. «اللسان»: (خدع).

(٣) الطشتدارية: وهي من الوظائف الصغرى، سميت بذلك لأن فيها الطشت الذي تُغْسل فيه الأيدي، والطشت الذي يُغْسل فيه القماش السلطاني. «التعريف بمصطلحات صبح الأعشى» (ص٢٣٢).

في طائفةٍ من خواصِّه، فأدخل إلى بعض المخازن، وإذا ببعض الرنود[1] قد خرج ورأسه بيده، فوضعه جهان بهلوان في مِخْلاة، ورجع للوقت. فأقَّا للدُّنيا الخدَّاعة وتُفًّا، لا تَرْثي لمقتول، ولا تُبْقي على قاتل:

تفانى[2] الرِّجالُ على حُبِّها وما يَحْصُلونَ على طائلِ[3]

وحُمل إلى الخزانة السُّلطانية من خزانة جوهره ما لم يُسْمع بمثله نفاسةً وكثرة.

ومنها: أنه سيَّر إلى خُوَارَزْم بُرْهان الدِّين محمد بن أحمد بن عبد العزيز البُخاري، المعروف بصدر جهان[4]؛ رئيس الحنفية ببُخارى وخطيبُها. وإذا سمع السَّامع أنه كان خطيبَ بُخارى يعتقد أنه كان مثل سائرِ الخُطباء، في ارتفاع قدر الارتفاع[5]، واتِّساع رقعة الأملاك

---

(١) كذا في الأصل، وفي (ن) و(ق): «الزنود»، ولم أقف على معنى هذه الكلمة فيما بين يدي من مصادر، ويبدو أنهم فئة من الناس ممن يثير الشغب والفتنة، فقد ورد ذكرهم (ص١٥٣) من هذا الكتاب، وقرنهم المصنف بالأوباش، وقرنهم ابن الأثير بالمفسدين، ينظر: «الكامل» (١١/ ٢٧١).

(٢) في (ن): «تفانًا»، وهو خطأ، ولم يتنبه محقق (ق) إلى أنه بيت من الشعر.

(٣) البيت لأبي الطيب المتنبي، من قصيدة له، مطلعها:

إلامَ طَمَاعِيَةُ العَاذِلِ ولا رأي في الحُبِّ للعاقلِ

وهي في ديوانه بشرح أبي العلاء المعري «معجز أحمد» (٣/ ٥٦ ـ ٧٠).

(٤) وكذلك سماه ابن الأثير في «الكامل» (١٢/ ٢٥٧)، وعند سبط ابن الجوزي في «مرآة الزمان» (٢٢/ ١٤٩)، محمد بن عمر بن مازة البخاري، وتابعه على ذلك أبو شامة في «المذيل على الروضتين» (١/ ١٧٨ ـ ١٧٩)، والذهبي في «تاريخ الإسلام» (١٣/ ١١)، وعند القرشي في «الجواهر المضية» (٣/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤)، محمد بن عبد العزيز بن محمد بن عمر بن عبد العزيز، وقد قتلته تركان خاتون سنة ٦١٦هـ كما ذكر المصنف بعدُ، وينظر: (ص٨٤) من هذا الكتاب.

(٥) يعبر بذلك عن غناه، فالارتفاع: هو إيراد الأرض وخراجها. «معجم متن اللغة» (٢/ ٦٢١).

والضِّياع، وامتطاء صهوة المجد، والتحكُّم في أزِمَّة الكَرَم العِدّ[1]. وليس الأمر كذلك، بل المذكور لا يقاس إلا برُتُوت[2] السادات، وقروم[3] الملوك، إذ كان في جملة من يعيش تحت كَنَفه وإدرارات[4] سَلَفه ما يقارب ستة آلاف فقيه. وكان كريمًا، عاليَ الهِمَّة، ذا مروءة، يرى الدُّنيا هَبَاءَة[5] منثورة بين أخواتها الثائرة، بل نقطة موهومة من نُقَط الدَّائرة. وكانت سُدَّتُه ميقاتًا للفضل وأهليه، وسوقًا للعلم ومنتحليه، يُجلب إليها بضاعات الفضائل، فتباع بأكمل الأثمان. وله بخوارزم بعد عِثار الزَّمان به مواهب، يضيق عن مثلها رَحْبُ الصُّدور، عند استقامة الأمور.

فأقام بخُوارَزْم منكوبَ[6] المراد، ممنوعًا من الإصدار والإيراد، إلى أن تقاضاه الزَّمان بدَيْنه، فجرَّعه كأس حَيْنه[7]، فقتل عند إجفال تُرْكان خاتون عنها، كما يأتي[8].

وأقام السُّلطان عند نقله إلى خوارزم مقامَه في رياسة الحنفية والخَطابة ببُخارى، مجدَ الدِّين مسعود بن صالح الفَرَاوي؛ أخا نظام الملك وزيره، ولقَّبه بصدر جهان.

---

(١) العد: الكثير، ومنه الماء العِد: الذي له مادة لا انقطاع لها. «اللسان»: (عدد).

(٢) الرُّتُوت جمع، مفردها الرَّت: هو الرئيس من الرجال في الشرف والعطاء. «اللسان»: (رتت).

(٣) القروم، تنظر الحاشية رقم: ١ (ص٥٣) من هذا الكتاب.

(٤) في (ن): «وإدارة»، وفي نسخة المتحف البريطاني: «وإدرارات»، وهي توافق ما في الأصل.

(٥) الهباء: الشيء المنبث الذي تراه في البيت من ضوء الشمس شبيهًا بالغبار. «اللسان»: (هبا).

(٦) في (ن): «مسلوب».

(٧) الحَيْن: الهلاك. «اللسان»: (حين).

(٨) تنظر: (ص٨٤) من هذا الكتاب.

قال: وحدَّثني القاضي مجير الدِّين عمر بن سَعْد، قال: وصل السُّلطان إلى بُخارى بعد أن رتَّب مجدَ الدِّين المذكور في الصدر جهانية، وتعيَّن أن يخطُبَ بنفسه عند حضور السُّلطان. وكان نظام الملك محمد يُبْغض أخاه مجدَ الدِّين مسعودًا بُغْضًا شديدًا، ولا يختار أن يستقيم له حال، أو يقوم له جاه. فحضرتُ صحبةَ نظام الملك الجامع، فجلس عند أخيه الخطيب في حُجْرته بالجامع على يمين المِنْبر، فقال لي نظامُ الملك: لو شوَّشت عليه اليوم خُطْبته حتى يُحْصَر[1]، فلك عندي ما تريد. فترصَّدْتُ إلى أن بلغ مجدُ الدِّين من الخُطْبة إلى دعاء السُّلطان[2]، رفعت يدي ثلاث مرَّات إليه مشيرًا، فحُصِرَ وأطرق طويلًا، إلى أن ثابتْ نفسُه إليه، وتعجَّب الناس من حَصْره الذي لم تجرِ له به عادة. قال: ولما عاتبني مجدُ الدِّين على ما فعلتُه، قلتُ له: كنتُ قد أشرت إليك بأن ترفع صوتك عند دعاء السُّلطان، فلم تفهم. فقَبِلَ العُذْر.

وبقي المذكور في ذلك المنصب الجليل إلى أن استولى التاتار[3] على بُخارى، فقُتل بها.

ومنها: أنه سيَّر شيوخَ الإسلام بسَمَرْقند: جلالَ الدِّين، وابنَه شمس الدِّين، وأخاه أوْحَدَ الدِّين إلى نسا، تحرُّزًا من قيامهم، وإطفاء لضِرامهم، وكانوا سادات الأرض؛ آدابًا بارعة، وأقدامًا لأعلام العلوم فارعة. وكان أوحد الدِّين آية في علم الجَدَل، فمات غريبًا بنسا. وانتقل بعد وفاته أخوه جلال الدِّين ـ وهو الكبير ـ إلى دِهِسْتان، باستدعاء

---

(١) أي: لا يقدر على الكلام. «اللسان»: (حصر).

(٢) عبارة: «فترصدت إلى أن بلغ مجد الدين من الخطبة إلى دعاء السلطان»، ليست في النسخ الخطية ما عدا نسخة المتحف البريطاني، وهي توافق ما في الأصل. واكتفى محقق (ن) بالإشارة إليها في الحاشية، ولم يذكرها في المتن.

(٣) في الأصل: «لعنهم الله»، ثم ضرب عليها، وينظر: (ص٩٠ ـ ٩١) من هذا الكتاب.

وزيرِها أمين الدِّين الدِّهِسْتاني، فأقام عنده مكرَّمًا إلى أن قضى الدَّهْر بالبَوَار، على أهل تلك الدِّيار، عند خروج التاتار، وانتشارهم في الأمصار، فلم أدر ما كان عاقبة أمره:

أضاقتْ به حالٌ أطالتْ له يدٌ أأخَّرَه نقصٌ[1] أقدَّمَه فَضْلُ[2]

ومنها: أنه قَسَمَ المُلْك بين أولاده، فعيَّن لكلٍّ واحدٍ منهم بلادًا، ففوَّض خُوَارَزْم وخُراسان ومازَنْدَرَان إلى وليِّ عهده قطب الدِّين أزلاغ شاه، وقدَّمه على أخويه الكبيرين جلال الدِّين وركن الدِّين[3]، اتباعًا لرأي والدته تُركان خاتون، وتحرِّي مرضاتها، إذ كانت أمُّ قطب الدِّين ـ دون أم سائر أمهات الأولاد ـ من قبيلة تُركان خاتون؛ والدة السُّلطان.

وفوَّض مُلك غَزْنة وبامِيان والغُوْر وبُسْت وتكياباذ وزمين داور، وما يليها من الهند إلى ولده الكبير جلال الدِّين مَنْكَبُرْتي، واستناب عنه بها، ولم ينفصل عن خدمة والده. وبعد خروج التاتار سار جلال الدِّين إليها، على ما يأتي شرحه[4].

وفوَّض مُلك كَرْمان وكِيْش ومُكْرَان لولده غياث الدِّين بير شاه، فسار بعد ظهور التَّاتار إليها إلى أن خَلَتِ العراق ممن يقوم بضبطها بعد وفاة السُّلطان، وتسحُّبِ جلال الدِّين إلى الهند[5]، فسار إلى العراق،

---

(١) في (ق): «نقض»، وهو تصحيف.

(٢) في الأصل: «أفضل»، وهو خطأ. والبيت لبديع الزمان الهمذاني من قصيدة، مطلعها:

سماء الدُّجى ما هذه الحَدَقُ النُّجْلُ أصدرُ الدُّجى حالٍ وجِيْدُ الضُّحى عُطْلُ

وهي في ديوانه (١١٨ ـ ١٢٠).

(٣) ثم قبيل وفاته خلع ابنه قطب الدين من ولاية العهد، وولى ابنه جلال الدين، تنظر: (ص٩٨) من هذا الكتاب.

(٤) ينظر: (ص١١٧ ـ ١١٨) من هذا الكتاب.

(٥) تنظر: (ص١٢٩ ـ ١٣١) من هذا الكتاب.

فملكها. وسلَّم مُلْك العراق إلى ولده ركن الدِّين غورسانجتي. وكان أحسن أولاده خَلْقًا وخُلُقًا، وجوَّد الخط، وكتب في حداثته خَتْمة بخطِّ يده. وكان كريمًا، عادلًا، خيِّر الطبع. وكان سبب تسميته بغُورسانجتي أنه وُلد يوم وردت البِشارة على السُّلطان بتملك الغُوْر.

فصل[1]

في ذِكْرِ الحوادثِ بعد عَوْدِ السُّلطان من العراق

لما وصل نَيْسابور وَرَدَ عليه الخبر بموت مؤيَّد الملك قِوام الدِّين؛ والي كَرْمان، وكان من جُمْلة الرَّعاع، رفعه السُّلطان، وساعدَه الزَّمان حتى بلغ من رُتْبة الملوكية ما عزَّ مناله.

ومبدأ أمره أنه كان ابن داية نُصْرة الدِّين محمد بن [لز][2]؛ صاحب زُوْزَن، فاختاره رسولًا إلى الأبواب السُّلطانية في مهمَّاته، فنصحه في الرِّسالة مرارًا إلى أن سوَّلت له نفسُه تقبيح حال مُرْسِلِه، طمعًا فيما كان يتولاه، فرمى إلى السُّلطان أن صاحبه فاسد العقيدة، له باطنٌ مع الباطنية. ثم رجع إليه، وقال: إن السُّلطان يعتقد فيك أنك باطني، وإني لأخشى عليك مغبَّة هذه التُّهَمة، وعاقبة هذه الظِّنَّة. فاستولى عليه الهَوْل والوَهَل[3]، وأزعجه عن مكانه الوَجَل، فانقطع إلى الإسماعيلية ببعض قلاعهم المتاخمة لزُوْزَن. وكتب قِوام الدِّين بصورة الحال إلى السُّلطان، ففوَّض إليه وزارة زُوْزَن، على أن يجبي أموالها للخزانة السُّلطانية، ففعل، واستمرَّ الأمر على ذلك.

ثم رأى أنه لم يهنَ له ما يتبلّغه ونصرة الدِّين بالقُرْب منه. فكاتبه

---

(١) على هامش الأصل: «بلغ مقابلة».

(٢) ما بين حاصرتين ليس في الأصل، ولا في نسخة المتحف البريطاني، وفي هامشها: «أنر»، والمثبت من (ن).

(٣) الوهل: الفزع. «اللسان»: (وهل).

خادعًا له، يؤمِّله إصلاح أمره مع السُّلطان حتى انخدع، ورجع إلى زُوْزَن. فكَحَله، ووَكَلَ به من سَمَله، غير راعٍ حقَّ الإنعام، ولا ناظرٍ في سُوء الأُحْدُوثة على تناسُخ الأيام.

فلما استقام أمرُه بزُوْزَن طَمِعَ في مُغالبة صاحب كَرْمان، واستنجد السُّلطان، فأنجده، فاستولى عليها. فاستحسن السُّلطان أثرَه، ولقبه بمؤيَّد المُلك، واستنابه بكَرْمان. وأوسَعَها عَدْلًا وإنصافًا، حتى ازدادت عِماراتُها أضعافًا، وكثُر لخاصِّه[1] من ذوات النِّتاج على اختلاف أجناسها، حتى تضاءل خَرَاج كَرْمان في جَنْبها.

ولما رجع السُّلطان من العراق وقد تفانت جِمالُه، قدِّم له بنيسابور أربعة آلاف من البَخَاتي[2] والتركيات[3]، وحُملَ إلى خزانة السلطان بعد وفاته من جُمْلة موجودِهِ من الذَّهب سبعون حِمْلًا، ما خلا سائر الأصناف. ووافى وصولها رحيل السلطان من حافَة جَيْحُون، مُجْفِلًا من التَّاتار، فرُميت بختومها في جيحون بما هو أعظم منها قدرًا من الخزانة المُسْتصحبة.

قال: ولما ألقى السُّلطان عصا القَرَار بنيسابور بعد انكفائِهِ من العراق[4]، عزل وزيره نظام المُلك ناصر الدِّين محمد بن صالح عن الوِزَارة. وكان شَرِهًا في أخذ البراطيل، قليلَ الحظِّ من أدوات الوِزَارة، لم يوجد فيه منها سوى المنظر والكَرَم المُفْرطين. وكان غلامَ والدة

---

(١) في (ن): «ما خاصه». وفي النسخة الباريسية وطبعة هوداس: «لخاصه»، وهي توافق ما في الأصل.

(٢) في (ن): «النجاتي»، وهو تصحيف.

(٣) في (ن): «التركيات»، دون واو العطف، والبخاتي جمع، مفردها بُخْت، وهي جِمال طوال الأعناق. «اللسان»: (بخت).

(٤) وفي نيسابور قطع الخطبة للخليفة الناصر لدين الله، وأشاع أنه مات. ينظر: «الكامل» (١٢/٣١٨).

السلطان وابن غلامها، وبإشارتها استوزره. وكان السُّلطان لا يخالف أمرها في دقيق الأمر وجليله، وكثيره وقليله، لأمرين: **أحدهما** ما نُدِبَ إليه من بِرِّ الوالدين. **والثاني** أن أكثر أمراء الدَّولة كانوا من عشيرتها، وبهم نازع الخطائية، فانتزع المُلك من أيديهم.

ولما أقام السُّلطان بنَيْسابور هذه المرَّة عند انصرافه من العراق، كان القاضي بها حينئذٍ ركن الدِّين المُغيثي[1]، وقاضي العسكر صدر الدِّين الجَنْدي. وكان هذا الجَنْدي[2] يمُتُّ إلى السُّلطان بخدمة سَلَفِه ـ وقد خدموا السُّلطان تُكُش أيام كان صاحب جَنْد، وقد أقطعها له والده أيل أرسلان بن أتْسِز ـ فولَّاه السُّلطان قضاء نَيْسابور، وأوعز إليه على لسان بعض الحُجَّاب أن لا يقدِّم للوزير تقدمة، ولا يحمل إليه خدمة، وقال: أنا الذي أهَّلْتُك لما وليتك برأيي، فليس لأحدٍ عليكَ في ذلك حق.

فأتاه آتٍ من الوزير سرًّا، وحذَّره عاقبة الإهمال، وخوَّفه، وقال: إياك أن تتكل على عناية السُّلطان، وتُهْملَ جانب الدِّيوان. ففَزِعَ القاضي، وحمل إلى الوزير كيسًا مختومًا، فيه أربعة آلاف دينار. فنَبَّه السلطانَ على ما ارتكبه القاضي من مخالفة أمره بعضُ عيونه الموكَّلة بالوزير، فطلب أن يُحمل إليه ما حمله القاضي سرًّا، فأُحْضِرَتْ بختمها. فلما حصل القاضي في المجلس العام، سأله السُّلطان عمَّا حمل للوزير، فأنكره كلَّ الإنكار، وأصرَّ على الإصرار، وحلف برأس السُّلطان أنه ما حمل إلى الوزير دينارًا ولا دِرْهمًا. فعند ذلك أمر السُّلطان بإحضار

---

(١) في «الجواهر المضية» (٤/ ٣٨٩): المعيني.

(٢) ضبطت النون في الموضعين بالفتح، والصواب بسكونها، نسبة إلى جَنْد؛ مدينة عظيمة في تركستان. أما الجنَد، بفتح النون، فهي نسبة إلى مدينة مشهورة باليمن. ينظر: «معجم البلدان» (٢/ ١٦٨ ـ ١٦٩)، و«توضيح المشتبه» (٢/ ٤٧٠، ٤٧٣).

الكيس، فأُحْضِرَ، ووُضع بين يدي القاضي، فلم يزد على الإطراق، وشمِّ الأرض بالأحداق. ثم أمر السُّلطان بالخِلْعة فنُزعت عنه، وحُملت بعينِها إلى القاضي المعزول، وأُعيد إلى منصبه، فكان بين تولية الجَنْدي وعزلِهِ يومٌ أو يومان.

وتقدَّم السُّلطان إلى جهان بهلوان بقطعِ أطناب سُرَادق الوزير، ورميها عليه، ففعل، وقال له: ارجع إلى باب أستاذك؛ يعني: والدة السُّلطان. فرحل للوقت على وَجَلٍ خامَرَ قلبه، ورُعْبٍ سَلَبَ لبَّه. ولم يثق بالوصول إلى خُوَارَزْم سالمًا، خوفًا مما يحدث من نتائج سُخْط السلطان عليه. فتوجَّه من نَيْسَابور إلى خُوَارَزْم يطوي المراحل طيَّ السِّجِلِّ للكِتاب، راضيًا من الغنيمة بالإياب، وحيث حلَّ من البلاد، قصده ذوو الحاجات وأرباب الظُّلامات، فيبتُّ الأحكام في القضايا، ولم يَجْسُر أحدٌ يقول: إنَّه معزول.

وكان من حيثُ فارق السُّلطان، رتَّب على الطريق خيالةً يُعْلمونه بمن يَرِدُ من الأبواب السُّلطانية وراءه. فأتاه بعضُهم، وهو بمرج سايغ[1]، فأخبره بأن الحاجب أُربُز[2] واصل. فامتعض، وانقطع قلبه، وأطرق مفكِّرًا، ولم يدر أطالع ضيافة أم طارق آفة؟ إلى أن وصل، وقبَّل الأرض، مستوفيًا آداب الخِدْمة على العادة. فثابت نفسُه إليه، فقال: إن السلطان يطلب دفاتر ديوان الوِزارة. فأصحبه إياها، ورحل صوب خُوَارَزْم سائرًا بل طائرًا، إذ كان لا يثق بخلاصه من أشداق القَنا[3] إلا

---

(١) في (ن): «شائغ»، وعرَّفه النسوي بقوله: وهو من المروج المشهورة بقرب قلعة خرندز، مسقط رأسي ومنشأ أساسي.

قلت: وسيرد ذكره كذلك (ص١١٦) من هذا الكتاب.

(٢) الضبط من الأصل. وفي (ن): «أربز بن سعد الدين سهم الحشم».

(٣) في (ن) و(ق): «الفناء»، وهو تصحيف. وقوله الآتي: «إلا بعد التجائه إلى =

بعد التجائه إلى ذلك الفِنا. وكان يوم وصوله إليها يومًا مشهودًا، لتقدم تُركان خاتون إلى أهلها؛ وضِيْعهم وشريفهم، كبيرِهم وصغيرهم، بالتقائه.

وحدَّثني من حضر، قال: تأخَّر برهان الدِّين؛ رئيسُ أصحاب أبي حنيفة بخُوَارَزْم وصدرُها[1]، فجاء في أخريات الناس، واعتذر في تأخره بالضَّعْف. فقال الوزير: نعم، لضَعْف النِّيَّة لا لضعف البِنْية. ثم أطلق الأتراك عليه بعد أيام بمئة ألف دينار، لِمَا نُقِمَ عليه من تأخُّرِه.

وكان كريم الدِّين الطَّيْفُوري عاملًا بنواحي خُوَارَزْم من قِبَل السُّلطان ـ والعامل هو الوالي عندهم ـ فقبض عليه ناصرُ الدِّين، وصادره على مالٍ جليل. فلما تخلَّص منه قصد خِدْمة السُّلطان بما وراء النَّهر، وشكا إليه سوءَ ما عامله به الوزير. فوجَّه السُّلطان عزَّ الدِّين طُغْرل ـ وكان من خواصِّه ـ إلى خُوَارَزْم، وأمره بحَمْلِ رأس ناصر الدِّين.

فلما قارب خُوارزم، وقد علمت تُركان خاتون قبل وصوله القِصَّة، وما وجِّه لأجله، فأحضرتْه بغير اختياره، وتقدَّمت إليه بأن يحضر الدِّيوان وقتَ جلوس ناصر الدِّين في دَسْت الوِزارة ـ وكانت قد فوَّضت إليه وزارة قطب الدين أزلاغ شاه؛ وليِّ عهد السلطان، صاحب خوارزم ـ ويبلغه على رؤوس الأشهاد سلامَ السُّلطان عليه، ويقول له: إن السلطان يقول: ما لي وزير غيرك، فكن على رأس عملك، فليس لأحدٍ في سائر أقاليم المُلك أن يخالف أمرك، ويُنكر قَدْرك. ففعل المذكور ذلك وما كاد، وخالف المرسوم والمُراد. واستمرَّت أوامر ناصر الدِّين بخُوَارَزْم وخُراسان ومازَنْدَران، دون سائر الأقاليم، نافذة، وأحكامه مُطاعة.

= ذلك الفنا»، ليست في النسخ الخطية ما خلا نسخة المتحف البريطاني، وقد أشار إليها محقق (ن) في الهامش، ولم يدخلها في المتن.

(١) تنظر الحاشية رقم: ٤ (ص٦٦) من هذا الكتاب.

وكان السُّلطان لمَّا استوزره، أمره بأن يحمل معه أربع حِراب مُغَشَّاة النُّصُب[1] بالذَّهب، أسوةً بمن[2] تقدَّمه من كبار الوزراء. فجُعلت بخوارزم ثماني حِراب. وعلى هذا القياس زِيْد في جميع مراتبه، كل ذلك يبلغ السُّلطان، وهو بما وراء النهر، فيزيده غيظًا على غيظ، وسُخْطًا على سخط. وعَجَزَ ذلك السُّلطان القاهر بعظمته، وتسخيره الجبابرة، عن شفاء غيظه في بعض غِلْمانه، ليعلم أن الدُّنيا لم تصفُ مشارِبُها عن قذًى، ومواهِبُها عن أذًى.

قال: ونصَّ السلطان بعد عزله لقضاء أشغالٍ تتعلق بالوزير على ستة، وشَرَط عليهم أن لا يبتُّوا أمرًا إلا بالاتفاق. فمُنِي الناس ببليَّة تحسَّروا معها على أيام ناصر الدِّين، إذ كان إرضاءُ واحدٍ على العِلَّات أسهلَ من إرضاء ستة. واستمرَّ الأمر على ذلك إلى أن انقرضتِ الدَّوْلة العلائية.

(١) النصب جمع، مفردها النِّصاب: وهو مقبض الحربة. «اللسان»: (نصب).

(٢) في الأصل: «من»، والمثبت من (ن).

فصل

في ذِكْرِ أسباب خروج التَّاتار ـ لعنهم الله ـ إلى تلك الدِّيار

لما ألقى السُّلطان عصا القَرار بما وراء النهر مُنْصرفَه عن العراق، وافته رُسُل جنكيزخان بالهدايا، يطلب المُسالمة والمُوادعة، وقالوا: الخان الكبير يسلِّم عليك، ويقول: ليس يخفى عليَّ عظيمُ شانك، وما بلغتَ من سُلطانك، ولقد علمتُ بَسْطة مُلكك، ونفاذَ[1] حُكْمك في أكثر أقاليم الأرض، وأنا أرى مسالمتك من جُمْلة الواجبات، وأنت عندي مثل أعزِّ أولادي. وغيرُ خافٍ عليك أنني ملكت الصِّين وما يليها من بلاد التُّرْك، وقد أذعنتْ لي قبائلهم، وأنت أخبر الناس بأن بلادي مثاراتُ العساكر، ومعادِنُ الفِضَّة، وأنَّ فيها لغُنْيةً عن طلب غيرِها، فإن رأيتَ أن نفتح[2] للتُّجَّار في الجهتين سبيلًا للتردُّد، عمَّتِ المنافع، وشَمِلتِ الفوائد.

فأحضر السُّلطان أحدَ الرُّسل، وهو محمود الخُوَارَزْمي، بعد سماعِهِ الرِّسالة ليلًا دون سائرهم، وقال: إنَّك رجل خُوَارَزْمي، ولا بدَّ لك من موالاةٍ فينا، وميلٍ إلينا. ووعدَه بالإحسان إنْ صدَقه فيما يسأله، وأعطاه من مِعْضَدَته[3] جوهرةً نفيسة علامةً للوفاء بما وعده، وشَرَط عليه أن يكون عينًا له على جنكيزخان. فأجابه إلى ما سأل رَغْبة أو رَهْبة، ثم

---

(١) في نسخة باريس، وطبعة هوداس: «وإنفاذ».

(٢) في الأصل لم يعجم إلا الفاء والتاء بعدها، فرجحت ما أثبتُّ. وفي (ن): «تفتح».

(٣) المعضدة كالسوار من الحُلي تكون في العضد. ينظر: «اللسان»: (عضد، دملج).

قال: اصْدُقني فيما يقول جنكيزخان إنه مَلَك الصِّين، واستولى على مدينة طوغاج[1]، أصادقٌ فيما يقول أم كاذب؟ فقال: بل صادق، ومثل هذا الأمر العظيم ليس يخفى حالُه، وعن قُرْب يتحقَّق السُّلطان ذلك. فقال: أنتَ تعرف ممالكي وبَسْطتها، وعساكري وكثرتَها، فمَنْ هذا اللَّعين حتى يخاطبَني بالولد؟ وما مقدار ما معه من العساكر؟ فلما شاهد محمود الخُوَارَزْمي آثار الغيظ، وتبدُّلَ لطيفِ الكلام بالخِصام، أعرض عن النُّصْح، ومال إلى الاسترحام، استخلاصًا من أنياب الحِمام، وقال: ليس عسكره بالنسبة إلى هذه الأمم والجيش العَرَمْرَم إلا كفارسٍ في خَيْل، أو دُخَانٍ في جُنْح ليل.

ثم أجاب السلطانُ إلى ما التمس جنكيزخان من أمر المُهادنة، فسُرَّ جنكيزخان بذلك.

واستمرَّ الحال على المُسالمة إلى أن وصل من بلاده تُجَّارٌ إلى أترار. وكان ينال خان ابن خال السُّلطان في عشرين ألف فارس، ينوبُ عن السُّلطان بها، فشَرِهَتْ نفسُه الدَّنِيَّة إلى أموال أولئك، فكاتَبَ السُّلطان مكاتبةَ خائنٍ مائن[2]، [يقول][3]: إنَّ هؤلاء القوم قد جاؤوا إلى أترار في زِيِّ التُّجَّار، وليسوا بتجار، بل أصحابُ أخبار، يكشِفون منها ما ليس من وظائفهم، وإذا خَلَوْا بواحدٍ من العوام يهدِّدونه، ويقولون: إنكم لفي غفلة عمَّا وراءكم، وسيأتيكم ما لا قِبَلَ لأحدٍ[4] به، وأمثال ذلك. حتى أذِنَ له السُّلطان في الاحتياط عليهم إلى أن يرى فيهم رأيه. فحين أرخى عِنانه

---

(١) في (ن): «طمغاج»، وفي نسخة المتحف البريطاني: «طوغاج»، وهي توافق ما في الأصل. وتنظر الحاشية رقم: ٦ (ص٥٣) من هذا الكتاب.

(٢) المائن: الكاذب. «اللسان»: (مين).

(٣) ما بين حاصرتين من (ن).

(٤) في (ن): «لكم»، وفي نسخة المتحف البريطاني: «لأحد»، وهي توافق ما في الأصل.

في الاحتياط عليهم، تعدَّى طوره، فقبض عليهم، وانقطع خبرهم، وتفرَّد المذكور بتلك الأموال مكيدةً منه وغدرًا[١]، وكان عاقبة أمره خُسْرًا[٢].

ثم وردتْ رُسُل جنكيزخان إلى السُّلطان: إنك قد أعطيتَ خطَّك ويدك بالأمان للتجار، وأن لا تتعرَّض لأحدٍ منهم، فغدرت ونكثت، والغدرُ قبيح، ومن سُلطان الإسلام أقبح. فإن كنتَ تزعم أن الذي ارتكبه ينال خان كان من غير أمرٍ صَدَر منك، فسلِّمْ ينال خان إليَّ لأجازيه على ما فعل، حقنًا للدِّماء، وإلا فأذَنْ بحَرْبٍ ترخُصُ فيها غوالي الأرْواح، وتتقصَّدُ[٣] فيها عوالي[٤] الرِّماح[٥].

فأمسك السُّلطان عن تسيير ينال خان إليه، على رُعْب خامَرَ قلبه، وخوفٍ سَلَب لُبَّه، إذ كان لا يمكنه تسييره إليه، وأكثر العساكر ورتوت[٦] الأمراء من أقاربه، وهم كانوا طِراز حُلَّته، والمتحكِّمين في دولته. واعتقد أنه لو لاطف جنكيزخان في الجواب لم يزده ذلك إلا طمعًا فيه، فتماسَك وتجلَّد وأبى، وقد خامر الرُّعْب الخَلَد، وأمر بقتلِ أولئك الرُّسُل، فقتلوا. فيا لها من قتلة أهدرتْ دماءَ أهلِ الإسلام، وأجرت بكلِّ قطرة سيلًا من الدَّم الحرام، فاستوفى[٧] عن الغيض[٨] فيضًا، وأخلى بكل شخصٍ أرضًا.

---

(١) ينظر: «تاريخ جهانكشاي» (١/٩٨).

(٢) اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ [الطلاق: ٩].

(٣) في (ق): «تتعضد»، وهو تحريف. وتتقصد: تتكسر، والقَصْد: الكسر في أي وجه كان. «اللسان»: (قصد).

(٤) في نسخة باريس ولينينغراد وطبعة هوداس: «عوامل».

(٥) ينظر: «تاريخ جهانكشاي» (١/٩٩)، و«مختصر تاريخ الدول» (ص٢٣٠).

(٦) تنظر الحاشية رقم: ٢ (ص٦٧) من هذا الكتاب.

(٧) في (ن): «فاستولى»، وهو تحريف.

(٨) في (ن) و(ق): «الغيظ»، وهو تحريف.

ولما بلغ السُّلطانَ مسيرُ جنكيزخان نحوه في عساكره، عزم على أن يبني سُورًا على سَمَرْقَنْد ودُورها ـ على ما قيل اثنا عشر فرسخًا ـ ثم يشْحَنُها بالرِّجال، ليكون سُدًّا دون الترك وسائر البلاد. ففرَّق عُمَّاله وجُباته، وأمرهم أن يستسلفوا لسنة خمس عشرة وست مئة خَرَاجًا تامًّا. فجُبي ذلك، فأعجله التاتار عن العِمارة، فبعث الجُباة، وأمرهم بجباية خَرَاج ثالث في سنتهم تلك، ليستخدم به الرِّجال. فاسْتُخدموا أسرع ما يكون، وتوجَّهوا من جميع الأقطار إلى مراكز راياته[1] كالسَّيْل سائرًا إلى مُنْحدره، والسَّهم صادرًا عن وَتَره. وصادفهم الخبر، وهم في طرقهم، بإجفال السُّلطان عن حافَة جَيْحُون من غير قتال. ولو أقام إلى أن تصل الجموع، لاجتمع خلقٌ لم يُسْمع بمثله كثرة، لكنَّ قضاءَ الله أغلب، وأمرَه أنفذ، وله الحُكْم في تقليب الأحوال، وتبديل الدُّوَل[2]، ونَقْلِ الممالك من والٍ إلى وال.

قال: ومن التَّدبير الخطأ أنه لما سَمِعَ بقُرْب جنكيزخان، فرَّق عساكره بمدنٍ ما وراء النهر وبلاد التُّرك، ولو التقى التاتارَ بكتائبه قبل أن يفرِّقها، لاختطفتهم خَطْفًا، وانتسَفَتهم[3] عن الأرض نَسْفًا.

ولما شارَفَ جنكيزخان تُخوم البلاد السُّلطانية تياسر[4] صوبَ أترار، وداوم القتال عليها ليلًا ونهارًا حتى استولى عليها[5]، وأحضر

---

(١) في (ن) و(ق): «مراياته»، وهو تحريف.

(٢) في (ن): «الأبدال».

(٣) في (ن): «لاختطفهم.. وانتسفهم».

(٤) في (ن) و(ق): «تباشر»، وهو تصحيف، وفي نسخة ليننغراد: «تياسر»، وهي توافق ما في الأصل. وتياسر؛ أي: أخذ يسارًا. ينظر: «اللسان»: (يسر).

(٥) هذه رواية النسوي، وعند الجويني أن من استولى على أترار ابنا جنكيزخان، وهما: جغتاي وأوكتاي، أما جنكيزخان فقد سار إلى وسط إقليم ما وراء النهر، فاستولى على مدنه، وألقى حصاره على بُخارى، ثم سمرقند. ينظر: =

ينال خان بين يديه، فأمر بسَبْك الفِضَّة وقَلْبِها في أذُنيه وعينيه، فقُتل تعذيبًا، جزاء لفعله الفظيع، وخَطْبه الشَّنيع، وسعيه المذمومِ عند الجميع.

فلما استولى جنكيزخان على أترار، حضره بدرُ الدِّين العميد ـ وكان ينوبُ بأترار عن الصَّفِي الأقرع؛ وزير السُّلطان ببلاد التُّرك ـ وخلا به، وكان يحقِدُ على السُّلطان قتلَه[1] أباه، [وعمَّه][2] القاضي منصورًا، وجماعةً من بني عمِّه وإخوته عند استصفائه مملكة أترار، وقال: ليعلم الخان أن السُّلطان أبغضُ خلق الله عندي، لإفنائِهِ خَلْقًا من أهلي، ولو قَدَرْتُ على استيفاء ثأري منه ببذل روحي لفعلت. لكني مخبرُك بأنه سلطانٌ عظيم، صاحبُ قُدْرة، ولا يغرَّك تفريقه العساكر بهذه الأطراف، فإن فيما[3] معه من الجيش اللُّهام[4] لغُنْية عن غيره، ولو أراد لحَشَرَ من بسيط مُلْكه أضعاف ذلك. والرأي أن تعمل عليه حيلة يتوهَّم بها من أمراء عسكره. وعرَّفَه ما بينه وبين والدته من الوَحْشة والتنافر، وتجاذبا في ذلك أطرافَ الكلام، حتى اتفقا على أنْ زوَّر بدر الدِّين العميد كُتُبًا عن لسان الأمراء، قرائب[5] والدة السُّلطان، يذكر فيها: أننا قد تسحَّبْنا من بلاد التُّرك بعشائرِنا ومن يلوذ بنا إلى السُّلطان، رغبةً في خدمة والدته، وقد نصرناه على كافة ملوك الأرض حتى مَلَكها، ودانت[6]

= «تاريخ جهانكشاي» (١/ ١٠١، ١٠٣).

(١) في (ن) و(ق): «لقتله». وفي نسخة باريس وطبعة هوداس: قتله، وهي توافق ما في الأصل.

(٢) ما بين حاصرتين من (ن).

(٣) في (ن): «فيها»، وفي نسخة لينينغراد: «فيما»، وهي توافق ما في الأصل.

(٤) الجيش اللهام: الكثير؛ كأنه يلتهم كل شيء. «اللسان»: (لهم).

(٥) قرائب: الجمع من النساء، مفردها قريب، والجمع من الرجال أقارب. «اللسان»: (قرب).

(٦) في (ن): «وذلت».

له الجبابرة، وخضعت له الرِّقاب. وها هو الآن قد تغيرت نيَّتُه في حقِّ والدته، عُتُوًّا منه وعُقوقًا، وهي تأمركم[1] بخِذْلانه. فنحن على انتظار وصولك، واتباع مُرادك وسُؤْلك.

وسيَّر جنكيزخان هذه الكُتُب إلى السُّلطان على يد بعض خواصِّه، هاربًا في ظاهر الأمر، ومبعوثًا في باطن السِّر. فنشرها السُّلطان عن منذرات بخَيْنه، مظلماتٍ للدُّنيا على عينه[2]. ففترت عزائمُه في مقاصده، إذ أتته الرَّزايا من وجوه فوائده، وأخذ يبدِّدُ شَمْلهم، ويفرِّق جمعهم، تعليلًا بتقوية البلاد.

وسيَّر جنكيزخان دَانشْمَنْد الحاجب، وهو من خواصِّه، إلى تُركان خاتون بخُوَارَزْم، يقول: قد عرفتُ مقابلة ابنك حقوقك بالعُقوق، وها أنا قد قصدته بمواطأة من أمرائِهِ، ولست بمتعرِّضٍ إلى ما تحت يدك من البلاد، فإن أردتِ ذلك بعثتِ إليَّ من يستوثق لك مني، فتَسْلَمُ لك خُوَارَزْم وخُراسان وما يتاخِمُها من قاطع جَيْحون. فكان جوابُها عن هذه الرِّسالة أنها خرجتْ عن خُوَارَزْم مُجْفِلة، وتركتها وراءها مُهْمِلة.

(١) في (ن): «تأمر».

(٢) في (ن): «مظلمات بالدنيا في عينه».

فصل

فيما جرى على أهل السُّلطان الذين كانوا بخُوَارَزْم وخروج أمِّ السلطان منها في أواخر سنة ست عشرة وست مئة

اتَّفق وصولُ الحاجب؛ رسول جنكيزخان إلى خُوَارَزْم، وورود الخبر بإجفالِ السُّلطان عن حافَة جيحون، فقَلِقَت أمُّه تُركان خاتون لهذا الخبر قلقًا لم تكتَحِل عينها معه بغِرَار[1]، ولم ترَ خُوَارَزْم دارَ قَرَار. فاستصحبتْ ما أمكنها استصحابُه من حُرَم السُّلطان، وصغارِ أولاده، ونفائس خزائنه. وخرجت عن خُوَارَزْم مودِّعة، والعيون كادت[2] لوداعها تصوب[3]، والقلوب تذوب.

وقدَّمت عند خروجها من نقيض البِرِّ، ما أرَّخ الزَّمان بسوء الذِّكر، وترَك سُبَّةً مخلَّدة على وجه الدَّهر؛ وهو أنها كانت تعتقد أن نارَ تلك الفِتْنة عن قريبٍ تُخْمَد، وأن العُرْوة المُنْفصمة سوف تُعْقَد. فأمرتْ بقتلِ مَنْ كان بخُوَارَزْم من الملوك الأَسَارى، وأبناءِ الملوك، وذوي المراتب المُنِيفة من كبار الصُّدور زُهاء اثنتين[4] وعشرين نفسًا[5]، مثل: ابني

---

(١) الغرار: النوم القليل. «اللسان»: (غرر).

(٢) في (ن): «كانت». وما في الأصل أصح.

(٣) أي: تدمع، من الصَّوب: وهو نزول المطر. «اللسان»: (صوب). وشرحها محقق (ق): بقوله: تتجه. وقد جانب الصواب.

(٤) في الأصل: «اثنين»، وهو خطأ.

(٥) في (ن) و(ق): «زهاء اثني عشر نفسًا». كذا، وصوابها: «زهاء اثنتي عشرة نفسًا».

السُّلطان غياث الدين الغُوري، وابن طُغْرل السَّلجوقي، وأصحابِ بَلْخ وتِرْمِذ وبامِيان[1] وغيرها، وبُرْهان الدِّين محمد صدر جهان[2]، وأخيه افتخار جهان، وابنيه، وغيرهم. ولم تعلم أن رَتْق ذلك الفَتْق، ورفوَّ ذلك الخَرْق بالإنابة إلى الله تعالى أَوْلى، وأنَّ الرُّجوع إلى الحق أحمدُ في البُدوِّ والعُقْبى.

فخرجتْ عن خُوَارَزْم، وصَحِبَها مَنْ قَدَرَ على الخروج، وتعذَّرت صُحْبتُها على أكثر النَّاس، إذ كانتِ النفوس لا تسمح بتسييب ما حوت من الحُطام، وجمعتْ من وجوه الحِلِّ والحَرَام.

واستصحبتْ عمر خان ابن صاحب يازر، وكان مَعُوقًا بها، لخبرته بهاتيك الطُّرق المُفْضية إلى بلاده. وكان المذكور قد لقِّب بصَبُور خان، وسبب تلقيبه أنَّ أخاه هندو خان كان قد سَمَله حين استولى على المُلك، فرَفَق به المباشر للسَّمْل، مُبْقيًا على بَصَره، وناظرًا في نَظَره. فتعامى المذكور إحدى عشرة سنة إلى أن توفي هندو خان، وملكت تُركان خاتون بلد يازر، محتجَّةً بأن هندو خان كان مزوَّجًا بامرأة من قرائبها. ففتح عمر خان عينيه، وقصد بابَ السُّلطان يرجو تقرير المُلك عليه، فلم يحصل له ممَّا كان يأمَلُه غيرَ تلقيبه بصبور خان.

فخرج المذكور في خِدْمتها عن خُوَارَزْم، حتى إذا قاربت تُخوم يازر خافت أن يفارقَها، فأمرتْ بضرب عنقه، فقُتل صَبْرًا، وأُهلك غَدْرًا.

وسارت بما معها من الحُرَم والخزائن، فصَعِدَت قلعة إيلال؛ وهي من أمَّهات قلاع مازَنْدَرَان، فأقامت بها إلى أن فرَغ التاتار من إجلاء السُّلطان، وإلجائِهِ إلى الجزيرة التي مات بها، على ما سيأتي[3].

---

(١) صاحب باميان هو: علاء الدين، تنظر الحاشية رقم: ١ (ص٦٤) من هذا الكتاب.

(٢) تنظر الحاشية رقم: ٤ (ص٦٦) من هذا الكتاب.

(٣) ينظر: (ص٩٤) من هذا الكتاب.

وحُوصرت إيلال أربعة أشهر، وبُني حولها سُور، وعُلِّقت[1] على السُّور أبواب، تُغلق بالليل وتُفتح بالنهار ـ وهذه عادتهم في حصار القلاع المنيعة ـ إلى أن ضُويقت بالحِصار.

ومن العجائب النَّادرات أن قلعة من قلاع مازَنْدَرَان، وهي دائمةُ الأنواء، كثيرة الأنداء، فالسَّماء بها قلَّ ما تقشع، والأمطار بها لا تكاد تقلع، تُؤخذ بالعَطَش. فقدَّر الله تعالى أن أصْحَتِ السَّماء[2] مُدَّة الحصار، فألجأتْها إلى طلب الأمان[3]، فأُجِيبت إلى ذلك، ونزلتْ ومعها الوزير المعزول. وقد ذُكِرَ أنَّها كانت تنزل من القلعة والسَّيْل يخرج من بابها، وفاضت الصَّهاريج في ذلك النهار، سرًّا من الله تعالى الواحد القهَّار، في هَدْم بنية وتأسيس أخرى، وإن في ذلك لذوي الألباب ذكرى. وأُسرتْ تُركان خاتون، وحُملت إلى جنكيزخان[4]. وأخبارُها كانت تأتي جلال الدين في زمانه، ولست أدري ما فعل الزَّمان بها بعده.

قال: وحدَّثني بدرُ الدِّين هلال الخادم؛ وكان من جُمْلة خُدَّامها، ولما أَيِسَ من خلاصِها نجا بنفسه هاربًا إلى جلال الدِّين، قال: قلتُ لها: هلمِّي نهرب إلى جلال الدِّين؛ ولدِ ولدك، فإنَّ الأخبار قد تواترت بشَوْكته، وبَسْط باعه، واتساع عِرَاصه[5]. قالت: بُعْدًا وسُحْقًا، وكيف يهون عليَّ أن أكون في نِعْمة ابن أي جيجاك، وتحت ظلِّه؟! ـ تعني: أم جلال الدِّين ـ وأن الأَسْرَ عند جنكيزخان، وما أنا فيه من الذُّلِّ

---

(١) في (ن) و(ق): «وغلقت».

(٢) في (ن): «أصحب»، وهو تصحيف، وأصحت السماء؛ أي: انقشع عنها الغيم. «اللسان»: (صحا).

(٣) لفظ: «الأمان» ليس في (ن) و(ق).

(٤) ينظر: «تاريخ جهانكشاي» (٢/ ١٠٠ ـ ١٠١).

(٥) العِراص جمع، مفردها عَرْصة: وهي كل موضع واسع لا بناء فيه. وعنى بها هنا بلاد جلال الدين. «اللسان»: (عرص).

والهَوان، أحبُّ إليَّ من ذلك. وكانت تُبْغِض جلالَ الدِّين بُغضًا شديدًا.

وحكى الخادمُ المذكور، قال: آلَ أمرُها في الأَسْر من العُسْر أنها كانت تحضُر تاراتِ سِماطَ جنكيزخان[1]، فتحمل منه ما يقوتُها أيامًا. وكان حُكْمها قد نفذ قبلُ في أكثر أقاليم الأرض، فسبحان مُغيِّر الحالِ بعد الحال.

وأما صغار أولادِ السُّلطان الذين كانوا في صُحْبتها، فقُتلوا جميعًا حين نزلوا، إلا أصغرَهم سِنًّا كُماخِي شاه[2]، وكانت مُسْتأنسة به، تُزْجي به أيام البُؤس والأسى، وأوقات الضُّر والبَلْوى. بينا كانت تسرِّح رأسه ذات يوم، وهي تقول: عندي اليوم من ضيق الصَّدْر ما لم أكن أجد قبلُ. إذ أتاها بعض سرهنكية جنكيزخان مستحضرًا للصَّبي، ففارقها، وكان آخر عهدِها به. فلما حَضَر[3] بين يديه أمر بخنقه، فخُنِقَ. فجُوزيت في الدُّنيا بما ارتكبتْ من الإهلاك، وإفناءِ بني الأملاك.

وأما بنات السُّلطان، فقد تزوَّج بكلِّ واحدة منهن[4] شخصٌ من المُرْتدَّة[5]، ما خلا خان سُلطان؛ وهي التي كانت مزوَّجة بسلطان السَّلاطين عثمان؛ صاحب سَمَرْقَنْد. فإن دوشي بن جنكيزخان استخصَّها لنفسه، واستولدها، ثم مات عنها. ثم كانت بعدُ تكاتبُ أخاها جلال الدِّين بأخبار التاتار. وممَّا أخبرتْه به، وهو محاصِرٌ أخلاط[6]: أن

---

(١) السماط: المائدة السلطانية، وتارات؛ أي: في المرة بعد المرة. ينظر: «التعريف بمصطلحات صبح الأعشى» (ص١٨٥).

(٢) الضبط من الأصل.

(٣) في (ن): «أحضر»، وفي نسخة باريس: «حضر»، وهي توافق ما في الأصل.

(٤) في الأصل، ونسخة باريس، وطبعة هوداس: «منهم»، والمثبت من (ن).

(٥) في طبعة هوداس، و(ق): «المزندة»، وهو تصحيف. ويعني بالمرتدة من تعاون مع التاتار من أهل البلاد، وسيأتي خبر بعضهم (ص١٠٧، ١٢٣) من هذا الكتاب.

(٦) ينظر: (ص١٩١ ـ ١٩٢) من هذا الكتاب.

الخاقان قد أمر بتعليم أولادِها القرآن، وقد بلغه أخبارُ شَوْكتك، فعزَمَ على مصاهرتك، ومُشاطرتك المُلك على نهر جَيْحون، فيكون لك ما دونه، وله[1] ما وراءه. فتشاغل عنها بأخلاط وتغافل، ولا مردَّ لقضاء الله النازل.

وتزوَّج بتُركان سُلطان؛ وهي شقيقة أزلاغ شاه، دَانشْمَنْد الحاجب؛ الذي ورد رسولًا من جنكيزخان على تُركان خاتون[2].

وأما حالُ الوزير نِظام المُلك المعزول، فقد أقام بينهم مكرَّمًا مُشَفَّعًا، لعلمهم بتغيُّرِ[3] رأي السُّلطان عليه، وانحطاطِهِ عن منزلته. وربما كان جنكيزخان يأمره باسترفاع حسابات بعض البلاد، فيقوم له بذلك جاهٌ يسير، إلى أن استولى دوشي خان على خُوَارَزْم، وصبَّ على أهلها سُوط[4] نقمته[5].

وحُملت إلى جنكيزخان مغنيات السُّلطان، وفيهن بنت زنكجية[6]، ذاتُ جَمَال وحُسْن، فطلبها زين؛ الكحَّال السَّمَرْقَنْدي من جنكيزخان ـ وكان المذكور قد داوى عينَ اللَّعين من الرَّمِد ـ فوهبَها له. وكان الكَحَّال مُفْرطًا في قُبْح الصُّورة، وسُوء العِشْرة، فأبغضَتْه. وحُقَّ لها أن

---

(١) في الأصل: «ولك»، وهو سبق قلم، والمثبت من (ن). وفي هذا الخبر مثل لمنهج أبي شامة في اختصاره، فقد أورده النسوي في أثناء حصار خلاط، وقدمه أبو شامة إلى هذا الموضع.

(٢) ينظر: (ص٨٢) من هذا الكتاب.

(٣) في (ن) و(ق): «بتغيير»، وفي نسخة المتحف البريطاني ونسخة لينينغراد: «بتغير»، وهما توافقان ما في الأصل.

(٤) في (ن) و(ق): «صوب»، وفي نسخة المتحف البريطاني: «صوط». وما في الأصل هو الصواب.

(٥) ينظر: (ص١٣٩) من هذا الكتاب.

(٦) في (ن) و(ق): «زنكيجة».

لا تستبدل بمثله عن سُلطان الإسلام، والقاعدِ من قمة الفَرْقدين على الهام. فأقامت عند الوزير يومين أو ثلاثة، وجاءها الطلب من الكحَّال مِرارًا، وهي تدافع. فمشى الكحَّال إلى جنكيزخان مُشَنِّعًا، وقال: إن الوزير يقول: أنا أحقُّ بها من غيري. فغضب جنكيزخان، وأمر بإحضار الوزير. فأقيم بين يدي جنكيزخان، فأخذ يعدِّد[1] عليه غَدْرَه بأستاذه ووليِّ نِعْمته[2]، وفسادَه في دولته، فأخْفَرَ ما أعطاه من ذِممه، وأحلَّ الأرضَ حرامَ دمِهِ.

وكانت تُركان خاتون من قبيلة بياووت، وهي فرعٌ من فروع يمك، وقد لقِّبت عند ارتفاعِ شأنها بخداوند جهان ـ يعني: صاحبة العالم ـ وكانت بنت خان جنكَشي؛ ملك من ملوك التُّرك، فتزوَّج بها تُكُش بن أيل أرسلان زواجَ الملوكِ بنات الملوك.

ولما انتقل المُلك إلى السُّلطان محمد وراثةً عن أبيه تُكُش، تسحَّبت إليه قبائلُ يمك ومن[3] يجاورها من الترك، فتكثَّر بهم، واستظهر بمكانهم. وتحكَّمَت لهذا السبب تُركان خاتون في المُلك، فلم يملكِ السُّلطان إقليمًا إلا وأفرد لخاصَّتها منه ناحية جليلةً.

وكانت ذا مَهابة ورأي، وإذا رُفعت الظُّلامات إليها تحكُم فيها على قانون العَدْل والإنصاف، وكانت تُنْصف[4] المظلوم من الظالم، غير أنها كانت جَسُورةً[5] على القتل. وكانت لها خيرات ومُسْبلات في البلاد.

---

(١) في (ن) و(ق): «يعد».

(٢) «وولي نعمته»، ليست في النسخ الخطية، ما خلا نسخة المتحف البريطاني، وهي توافق ما في الأصل. أشار إليها محقق (ن)، ولم يدخلها في المتن.

(٣) في طبعة هوداس: «ممن».

(٤) في (ن): «تنتصف للمظلوم». وفي نسخة المتحف البريطاني: «تنصف»، وهي توافق ما في الأصل.

(٥) في (ن) و(ق): «جسورًا»، وفي نسخة باريس وطبعة هوداس: «جسورة»، =

وكان لها من كُتَّاب الإنشاء سبعة من مشاهير الفضلاء، وسادات الأكابر. وإذا ورد عنها وعن السُّلطان توقيعان مختلفان في قضيَّة واحدة، لم يُنظر إلا في التاريخ، فيُعمل بالأخير بكافة الأقاليم. وكان طُغْراء[1] تواقيعها: عِصْمة الدُّنيا والدِّين، ملكة نساءِ العالمين. وعلامتُها: اعتصمتُ بالله وحدَه. وكانت تكتبها بقلمٍ غليظ، وتجوِّد الكتابة فيها، بحيث يَعْسُرُ أن تُزوَّر عنها علامتُها[2].

ولما رحلتْ عن خُوَارَزْم لم تترك بها من يقوم بضبط الأمور. فتولَّى أمرَها رجلٌ عيَّار مصارع كذَّاب، فوقع الناس من سُوء تدبيره في خُباط واختلاط. وزالتْ هيبة المُلك، إلى أن رجع إلى خُوَارَزم بعد موت السُّلطان بعض نوَّاب الدِّيوان، فضبطوا المال إلى أن رجع إليها جلالُ الدِّين وأخواه[3]، كما يأتي[4].

= وهي توافق ما في الأصل. وانتصر محقق (ق) لما أثبت قائلًا: وجسور من الصفات التي لا تلحقها تاء التأنيث مثل امرأة عجوز وصبور.
قلت: بلى تلحقها تاء التأنيث، فقد ورد في اللغة: امرأة جسور وجسورة، كلاهما صحيح. ينظر: «اللسان»: (جسر).

(١) الطغراء: هي الطرة التي تكتب في أعلى الكتب فوق البسملة بالقلم الغليظ، ومضمونها نعوت الملك الذي صدر الكتاب عنه. «وفيات الأعيان» (٢/ ١٩٠).

(٢) ينظر عنها كذلك: «تاريخ جهانكشاي» (٢/ ٩٩).

(٣) وهذا الخبر كذلك ذكره النسوي في فصل خاص بعد ذكره وفاة السلطان علاء الدين محمد، وقدمه أبو شامة لهذا الموضع.

(٤) في هامش الأصل: «بلغ عرضًا». وينظر: (ص١١٣) من هذا الكتاب.

فصل

في استيلاء التَّاتار الملاعين على بُخارى

لما بلغ السُّلطان استيلاءُ جنكيزخان على أترار، وقَتْله ينال خان ومن كان معه من العسكر بها، أقام بحدود كيلف وأبدخوذ[1]، منتظرًا وصول الجُموع من الجِهات. فساق جنكيزخان بعد استيلائه على أترار إلى بُخارى، وهي أقربُ المدن إلى مراكز الرَّايات السُّلطانية، يحاصرها. وقد قصد بذلك أن[2] يقطع بين السُّلطان وبين عساكره المتفرِّقة، حتى لو بدا له فيما[3] فعل من تفريقهم لم يقدِر على جَمْعهم. فحطَّ على بُخارى محاصِرًا، وبمن ساقهم من رجَّالة[4] أترار وخيَّالتها متكاثِرًا، وداوم القتالَ عليها ليلًا ونهارًا، حتى استولى عليها عَنْوة واقتدارًا.

ولما رأى الأمراء بها أنها أَشْرفت على الأَخْذِ تخاذلوا[5]، فاستبدلوا بمُسْكة العزائم هُتْكة الهزائم، فأجْمَعوا على أن يخرجوا، فيحملوا حَمْلة رجلٍ واحد، تنفيسًا للخِناق. ففعلوا وخرجوا. فانهزم التاتار من قُدَّامهم، وفتحوا لهم طريق انهزامهم.

---

(١) هكذا في الأصل، وفي (ن): «كيلف وأندخود»، وفي نسخة باريس: «ايدحود»، وأهملت حروفها في نسخة لينينغراد، وفي (ق): «كتلف وأندخوذ»، وقال محققها: كتلف: بلدة في خراسان، بين مدينتي بلخ ومرو.

(٢) في الأصل: «أنه»، والمثبت من (ن).

(٣) في (ن): «فيها»، وهو تحريف.

(٤) في الأصل: «رجال»، والمثبت من (ن).

(٥) في (ن): «تجادلوا».

قال: فلو أنَّ المُسْلمين أرْدَفُوا الحملة بأخرى كاسِعةٍ[1] في أدْبارهم، لاستمرَّت الهزيمة بهم، غير أنهم لإدبار زمانهم قَنِعُوا بالخلاص. ولما علم التاتار أن قُصَاراهم النَّجاة، جدُّوا في طلبهم، وسدُّوا[2] عليهم وجوه مَهْربهم، وتَبِعوهم إلى حافَةِ جَيْحُون، فلم ينجُ منهم إلا شِرْذِمة يسيرة، وشَمِلَ القتل معظمَ ذلك الجيش. وغَنِمَ التاتار من الأموال والأسلحة، والعَتاد والعُدَّة، ما ارتاشتْ به أحوالهم[3]، وأمْرَعَتْ رِحالهم[4].

ولما فاجأ السُّلطان أمرُ هذه الحادِثة الكارِثة، أقلقه وأكمَدَه، وأضْعَفَ عن كلِّ شيء قلبَه ويدَه، فعبر جَيْحُون بائسًا، وعن بلاد ما وراء النَّهر آيسًا. وفارقه إلى التَّاتار عند اضطرابِ حاله وفَناء رجاله، المقدَّمين من بني أخواله، سبعةُ آلافٍ من الخطائية. واتَّصل علاءُ الدِّين؛ صاحبُ قندز بجنكيزخان مُصاهرًا[5]، وبعداوة السُّلطان مُجاهرًا. وأخذ النَّاس في التخاذل والتسلل؛ ومن هناك وَهَى الأمر، وانبثق السَّكْر، وانفصمتِ العُرى، وانتقضت المَرَائر[6] والقُوى. ولكلِّ مريرٍ انتقاض، ولكلِّ أمر انقراض[7]، كذلك يؤتي الله المُلك من يشاء وينزِعُه ممن يشاء، وهو الفعَّال لِمَا يريد.

---

(١) الكَسْع: أن تضرب بيدك أو برجلك على دبر إنسان. «اللسان»: (كسع).

(٢) في (ن): «سبوا»، هكذا قرأها محققها، فحرَّفها. وفي نسخة باريس، وطبعة هوداس: «سد».

(٣) أي: حسنت أحوالهم. «اللسان»: (ريش).

(٤) أي: أخصبوا. «اللسان»: (مرع).

(٥) كذا في الأصل، وفي (ن): «مظاهرًا»، وهي الأشبه.

(٦) المرائر جمع، مفردها مريرة: وهي الحبال المفتولة على أكثر من طاق. «اللسان»: (مرر).

(٧) في الأصل: «انتقاض»، وقد ضبب فوقها، والمثبت من (ن).

ولما اتَّصل بجنكيزخان من سبق ذِكْرُه من الرُّتوت[1]، أشعروه بما استشعر السُّلطان من الوَجَل، وأعلموه بما عنده من الفَشَل، فجرَّد ثلاثين ألفًا حتى عبروا النهر[2] صوبَ خُراسان[3]، ﴿فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ [الإسراء: ٥][4].

وجرى من السَّفْك والنَّهْب والتخريب ما غادر الضِّياع[5] حِشِيْن[6]، وشرَّد الزُّرَّاع عِزِين[7]، واستخلص الضَّاحية والضَّامنة[8]، واعتصر البادية والكامنة، وأخرس الثُّغاء والرُّغاء[9]، وأنطق الهامَ والأَصْدَاء[10]،

---

(١) تنظر الحاشية رقم: ٢ (ص٦٧) من هذا الكتاب.

(٢) أي: نهر جيحون.

(٣) هؤلاء التاتار هم الذين تولوا ملاحقة السلطان علاء الدين محمد حتى ألجؤوه إلى جزيرة في بحر قزوين، حيث مات كمدًا، كما سيأتي في الفصل التالي. ويسميهم ابن الأثير التاتار المغرِّبة؛ لأنهم ساروا نحو غرب خراسان، وأوغلوا في البلاد، تمييزًا لهم عن باقي جيش التاتار، ينظر: «الكامل» (١٢/ ٣٦٩)، و«تاريخ جهانكشاي» (٢/ ١٦ ـ ٢٥).

(٤) ولم يتنبه محقق (ق) إلى أنها آية كريمة، فأدرجها في الكلام.

(٥) في (ن) و(ق): «الصناع»، وفي نسخة لينينغراد: الضباع، وكلاهما تصحيف. وفي نسخة المتحف البريطاني: «الضياع»، وهي توافق ما في الأصل.

(٦) في (ن) و(ق): «خشين»، وهي تصحيف. وفي نسخة باريس: «حشين»، وهي توافق ما في الأصل، ومعناها: قفرة خالية. «اللسان»: (وحش).

(٧) في (ن): «عرين»، وهي تصحيف. عزين: «متفرقين». «اللسان»: (عزا).

(٨) في (ن): «الصاحية والضامنة»، وهي تصحيف. وفي طبعة هوداس و(ق): «الضاحية الضامنة»، دون واو، وهو وهم. والضاحية من النخل الظاهرة البارزة من العمارة التي لا حائل دونها، والضامنة: ما تضمها الحدائق والأمصار، وأحيط عليها. ينظر: «اللسان»: (ضحا).

(٩) الثغاء: صوت الشاء والمعز. والرغاء: صوت الإبل. «اللسان»: (ثغا، رغا).

(١٠) الهام جمع مفردها هامة: وهي طائر يخرج من رأس الميت إذا بلي. والأصداء جمع الصدى: وهو طائر يصيح في هامة المقتول إذا لم يثأر به. يزعم ذلك =

وشُوهد من اللَّأْوَاء[1] ما لم يُسْمع بمثله[2] في الأعْصُرِ الأُوَل، ولا فيما مضى من الدُّوَل.

وهل بلغك أنَّ طائفة خرجت من مطلع الشَّمْس، فقطعت الأرض إلى باب الأبواب، فعبرت إلى بلاد قفجاق، وشَنَّت على قبائلها غارة شَعْواء، وخبطتْها بالسُّيوف خبطَ عَشَواء، فلم تَدُسْ أرضًا إلا نهبَتْها، ولا بلدةً إلا خرَّبتها[3]، ثم رجعت إلى صاحبها من طريق خُوَارَزْم بعد هذه الدَّورة سالمةً غانمة، وقد أهلكتْ حَرْثَ البلادِ ونَسْلها، وعَرَضت على ظُبَى السُّيوف أهلها، كل ذلك فيما دون السَّنتين؟! ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

= أهل الجاهلية. «اللسان»: (هوم، صدي).

(١) اللأواء: المشقة والشدة. «اللسان»: (لأي).

(٢) بمثله، استدركت على هامش الأصل، ولم يظهرها التصوير، وأثبتها من (ن).

(٣) في (ق): «فلم يدس أرضًا إلا نهبها، ولا بلدًا إلا خربها»، وهو تحريف.

فصل

فيما قاسى السُّلطان من الشَّدائد والجَفَلات إلى أن مات بجزيرة بَحْر القُلْزُم[1]

وكان لمَّا عبر جَيْحُون وصل إلى خِدْمته عماد الدِّين المَلك؛ وزيرُ ابنه ركن الدِّين، صاحب العراق. وكان ذا قول مسموع، ورأي في الأمور مَتْبوع. فأخذ ينفُثُ على السُّلطان أنه إذا انسحب إلى العراق، ساليًا عن خُراسان وأهليها، وقاليًا قَرَارة البلاد، ومَبَاءة[2] الطَّارف والتِّلاد، فيها نثير[3] له من الأموال والرِّجال ما يسدُّ به الثَّلْم، ويداوي به

---

(١) كذا في الأصل، وتظاهرت عليه النسخ كلها. ويبدو أنه وهم قديم من أحد النساخ، أو لعله سبق قلم من النسوي، وقد غلبه ذهولٌ حزين، فطغا قلمه، وهو الأرجح. وتابعه عليه أبو شامة، ولم يتنبه له محققا (ن) و(ق). وصوابه: «بحر قزوين». فبحر القلزم، هو البحر الأحمر كما كان يسمى قديمًا، وليس هو المراد هنا. وسماه ابن الأثير: بحر طبرستان. وطبرستان ـ كما قال ياقوت ـ في البلاد المعروفة بمازندران.

قلت: وإليها انتهى السلطان في هروبه من التاتار، كما سيأتي. ويسمى بحر قزوين، ويقال له كذلك بحر الخزر، ينظر: «الكامل» (١٢/ ٣٧٠)، و«معجم البلدان» (٤/ ١٣، ٣٨٧ ـ ٣٨٨)، و«مفرج الكروب» (٤/ ٤٥)، و«تاريخ جهانكشاي» (٢/ ٢٤)، و«المعجم الوسيط» (ص٧٨٩).

(٢) في (ن) و(ق): «ومياه»، وفي نسخة المتحف البريطاني: «منآه»، وكلاهما تحريف. والمباءة: المنزل. «اللسان»: (بوأ).

(٣) في (ن) و(ق): «يثير»، وهو تصحيف، والنثير: المنثور، وكأنه نثر لكثرته، ومنه قولهم: كثير نثير. ينظر: «كتاب الإتباع» لأبي الطيب اللغوي (ص٩٦).

الكَلْم. فباع العين بالضِّمار[1]، وخلَّف وراءه من البلاد والرِّجال، ما كانت العراق بالنسبة إليه كالشيء عند المعتزلة بل أحقر، وكالجوهر الفرد عند من يُثْبته بل أصغر[2]. فرحل من حافَةِ جَيْحُون إلى نَيْسَابُور، والنَّاس يتسللون. ولم يقم بنيسابور إلَّا ساعة من نهار، رُعْبًا تمكَّن من صدره، وذُعْرًا سَرَى إلى صميم قلبه[3]، وخِيْفة سالت به [في][4] أودية الظنون، ونفَّرَتْه عن ضَمِّ القوادم للسُّكون[5].

قال: وحكى لي الأمير تاجُ الدِّين عمر البِسْطامي، قال: لما وصل في سَيْره هذا إلى بِسْطام استحضرني، وأحضر عشرة صناديق، ثم قال: هل تعلم ما فيها؟ قلت: السُّلطان أخبرُ بها. قال: هذه كلها جواهر لا تُعْرف قيمتُها، غير أن هذين ـ وأشار إلى اثنين منها ـ فيهما من الجواهر ما يساوي خَرَاج الأرض بأسْرِها. وأمرني بحَمْلها إلى قلعة أَرْدَهْن؛ وهي من أحصن قلاع الأرض، تَزِلُّ عن محاذاتها أجنحةُ[6] النُّسور، لم يَرَ ساكنُها من الطيور غيرَ الظُّهور. فحملتُها إليها، وأخذتُ خطَّ الوالي بها بوصولها مختومة. فلما انتشر التاتار في الأقطار، وأَمِنُوا جانبَ السُّلطان، حاصروا القلعة المذكورة إلى أن صالحهم الوالي بها

---

(١) العين: النقد الحاضر، والضِّمار: الغائب. ينظر: «اللسان»: (عين، ضمر).

(٢) هذا تشبيه يتعلق بعلم الكلام عند المعتزلة، فالشيء عندهم هو المعدوم الممكن. والجوهر الفرد عند المتكلمين لا شكل له. ينظر: «كشاف اصطلاحات الفنون» للتهانوي (١/ ٦٠٣، ١٠٤٧).

(٣) في (ن): «رعبًا تمكن من قلبه، وذعرًا سرى في صميم صدره»، وما في نسخة المتحف البريطاني يوافق ما في الأصل.

(٤) ما بين حاصرتين من (ن).

(٥) في الأصل: «العوازم السكون»، وهو تحريف، والمثبت من (ن). القوادم جمع، مفردها قادمة، وهي ريشات عشر في مقدَّم الجناح. «اللسان»: (قدم).

(٦) «أجنحة»، ليست في النسخ الخطية ما خلا نسخة المتحف البريطاني، وهي توافق ما في الأصل.

على تسليم الصَّناديق إليهم، فتسلموها بخُتومها، وحُملت إلى جنكيزخان.

قال: ولمَّا أتى السُّلطان العراق، نزل بمَرْج دولتَ آباذ؛ وهي من أعمال هَمَذَان، وأقام أيامًا يسيرة، ومعه من نُفايات الدِّيار[1] بل لُفاظات[2] الأدبار زُهاء عشرين ألف فارس. فلم يَرُعْه[3] إلا صيحةُ الغارة، وإحداقُ خيولِ العدوِّ به كالخطِّ في الاستدارة، ففاتهم بنفسه، وشَمِلَ القتلُ جُلَّ أصحابه، وقُتل عماد الملك يومئذٍ فيمن قُتل. ونجا السُّلطان في نفرٍ يسير من خواصِّه إلى بلد الجبل، ثم منها إلى الأستُندار[4]؛ وهي أمنعُ ناحية من نواحي مازَنْدَرَان، ذات دَرْبَنْدات ومضايق، ثم منها إلى حافَةِ البحر. وأقام عند الفُرْضة[5] بقريةٍ من قُراها، فكان يحضُرُ المسجد، ويصلي به إمامُ القرية الصَّلوات الخمس، ويقرأ له القرآن، وهو يبكي وينذُرُ النُّذور، ويعاهِدُ الله تعالى بإقامة العَدْل إن كان يكتب سلامته، ويُقيم في المُلك دِعامته، إلى أن كَبَسَته[6] التَّاتار بها. فحين هجموا على غفلةٍ من السُّلطان رَكِبَ المَرْكَب، فوقعت منهم سِهام في المركب، وخاضت خلفَه طائفةٌ منهم، حِرْصًا على أَخْذِ السُّلطان، فغرقوا.

---

(١) في (ن) و(ق): «نفاثات»، وهو تصحيف. يقال: هو من نفايات القوم؛ أي: من رُذالهم. «المعجم الوسيط» (ص٩٨٣).

(٢) في (ن) و(ق): «لقاطات»، وهي تصحيف. وستأتي هذه اللفظة فيهما على الصواب، تنظر: (ص١١٧) من هذا الكتاب.

(٣) في (ن): «ترعه»، وفي نسخة المتحف البريطاني: «يرعه»، وهي توافق ما في الأصل.

(٤) في (ن): «الإسبيذار»، وفي نسخة باريس وطبعة هوداس: «الاستنداد». وفي نسختي المتحف البريطاني ولينينغراد: «الأستندار»، وهما توافقان ما في الأصل، والضبط منه، ولم أقف عليها.

(٥) الفرضة: مرسى السفن. وسماها ياقوت: آبسكون. ينظر: «الكامل» (١٢/ ٣٧٠)، و«معجم البلدان» (١/ ٤٩)، و«اللسان»: (فرض).

(٦) في (ن) و(ق): «كبست»، وهو خطأ.

قال: وحدَّثني غيرُ واحدٍ ممن كانوا مع السُّلطان في المركب، قالوا: كنا نسوق المركب وبالسُّلطان من عِلَّة ذات الجَنْب ما آيسه من الحياة، وهو يُظهر الاكتئاب ضجرًا، ويقول: لم يبقَ لنا مِمَّا ملكناه من أقاليم الأرض قَدْرَ ذراعين، يُحفر[1]، فنُقبر فيه. فما الدُّنيا لساكنها بدار.

فلما وصل إلى الجزيرة سُرَّ بذلك سُرورًا تامًّا، وأقام بها فريدًا طريدًا، لا يملك طارفًا ولا تليدًا، والمرض يزداد. وكان في أهل مازَنْدَران ناسٌ يتقرَّبون إليه بالمأكول وما يشتهيه، فقال في بعض الأيام: أشتهي أن يكون عندي فرسٌ يرعى حول خيمتي هذه. وقد ضُربت له خيمةٌ صغيرة، فأحضره تاج الدِّين حسن، فرسًا أصفر. فارتقى بسبب ذلك في أيام جلال الدِّين إلى درجة الملوكية، جزاءً له عن خِدْمته السُّلطان في هذه الأيام، وملَّكه أَسْتَراباذ بأعمالها وقلاعِها. قال: ومن قبلُ كان الأمير اختيار الدِّين؛ أكبر أمير آخورية السُّلطان[2]، وقد ضمَّ إليه ثلاثين ألف فارس، يقول: إن المرتَّب معي ثلاثون ألفًا، ولو شئت جعلتها ستين ألفًا من غير أن أتكلف صَرْفَ دينارٍ أو دِرْهم، وذلك أنني أستدعي من كل جشارٍ[3] خيلٍ للسلطان في البلاد جوبانًا[4]

---

(١) في (ن) و(ق): «نحفر»، وهو تصحيف.

(٢) أمير آخور: وظيفة يقوم متوليها على إسطبل السلطان، وما فيه من الخيل والإبل وغيرها. «التعريف بمصطلحات صبح الأعشى» (ص٤٧).

(٣) في (ن): «دشار»، وفي نسخة المتحف البريطاني: «جشار»، وهي توافق ما في الأصل. وكلاهما بمعنى، وهو مكان رعي الماشية من خيل وغيرها. «التعريف بمصطلحات صبح الأعشى» (ص٨٥).

(٤) الجوبان: كلمة تركية، تعني: الرَّاعي، ولعلها هنا بمعنى السائس؛ الذي يقوم على الخيل ويروِّضها. ينظر: «تكملة المعاجم العربية» (٢/ ٣٢٧)، و«اللسان»: (سوس).

واحدًا، فينيفون على ثلاثين ألفًا. قال: فلينظر المتأمِّل[1] إلى بُعْدِ ما بين الحالتين ويعتبر.

وكان من حَمَل إليه في تلك الأيام شيئًا من المأكول وغيره، كَتَبَ له توقيعًا بمنصبٍ جليل، أو إقطاعٍ طائل. وربما كان الرَّجل يتولَّى كتابة التوقيع بنفسه، إذ كان لا يوجد عند السُّلطان من يكتب، والتواقيع الجزيرية[2] كلها كانت برسالة[3] جلال الدِّين. فلما أحضروها إليه عند ظهوره[4] أمضاها جميعًا. ومن كان معه سِكِّين أو منديل علامةً من السُّلطان بإقطاع أو منصب، قَبِلَه وقبَّله، وأمضى حُكْمه.

ولما اشتدَّ المرض بالسلطان بالجزيرة، وبلغه أن والدته قد أُسِرَتْ، أحضر جلال الدِّين وأخوَيْه الحاضِرَيْن بالجزيرة: أزلاغ شاه، وأق شاه، وقال: إن عُرى السَّلطنة قد انفصمت[5]، والدَّولة قد وَهَت قواعِدُها وتهدَّمت، وهذا العدو قد تأكَّدَتْ أسبابُه، وتشبَّثَتْ بالمُلك أظفارُه وتعلَّقَتْ أنيابُه، وليس يأخذ بثأري[6] منه إلا ولدي مَنْكَبُرْتي، وها أنا مُوَلِّيه ولايةَ العهد، فعليكما بطاعته، والانخراط في سِلْك تِباعته. وشدَّ سيفه على وسَط جلال الدِّين، فلم يلبث بعده إلا أيامًا قلائل حتى قضى نَحْبه، ولقيَ ربَّه، فنُقل إلى حُفْرته بحَسْرته. ولم يُوجد ما يكفِّنُونه به، فكُفِّن في قميصِ بعض أصحابه، ودُفِنَ بالجزيرة، وذلك في سنة سبع

---

(١) في (ن): «المتأهل»، وهو تحريف.

(٢) في (ن) و(ق): «الجزرية»؛ وهي نسبة للجزيرة التي أقام بها السلطان وقتئذٍ.

(٣) في (ن): «برسم»، وفي نسخ باريس والمتحف البريطاني ولينينغراد وطبعة هوداس: «برسالة»، وهي توافق ما في الأصل.

(٤) ينظر: (ص١٣٥ ـ ١٣٦) من هذا الكتاب.

(٥) في الأصل: «انقصمت»، والمثبت من (ن).

(٦) في (ن) و(ق): «ثأري»، وفي نسخة المتحف البريطاني: «بثأري»، وهي توافق ما في الأصل.

عشرة وست مئة[1]:

أذَلَّ الـمـلـوكَ وصـادَ الـقُـرُوم ... وصَـيَّـرَ كـلَّ عـزيـزٍ ذلـيـلا
وحَفَّ الـملـوكُ بـه خـاضِعـين ... وزُفُّـوا إلـيـه رَعِـيْـلًا رعـيـلا
فـلـمَّـا تـمـكَّـن مـن أمْـرِهِ ... وصـارتْ لـه الأرضُ إلَّا قـلـيـلا
وأوْهَـمَـه الـعِـزُّ أنَّ الـزَّمـان ... إذا رامَـه ارتـدَّ عـنـهُ كـلـيـلا
أتَـتْـهُ الـمَـنِـيَّـة مُـغْـتـاظـةً ... وسَلَّتْ عليه حُسامًا[2] صقيلا
فلم تُغْنِ عنهُ حُماةُ الرِّجالِ ... ولم يُجْدِ فِيْلٌ[3] عليه فتيلا
كـذلـك يُـفـعـل بـالـشَّـامـتـين ... ويُفنيهمُ الدَّهْرُ جِيْلًا فجيلا

(١) في الأصل: «وسبع مئة»، وهو سبق قلم من الناسخ، والمثبت من (ن).
ثم نقل تابوته من الجزيرة إلى قلعة أردهن، ريثما تتم عمارة تربته بأصفهان، وهناك نبش التاتار قبره، وأحرقوا جثته. تنظر: (ص٢٠٨ ـ ٢٠٩) من هذا الكتاب.

(٢) في الأصل: «خامسًا»، وهو تحريف، والمثبت من (ن).

(٣) في (ن) و(ق): «قيل»، وهو تصحيف، والفيل: الحيوان المعروف، وكانوا يستخدمونه في حروبهم. ينظر على سبيل المثال: «الكامل» لابن الأثير (١٢/ ١٦٤).

فصل

في استيلاءِ التاتار ـ لعنهم الله ـ على نَسَا وقتلِ شهابِ الدِّين الخِيْوَقي[1] والعامَّة بها

كان شهابُ الدِّين أبو سَعْد بن عمران فقيهًا فاضلًا مبرِّزًا في مذهب الشَّافعي ﷺ وقد جمع إلى الفِقْه واللغة والطِّبِّ والخِلاف وسائر العلوم الفصاحةَ[2] واللَّسَن، والتدبير الحَسَن. ونال عند السُّلطان من الرُّتْبة ما ليس وراءها لابتغاء العُلا أمَد، فما فوق السَّماء للسُّمو مَصْعَد، فكان يُشاوره في الأمور العِظام، ويُفاوضه في جلائل المَهام[3]. فكنتَ ترى ملوك الأرض وسادات وزرائها، وذوي المراتب العَلِيَّة من أمرائِها، وقوفًا على بابه صُفوفًا، وهو يدرِّس الأئمة على جاري عادته. وكان إليه تدريسُ خمسِ مدارس بخُوَارَزْم، وهو لا يُبْطل الدَّرْس فيها إلى أن يركب[4]، فتكلِّمُه حُجَّابه في أمور أولئك.

---

(١) في (ن): «الحيوقي»، وفي نسختي باريس ولينينغراد وطبعة هوداس: «الحيرقي»، وكلاهما تصحيف. وضبط في الأصل بكسر الخاء، وتفتح كذلك، وهي نسبة إلى خِيْوَق: بلد بنواحي خوارزم، وأهلها يقولون خِيْوة، وينسبون إليه الخِيْوَقي، وهم شافعية دون جميع بلاد خوارزم، فإنهم حنفية. ينظر: «معجم البلدان» (٢/ ٤١٥).

(٢) في (ن) و(ق): «والفصاحة»، والصواب بحذف الواو.

(٣) في (ن) و(ق): «الأمور». وينظر: «الكامل» (١٢/ ٣٦٢ ـ ٣٦٣)، و«آثار البلاد وأخبار العباد» للقزويني (ص٥٢٩).

(٤) في طبعة هوداس: «يزكت»، وهو تصحيف شنيع، مشى عليه محقق (ق)، وتمحَّل له معنى لا يستقيم به الكلام.

وربما كان ذو الحاجة يقيم ببابه[1] مترددًا سنة أو أكثر، فلم يَقْضِ[2] حاجتَه لكثرةِ الأشغال، واتِّساع عَرَصة المُلك[3]، وتزاحُمِ ذوي اللُّبَانات[4].

واحتاج السُّلطان إلى اتِّخاذ طابَع[5] لعلامته، وهي: اعتمادي على الله وحدَه. واستنابَ في تعليم التواقيع بالطابَع أكبرَ بناته[6]؛ خان سُلْطان، إذ التواقيعُ قد كَثُرَت حتى كان تعليمُها يستغرق [أكثر][7] أوقات السُّلطان، فيَشْغَله عن سائرِ المَهام، فما كان يعلِّمُ في السنين الأخيرة إلا على توقيعٍ يتضمَّن أمرًا جليلًا.

وكان مِمَّا يدُلُّ على جَلالَةِ قَدْر شِهاب الدِّين أبي سَعْد[8]، أن الرِّسالة إذا خرجت على لسانِ ملكٍ من المُلوك، كائنًا من كان، يُذْكر بعد الوزير في آخرِ التوقيع، وأما شهابُ الدِّين فلا يُذكر، تعظيمًا له وإجلالًا لقَدْره عن أن يُذكر بعد الوزير، بل يكتب: بالأمر الأعلى ـ أعلاه الله ـ والمثال العالي ـ لا زال عاليًا ـ بجميعِ ألقاب الوزير. ثم يكتب حسب الرسالة الواردة بالإملاء.

---

(١) في الأصل: «على الباب»، وكذلك هي في نسخة باريس وطبعة هوداس، والمثبت من (ن).

(٢) في (ن): «تقض».

(٣) تنظر الحاشية رقم: ٥ (ص٨٥) من هذا الكتاب.

(٤) اللبانات جمع، مفردها لُبانة: وهي الحاجة. «اللسان»: (لبن).

(٥) الطابع: الخاتم الذي يختم به. «اللسان»: (طبع).

(٦) في الأصل: «نُيَّابه»، والضبط منه، وهو تصحيف، والمثبت من (ن). وقد سلف ذكر خان سلطان (ص٨٦ ـ ٨٧) من هذا الكتاب.

(٧) ما بين حاصرتين ليس في الأصل، ولا في نسخة المتحف البريطاني، والمثبت من (ن).

(٨) في الأصل ونسخة باريس: «أبي سعيد»، وهو وهم، وقد سلفت كنيته على الصواب في صدر الكلام عنه.

قال: وقد بَنَى بخُوَارَزْم في جامع الشافعية دارَ كتبٍ، لم يُرَ قبلها ولا بعدها مثلها. فلما عَزَم على الخروج من خُوَارَزْم ـ وقد أيس من العَوْد إليها ـ ضنَّ بتَرْكها، فاستصحب نفائِسَها. ووقعت بعد مَقْتله بنسا في أيدي العوام والسُّوقة، فكنتُ أتتبَّعُها وأجْمَعُها، وظفرتُ بعِدَّة نفائس منها.

ولما وصل المذكور إلى نَسَا، ومعه خَلْقٌ كثير من أهل خُوَارَزْم، أقام بها ينتظر تجدُّدَ الأخبار من جهة السُّلطان، ليقصِدَ خِدْمته، فورد الخبر بوروده نيسابور، ورحيله عنها من غير تلوُّم. فتحيَّر شهابُ الدِّين في أمره إلى أن وصل أميرٌ من أمراء نسا، وذكر أن السُّلطان لمَّا ولَّى مُجْفلًا تقدَّم إليه بأن يمضي إلى نسا، فيحذِّر الناس، ويقول لهم: إن هذا العدو ليس كسائر العساكر، والرأي تخلية البلاد والتسحُّب إلى البراري والجبال ريثما يُغيرون[1]، فيجمعون من الغارات ما تُملأ به أعينُهم وأيديهم، فيرجعون، ويسلم الناس من فاجئ ركضتهم. ثم لو قَدَرَ أهلُ نسا على عِمارة قلعتهم ـ وكان السلطان قد خربها ـ فقد أذنَّا لهم في عِمارتها، والتحصُّن بها.

وكانت من عجائبِ القِلاع المبنية على التُّلول، ومن صفتها أنها كانت كبيرةً جدًّا، تَسَعُ خَلْقًا عظيمًا، وليس أحدٌ من أهل المدينة غنيًّا كان أو فقيرًا إلا وله فيها دارٌ أو بيت، وكان[2] في وَسْطها أخرى للسَّلطنة أعلى منها، والماء يجري منها إلى التي تحتها[3].

---

(١) «يغيرون»، ليس في النسخ الخطية ما خلا نسخة المتحف البريطاني، وهي توافق ما في الأصل. واكتفى محقق (ن) بالإشارة إليها في الهامش.

(٢) «وكان»، ليست في (ن)، وفي نسخة باريس وطبعة هوداس: «إلا وله فيها دار، وبنيت في وسطها أخرى للسلطنة». وما في الأصل هو الصحيح.

(٣) في الأصل: «بجنبها»، وهو تحريف، والمثبت من (ن).

فاختاروا عِمارة القلعة على الجَلاء[1]، فبُني حائطٌ يُشْبه حائط البساتين، وتحصَّن الناس بها.

وكان جنكيزخان قد جرَّد إلى خُرَاسان صهره تقجار في عشرة آلاف فارس، لنَهْبها وإحراقها، وامتصاصِ مُخِّ عِظامها ودم عُراقها[2]، والتحريز[3] على بقايا نفوسها ورذايا أرْمَاقها[4]. فوصلتْ طائفةٌ[5] منهم إلى نَسَا، فترامى النَّاسُ إليهم مُقاتِلين[6]، فوقعت نُشَّابة في صدر مقدَّمِهم، فخرَّ مَيْتًا، فنقموا بذلك على أهلِ نسا، وقدَّموا حِصارها على حصار سائر المدن بخراسان. فساقوا إليها من الرجَّالة التي جُمعت من أطراف خُراسان[7] في

---

(١) في طبعة هوداس: «الخلاء»، وتابعه محقق (ق)، وهو تصحيف.

(٢) العُراق: العظم بغير لحم. «اللسان»: (عرق).

(٣) في (ن): «التحرير»، وفي طبعة هوداس: «التجرير»، وتابعه محقق (ق)؛ وكلاهما تصحيف، والتحريز: من الحِرْز، ومنه أحرزت الشيء إذا حفظته وضممته إليك. ينظر: «اللسان»: (حرز).

(٤) في (ن): «رزايا»، وهو تحريف. وفي نسخة المتحف البريطاني: «رذايا»، وكذلك هي في طبعة هوداس، فخالفها محقق (ق)، وأثبتها «رزايا»، ظنًّا منه أنها الصواب. ورذايا جمع، مفردها رذي: وهو الضعيف من كل شيء. والأرماق جمع، مفردها رمق: بقية الحياة أو بقية الروح. «اللسان»: (رذي، رمق).

(٥) في (ن): «غوارة»، وتصحفت في (ق) إلى: «عوارة». وهي كلمة لم أجدها في المعاجم، وستأتي غير ما مرة، ويبدو أنها كانت فاشية في ذلك العصر، واستبدل بها أبو شامة لفظ: الطائفة، وكأنها بمعنى طليعة الجيش، والله أعلم.

(٦) في (ن) و(ق): «مقابلين»، وهو تصحيف، وفي نسخة المتحف البريطاني: «مقاتلين»، وهي توافق ما في الأصل.

(٧) عبارة: «من الرجالة التي جمعت من أطراف خراسان»، ليست في النسخ الخطية ما خلا نسخة المتحف البريطاني، بيد أن لفظ: «الرجالة»، ليس فيها. وأشار إليها محقق (ن) في الحاشية، ولم يدخلها في المتن.

الطَّمِّ والرَّمِّ[1]، والليلِ المُدْلهم[2]. وحُوصرت قلعتُها خمسة عشر يومًا، لم يفتروا عن[3] القتال نهارًا ولا ليلًا، ونُصب عليها عشرون مَنْجَنيقًا تجذِبُها الرَّجَّالة المجمَّعة[4]. وكانوا يسوقون الأسارى تحت الخركات ـ وهي بيوتٌ على وضع الجَمَلون[5]، أُخذت من الخشب، ولُبِّست بالجلود ـ فإن رجعوا ولم يوصلوها إلى السُّور ضُربت رقابُهم. فكان هذا دأبهم إلى أن ثلموا فيها ثُلْمة لا تنسَدُّ، ثم لبس التاتار بأجمعهم لأُمَةَ[6] حربهم، وزحفوا عليها ليلًا، فملكوا السُّور، وانتشروا عليه، والناس قد اسْتَخْفَوْا في بيوتهم إلى أن أضاء النهار نزلوا إليهم من السُّور، فساقوهم إلى فضاء وراء البساتين كأنهم قطعان الضَّانية[7] تسوقها الرُّعاة. ولم يمدَّ التاتار أيديهم إلى سَلْبٍ ونهب إلى أن حشروهم إلى ذلك الفضاء بالصِّغار والنِّساء، والضَّجيجُ يشُقُّ جِلْباب السَّماء، والصِّياح يسُدُّ منافذَ الهواء. ثم أمروا الناس بأن يُكتِّف بعضُهم بعضًا، ففعلوا ذلك خِذْلانًا، وإلا فلو تفرَّقوا وطلبوا الخلاص عَدْوًا من غير قتال، والجبل قريبٌ، لنجا أكثرُهم.

فحين كُتِّفوا جاؤوا إليهم بالفؤوس[8]، فأضْجَعُوهم على العَراء[9]،

---

(١) في (ن) و(ق): «في الطيم والرم». والطم والرم؛ أي: ساقوا بالكثير والقليل. «اللسان»: (طمم).

(٢) المدلهم: الأسود. «اللسان»: (دلهم).

(٣) «عن»، ليس في النسخ الخطية.

(٤) في (ن): «الذي جمعت من أطراف خراسان». ما خلا نسخة المتحف البريطاني، فهي توافق ما في الأصل.

(٥) الجملون: سقف محدب على هيئة سنام الجمل. «المعجم الوسيط» (ص١٥٧).

(٦) تنظر الحاشية رقم: ١ (ص٦٥) من هذا الكتاب.

(٧) أي: الغنم، والصواب في جمعها الضأن، والضأن. «اللسان»: (ضأن).

(٨) في (ن) و(ق): «بالقوس»، وهو تحريف.

(٩) في نسخة باريس: «العداء»، وطبعة هوداس: «العدى»، وكلاهما تحريف، =

وأطعموهم سِباع الأرض وطيورَ الهواء. فمِنْ دماءٍ مسفوكة، وسُتورٍ مَهْتوكة، وصغارٍ على يَدِيٍّ[1] أمهاتها المقتولةِ متروكة. وكان عِدَّة من قُتِلَ بنَسَا من أهلها، ومن انضوى إليها من الغُرباء ورَعِيَّةِ بلدِها سبعين[2] ألفًا، وهي كُورة من كُوَر خُراسان.

وأُحضر شهابُ الدِّين الخِيْوَقي، وابنُه السَّيِّد الفاضل تاج الدِّين بين يدي تقجار؛ صِهْر جنكيزخان مكتوفَيْن، وأحضرت صناديقُ خزانته[3]، ففرَّغوها وهم وقوفٌ، إلى أن حالَ الذَّهبُ بينه وبينهما، فقُتِلا شهيدَيْن، وهو الآن[4] مدفونٌ بنسا بمَزَار يُسمَّى ميل جفنه[5].

= وتابعه محقق (ق)، وتمحل لها شرحًا لا يناسب سياقها.

(١) في (ن): «ثدي»، وفي نسخة لينينغراد: «أيدي».

(٢) في الأصل، ونسخة باريس، وطبعة هوداس: «سبعون»، وهو وهم، والمثبت من (ن).

(٣) في (ن): خزائنه.

(٤) شرع النسوي في تأليف كتابه هذا سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م، ينظر: (ص٢٠٥) من هذا الكتاب.

(٥) في (ن): «جفتة»، وفي نسخة باريس ولينينغراد: «حفنة».
قلت: ولم أقف عليه. وفي هامش الأصل: «بلغ عرضًا».

فصل

في الاستيلاءِ على نَيْسابُور
وذكر نُبَذٍ ممَّا جرى بخُراسان بعد الاستيلاءِ على نَسَا

نذكره مُجْملًا، ولا حاجة إلى التَّفْصِيل، إذ الأحوالُ يُشْبه بعضُها بعضًا، وليس إلا عمومُ القتل، وشُمولُ التَّخريب.

تفرَّق الملاعين في نواحي خُراسان، فصاروا فِرَقًا، وانتشروا فيها. فكان إذا ساق ألفُ فارسٍ منهم إلى ناحية من نواحيها تجمعُ رجَّالةَ رساتِيْقها، فتسوقهم إلى المدينة، فتديرُ بهم المَجَانيق، وتأخذ بهم النُّقوب[1] إلى أن تستولي عليها، فلم يُترك بها نافخُ نار، ولا ساكِنُ دار. واستولى الرُّعْب على النفوس حتى إن الذي أُسِرَ كان أرْوَحَ سرًّا من القاعد في بيته ينتظر الحادثة.

قال: وكنتُ حينئذٍ بقلعتي المعروفة بِجَزُيْدَر[2]؛ وهي من أمهات قلاعِ خُراسان. فبقيتُ إذ ذاك، [والدنيا][3] تموج بالفِتَن، مَهْربًا للأسرى، وملجأً للخائفين، إذ هي واسطة البلاد، وحدَقة العُمْران. فكان أربابُ

---

(١) في (ن): «الثقوب»، وهي تصحيف، وفي نسخة باريس والمتحف البريطاني وطبعة هوداس: «النقوب»، وهي توافق ما في الأصل.

(٢) هكذا رسمت في الأصل أينما مرت، وجوِّدت به، وفي (ن): «بخُرَنْدِز»، وفي نسخة المتحف البريطاني: «بجزندر»، وفي طبعة هوداس: «بخرندر»، والله أعلم بالصواب.

(٣) ما بين حاصرتين من (ن).

الحِشْمة، وذوو الصِّيت من أهل النِّعَم، يهربون إليها حُفاةً عُراةً، فأكسو بقدر الإمكان عُراهم، وأساعِدُهم على ما عَرَاهم، ثم أوصلهم إلى من أخطأته السُّيوف من أهاليهم. فلم يزالوا[1] كذلك إلى أن كَبَسُوا خُراسان عن آخرها.

وقفز إليهم شخصٌ يُسمَّى حبش من بعض الضِّياع، وكان سرهنكًا[2]، فلقَّبوه مَلِكًا استهزاءً وسُخْرية، وقدَّموه على المُرْتَدَّة[3]، وولُّوه أمرَ المَجَانيق وتدبيرَ الرِّجال. فمُنيَ الناس منه بالدَّاهية الدَّهياء[4]، والخُطَّة النُّكْراء، والعذابِ المُنْزل من السَّماء. وقد دخل في المداخل الخبيثة، فأخذ يكاتِبُ رؤساء البلاد، حتى رؤساء الضِّياع[5]. وكانت ضياع خُراسان ذوات أسوار وخنادق وجوامع، والرُّؤساء بها أربابُ مُكْنة[6]. فيأمر الواحدَ منهم أن يقوم بنفسه ورعيَّته، فيحضر بالفؤوس والمعاول، وما يقدِرُ عليه من القِسِيِّ وآلاتِ الحِصار، فإن أجاب إلى ذلك حاصَرَ بهم مدينة من المدن، فيستولي عليها، ويصبُّ عليهم سَوْطَ العذاب[7]، وإن تقاعَدَ عنه وتعلَّلَ مشى إليه، وحاصَرَه، فأخرجه ومَنْ معه، وعَرَضهم على السَّيْف.

---

(١) أي: التاتار.

(٢) سرهنك: رئيس العسكر. ينظر: «تكملة المعاجم العربية» (٦/٦٨).

(٣) تنظر الحاشية رقم: ٥ (ص٨٦) من هذا الكتاب.

(٤) الداهية: الأمر المنكر العظيم. والدهياء: الداهية من شدائد الدهر. «اللسان»: (دها).

(٥) في النسخ: «وأخذ يكاتب رؤساء الضياع»، ما خلا نسخة المتحف البريطاني، فهي توافق ما في الأصل. وأشار إليها محقق (ن) في الحاشية، ولم يدخلها في المتن.

(٦) المكنة: القدرة والاستطاعة، والقوة والشدة. «المعجم الوسيط» (ص٩٢٠).

(٧) في (ن) و(ق): «صوت عذاب»، وهو تحريف، وفي نسخة المتحف البريطاني: «سوط العذاب»، وهي توافق ما في الأصل.

وأخَّروا[1] أمرَ نَيْسابُور عن سائر المدن التي كانت معدودةً في توابعها إلى أن وقع الفراغُ من تخريبها، وكانت تنيف على عشرين مدينة. ثم قصدوا نيسابور في عامَّتهم، ليذيقوا أهلها نَكَال طامَّتهم، وتجمَّع[2] إليها مَنْ كان منهم في أطراف خُراسان. فلما قارَبُوها خرج أهلها مناوشين، فأصابتْ صدرَ تُقجار اللعين نُشَّابة، تمكَّنَتْ من محلِّ سرِّه، وأراحتِ الناس من شرِّه، فانتقل إلى نار الله المُوقدة، التي تطَّلع على الأفئدة[3].

وعلم التاتار لمَّا شاهدوا غلبَة العَوَام بها أنها لا تُحاصر إلا بمَدَدٍ يأتيهم، فتأخَّروا عنها، وكاتبوا جنكيزخان مستمدِّين، فأمدَّهم بزُهاء خمسين ألفًا. فحطُّوا عليها، وأحاطوا بها في أواخر سنة ثماني عشرة وست مئة، وذلك بعد تسحُّبِ جلال الدِّين إلى الهند ـ على ما سنذكره إن شاء الله تعالى[4] ـ فلما قاربوها أقاموا شرقيَّها بقرية نُوْشَجَان؛ ذاتِ أشجارٍ كثيرة، ومياهٍ غزيرة، إلى أن أزاحوا عِلَلَهم بها في المتارس[5] والدَّبابات والمجانيق والجَمَلونات[6]. فساقوا إليها، ونصَبُوا في نهارهم ذلك مئتي مَنْجَنيق مكمَّلةِ الأسباب، فرَمَوْا بها، واستولوا عليها بعد ثلاثة أيام، فألحقوها بسائر المدن، فصارت كغيرها، قد سال بها السَّيْل،

---

(١) أي: التاتار.

(٢) في نسخة لينينغراد: «يجمع»، وفي نسخة باريس أهملت الياء، وفي نسخة المتحف البريطاني: «تجمع»، وهي توافق ما في الأصل. وأثبتها محقق (ن): «ويجمعون»، متابعًا محقق (ق).

(٣) اقتباس من قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ [الهمزة: ٥ ـ ٧].

(٤) تنظر: (ص١٢٩، ١٣١) من هذا الكتاب.

(٥) المتارس جمع، مفردها مِتْرس: وهو الترس. ينظر: «المعجم الوسيط» (ص١٠٤).

(٦) تنظر الحاشية رقم: ٥ (ص١٠٤) من هذا الكتاب.

وطافَ بها الوَيْل، وناحَ عليها النهارُ والليل. ثم أمروا الأُسارى، فبسطوها بالمحاريث[1] حتى صارت أرضًا ملساء، لا مَدَرة بها ولا صَخْرة، يأمن فيها الفارس العَثْرة، فلعبوا فيها بالكرة[2]. ومات أكثرُ أهلها تحت الأرض، إذ كانوا قد اتخذوا بها سَراديبَ ونُقوبًا، ظنًّا بأنها مانعتُهم.

وحين طلع جلال الدِّين من الهند ـ على ما يأتي شرحه[3] ـ ومَلَك إقليمَ خُراسان، وما يليه من العراق، ومازَنْدَرَان على خرابها، ضمَّنُوا الدَّفائن بها كلَّ سنةٍ بثلاثين ألف دينار، وربما كان الضَّامن يأخذ هذا المِقْدار، ويظفَرُ به في يومٍ واحد، إذ كانتِ الأموال بقيت مدفونة في السَّراديب مع أصحابها.

فهذا قياسٌ مُطَّرد في سائر مدن خراسان، وخُوَارَزْم، والعراق، ومازَنْدَرَان، وأَرَّان، وأذْرَبِيجان، والغُور، وغَزْنة، وبامِيان، وسِجِسْتان، إلى تخوم الهند. فلو ذُكرت مفصَّلة لم يتغيَّر فيه إلا اسمُ المحاصَر، فلا حاجة إلى التطويلِ في ذلك.

قال: وكان نظام الدِّين السَّمْعاني من بيت الفَضْل والرِّياسة بمَرْو، [و][4]كان خيِّرًا[5] فاضلًا، متى ينطق فقل: لا فُضَّ فوه، وإن يكتب فقل: لا شُلَّ عَشرُه.

وقد نُقل إلى خُوَارَزْم رغبةً من السُّلطان في أن يكون مثلُه في

---

(١) في (ن) و(ق): «بالمجاريف».
(٢) تنظر الحاشية رقم: ٢ (ص٦١) من هذا الكتاب.
(٣) تنظر: (ص١٣٥) من هذا الكتاب.
(٤) ما بين حاصرتين من (ن).
(٥) في (ن): «حبرًا»، وفي نسخة باريس ولينينغراد وطبعة هوداس: «حرًّا»، وكلاهما تحريف.

ملازمته، يشاوِرُه في أمور المُلْك. فوصل إلى قلعة جزيدر[1]، وأقام بها شهرين، ووعظ في القلعة عِدَّة مِرَار، مع جلالة قَدْره وعِظَمِ محلِّه، لحُرْقة باله وتراجع آماله. ولعله لو سِيْمَ بخُوَارَزْم أن يعظ الناس:

..... إذِ النَّاسُ ناسٌ والزَّمانُ زمانُ[2]

كان يأبى ذلك. وكان إذا ذَكَرَ السُّلطان في وعظه لم يملكِ البُكاء، فما[3] زاد في وعظه على نِياح، والسَّامعون على بُكاءٍ وصياح.

ولما استولى التَّاتار على نَسَا، وهي أوَّلُ مدينة استولوا عليها من مدن خُراسان، وبلغه قَتْلُ[4] الإمامِ شهاب الدِّين الخِيْوَقي رَحِمَهُ اللهُ بها[5]، أدركه الوَجَل. فكان يدور معي على شقفان[6] القلعة، ويريني منها مواضعَ تزلق النملة طالعةً، وتُعْجز الطير في حوماتها[7] فارعة[8]،

---

(١) تنظر الحاشية رقم: ٢ (ص١٠٦) من هذا الكتاب.

(٢) هذا عجز بيت، وصدره:

بلادٌ بها كُنَّا وكنَّا نُحِبُّها .....

وهو بيت قديم لا يعرف قائله، جرى مجرى الأمثال، تنظر: «التذكرة الحمدونية» (٦/ ٤٣٣)، ولم يتنبه لذلك محققا (ن) و(ق).

(٣) في (ن) و(ق): «مما»، وهو خطأ.

(٤) في (ن): «قتلهم»، وفي نسخة باريس وطبعة هوداس: «قتله».

(٥) تنظر: (ص١٠٥) من هذا الكتاب.

(٦) في (ن) و(ق): «شفقان»، بتقديم الفاء على القاف، وهو تحريف. والشقفان، مفردها شقيف: الصخر العظيم المنحدر من الجبل. ينظر: «محيط المحيط» (ص٤٧٥)، و«تكملة المعاجم العربية» (٦/ ٣٣٥)، وكذلك (ص١٦٢) من هذا الكتاب.

(٧) كذا في الأصل وسائر النسخ، وهو تصحيف، والصواب: «حَوَمانها»، بالنون، وحومان الطائر أن يُدوِّم ويحوم حول الماء. ينظر: «اللسان»: (حوم).

(٨) في (ن) و(ق): «قارعة»، بالقاف، وهو تصحيف، وفي نسخة المتحف البريطاني: «فارعة»، وهي توافق ما في الأصل؛ أي: مرتفعة. ينظر: «اللسان»: (فرع).

فيقول: ها هنا تطلع التاتار. واتفق أن بعض كبار الطَّاغية[1] وصَلَ إلى القلعة ثالث يوم استيلائهم على نَسَا، وحَطَّ عليها حيثُ يمكن النزول، وهو جانبٌ واحد. ورأى نِظامُ الدِّين ذلك، فخانَه الصَّبْر، وأهلكه الذُّعْر، وألحَّ عليَّ أن أُدَلِّيه ومَنْ معه في الحِبال[2] من بعض جهاتها المأمونة بحاشيته ودوابِّه وغِلْمانه وأسبابه. ففعلتُ ذلك على إنكارٍ مُضْمَر، ونزل المذكور ليلًا بالحِبال من غربيِّها، والتاتار نازلٌ[3] بشرقيِّها. وكانوا إذا نزلوا من الشَّقيف إلى التل، وهو تلٌّ لا يُسْلك، يتدحرجون إلى أسفل التَّلِّ، فانكسر لهم بعضُ الدَّواب. ووصل المذكور إلى خُوَارَزْم، وبها أولادُ السُّلطان مُنْصرفَهم من الجزيرة، كما نذكره[4].

ولما شاهد اللعين؛ مقدَّم التَّاتار القلعة، وأنها كعُقاب الجَوِّ؛ لا وصول ولا حصول، بعث الرسول، وعَرَض السُّول[5]. فطلب عشرة آلاف ذراع من الخام، وعِدَّة ملتمساتٍ أخرى خسيسة، لؤمًا طُبِعَ عليه، ولم يُقْنِعْه ما حواه من ملابس أهل نسا. فأُجيبَ[6] إلى ما سأل، دَفعًا للسَّيِّئة بالتي هي أحسن. فلما أحضروا الخام، لم يَجْسُرْ أحدٌ من أهل القلعة أن يحمله إليهم، لعلمهم أنهم يقتلون مَنْ خالطهم، سواء كان رسولًا أو قاضيًا سُولًا. إلى أن أجاب إلى ذلك شيخان من أهل القلعة، تبرُّعًا منهما، وأحضرا أولادهما، ووصَّيا بمراعاتهم، والإحسان إليهم إن

---

(١) يعني: جنكيزخان.

(٢) في (ن) و(ق): «بالجبال»، وكذلك في الموضع الآتي، وهو تصحيف غريب.

(٣) في (ن): «نازلين»، وهو خطأ، وفي طبعة هوداس: «نازلون»، وفي نسخة المتحف البريطاني: «نازل»، وهي توافق ما في الأصل.

(٤) تنظر: (ص١١٣) من هذا الكتاب.

(٥) السول، بتخفيف الهمز: ما يسأله ويتمناه. «اللسان»: (سأل، سول).

(٦) في (ن) و(ق): «فأجبته».

قلت: وفي هذا دلالة صريحة على أن النسوي كان ينوب عن أبيه في حكم القلعة.

قُتِلا. وحَمَلا ذلك إلى اللعين، فتسلَّمه، وقَتَلَ الشيخين، ورحل. ثم شنَّ الغارة على بلدِها، فساق من المواشي ما امتلأت به الأباطح[1]، وضاقت به قِيْعانُها والصَّحاصح[2].

ومن العجائب أنَّ خُراسان لما شَمِلَها القَتْل، وخُصَّت القلعة المذكورة دون سائر الأماكن بالسَّلامة من صَدْمتهم، والخلاصِ من نَقْمتهم، وقع فيها الوَباء، وعمَّ أهلَها الفَناء. فكانت تخرجُ في يوم واحد منها عِدَّة جنائز، حتى لَحِقَتْ بالآخرين، وكفاهم ملكُ الموت كُلْفةَ الحِصار. فسبحان من حَكَمَ على الخَلْق بالفناء، ولقد أحسن من قال:

ومَنْ لم يَمُتْ بالسَّيْفِ ماتَ بغيرِه تنوَّعَتِ الأسبابُ والدَّاءُ واحِدُ[3]

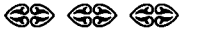

(١) تنظر الحاشية رقم: ١ (ص٦٢) من هذا الكتاب.

(٢) القيعان جمع، مفردها قيعة وقيع: وهي الأرض الواسعة السهلة. والصحاصح جمع، مفردها صحصح: وهي الأرض الجرداء المستوية. «اللسان»: (قوع، صحح).

(٣) المشهور في رواية البيت: والموت واحد، وهو من الأبيات السائرة التي لا يعرف قائلها، وتجري مجرى الأمثال.

[السلطان جلال الدين مَنْكَبُرْتِي][1]

فصل

في ذِكْرِ عَوْدِ أولاد السُّلطان بعد وفاته إلى خُوَارَزْم، وما جرى لهم

لمَّا دُفن السُّلطان محمد بالجزيرة ـ على ما سبق شرحه[2] ـ ركبَ جلالُ الدِّين وأخواه البحر إلى خُوَارَزْم، ومعهم زُهاء سبعين نَفْسًا[3]. فلمَّا قاربوها التقوهم من خُوَارَزْم بالدَّواب والأسلحة والأعلام، وتباشَرَ النَّاس بقدومهم تباشُرَ من أعضل داؤه فظَفِرَ بدوائه. واجتمع عندهم من العساكر السُّلطانية زُهاء سبعة آلاف فارس، أكثرهم البياووتية[4]، فمالوا إلى أزلاغ

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة من عندي للإيضاح. وأخبار جلال الدين مبثوثة في تواريخ ذلك العصر، من أهمِّها: «الكامل» لابن الأثير، و«مرآة الزمان» لسبط ابن الجوزي، و«تاريخ جهانكشاي» لعطا ملك الجويني، و«تاريخ الإسلام» و«سير أعلام النبلاء» للذهبي، وأكثرهم استقصاء لأحواله شهاب الدين النسوي، كما بيَّنتُ في تقديمي لهذا الكتاب، لملازمته إياه.

(٢) تنظر: (ص٩٨ ـ ٩٩) من هذا الكتاب.

(٣) في (ن) و(ق): «فارس». كذا، وفي نسخة المتحف البريطاني: «نفسًا»، وهي توافق ما في الأصل.

(٤) هي قبيلة تركان خاتون؛ والدة السلطان علاء الدين محمد، وكانت أم أزلاغ شاه تنتمي إليها كذلك، بخلاف والدة السلطان جلال الدين، تنظر: (ص٦٩، ٨٨) من هذا الكتاب.

شاه ـ الذي كان وليَّ عهد السُّلطان ـ للُّحْمَة والقَرَابة، وأنكروا عليه رضاه بالخَلْع. وتواطؤوا على أن يقبضوا على جلال الدِّين، فيَسْمُلوه ويقتلوه[1].

وبلغ ذلك جلالَ الدِّين، فرحل صوبَ خُراسان في ثلاث مئة فارس، وأقام أولئك بخُوَارَزْم بعده ثلاثة أيام، ووافاهم الخبرُ المزعج بحركة التَّاتار صوبَ خُوَارَزْم من جهة ما وراء النَّهر، فرحلوا على أثَرِ جلال الدِّين صوب خُراسان. وقطع جلال الدِّين المفازة الحاجزة بين خوارزم وخراسان في أيام قلائل، وهي ستَّ عشرةَ مرحلة للقُفول، وتخلَّص منها إلى بلد نَسَا[2].

وكان جنكيزخان لما بلغه عودُ أولادِ السُّلطان إلى خُوَارَزْم وجَّه إليها عسكرًا كثيفًا، وتقدَّم[3] إلى مَنْ بخُراسان من عساكره بالتفرُّق على حافَاتِ تلك البريَّة مترصِّدين[4]. فضربوا على البريَّة المذكورة حَلْقة من تخوم مَرْو إلى حدود شَهْرَسْتانة؛ وهي كُورة من كُوَر فَرَاوة، حتى إذا هَمَّ أولادُ السُّلطان بالمسير إلى خُراسان عند انزعاجهم من خُوَارَزْم يقتنِصُونهم[5].

وكان بحافَةِ بريَّة نَسَا منهم سبعُ مئة فارسٍ مقيمين[6]، ولم يعلم النَّاس مُوجبَ إقامتهم هناك إلى أن خرج جلال الدِّين من المفازة، وصادَمهم[7]، فبلغ كلٌّ من الفريقين غاية الإمكان، وانجلتِ الحرب عن انهزام التاتار، وإسْلامِهم عُدَّتهم[8] وعَتادهم وأسلحتهم وأزوادهم،

---

(١) في (ن): «أو يقتلوه».

(٢) ينظر: «تاريخ جهانكشاي» (٢/ ٣٩).

(٣) في (ن) و(ق): «وقدم»، وهو تحريف.

(٤) في (ن): «مرصدين»، وفي نسخة المتحف البريطاني: «مترصدين»، وهي توافق ما في الأصل.

(٥) في (ن) و(ق): «يقبضونهم».

(٦) في الأصل: «مقيمون»، وهو خطأ، والمثبت من (ن).

(٧) في (ن) و(ق): «صادمهم»، بدون الواو.

(٨) في (ن) و(ق): «وتركوا أسلابهم وعدتهم».

ولم يُفلت منهم إلا الشَّارد النَّادر[1]. فهذا أوَّلُ سيفٍ في الإسلام خُضِبَ بدمائهم.

قال: وكان جلال الدِّين يقول لي بعد عُلُوِّ شأنه، وتمكُّنه في سُلطانه: لولا تاتارُك[2] ـ يعني: تاتار بلد نَسَا ـ وإسعادُهم إيانا بخَيْلهم، لمَا كان يمكننا الوصولُ إلى نَيْسابُور، لضَعْف دوابِّنا التي قطعنا بها المفازة.

وقد كانت طائفةٌ من التَّاتار تهافتوا إلى قنواتِ البلد حين أغْيَاهم النَّجا، وصافحتْهُم الصَّوارم والقَنا، فأخرجهم الفلاحون، وساقوهم إلى المدينة، فضُربت رقابُهم.

قال: وكنتُ حينئذٍ بمدينة نَسَا في خِدْمة الأمير اختيار الدِّين زَنْكي بن محمد بن حمزة، ولم يعلم المذكور بما قد تمَّ على التَّاتار، إذ ورد كتابٌ من رئيس قريةٍ من قُرى نسا، يذكر فيه: أن خيلًا جاءتْنا في نهارِ يومنا هذا زُهاء ثلاث مئة فارس بأعلام سود[3]، زاعمين أن جلال الدِّين فيهم، وأنهم أفنوا التَّاتار المقيمَ[4] بنَسا. فما كنا نصدِّقهم إلى أن حضر شخصٌ منهم إلى قريب السُّور، وقال: أنتم معذورون في احترازكم هذا، والسُّلطان شاكركم على ذلك، فأدْلُوا لنا من السُّور من المأكول وعَلِيْق الخيل ما يسُدُّ الجَوْعة، ويعينُ على الرِّحلة، وستعرفون الحال فتندمون. قال: فأدْلينا لهم إذ ذاك ما احتاجوا إليه، ورحلوا بعد ساعة. فتحقَّق صاحبُ نَسَا حينئذٍ أن الذي وقع على التاتار المقيم بنسا جلالُ الدِّين،

---

(١) في (ن) و(ق): «البارد»، وهو تحريف. ولعلَّ صواب العبارة: «إلا الشاذ النادر»، والله أعلم.

(٢) في (ق): «لولا ما تارك»، وهو تحريف، وعلق عليها محقق (ق) بقوله: كذا في الأصل، وتارك بمعنى ترك!

(٣) في الأصل: «سواد»، وهو وهم، والمثبت من (ن).

(٤) في (ن): «المقيمين»، وفي نسخة المتحف البريطاني: «المقيم»، وهي توافق ما في الأصل.

فجرَّد بعضَ خواصِّه بخيلٍ وأحمال بَغْل إليه برسم الخِدْمة، فلم يلحقه.

وساق جلالُ الدِّين إلى نيسابور. وأقام من توجَّه بالخيل والبِغال بقلعة جزيدر[1] إلى أن وصل أخو جلال الدِّين أزلاغ شاه وأق شاه بعده بثلاثة أيام، مُجْفلين من التاتار، فقدَّمها لهما بمرج سايغ[2]، فوقعت عند قطب الدين أزلاغ شاه على حقارتها موقعًا مشكورًا، ورسَمَ لصاحبِ نَسَا بعِدَّة مواضع زيادةً على ما كان تحت يده من البلاد. ففرح صاحبُ نسا بذلك فرحًا زائدًا، إذ كان يرضى بالأمان وحدَه، لعَوْده إلى نَسَا في زمن التاتار، واستعادةِ الحقِّ الموروث من غير مثالٍ يصدر[3]، وأمرٍ من السُّلطان يحتجُّ به، فيُعْذَر[4].

فبينا هم في تقرير أمرِ الإقطاع إذ أتاهم مُخبرٌ بأن عسكرًا من التَّاتار وصل إلى القلعة، يكشِفُ أخبارَ جلال الدِّين ومَقْصَدَه، ومَنْ وصل من العساكر السُّلطانية بعده، ولم يعلموا بوصولِ أزلاغ شاه. فرحل أزلاغ شاه، وتبعه التَّاتار إلى أُسْتُواء؛ بلد خَبُوشان، ولحقه بقرية تسمَّى وست[5]، فوقفَ لهم، واصطفَّ حِذاءهم، وجدَّ الفريقان في القِراع، ثم انجلت [عن][6] هزيمة الكُفَّار. فجاءت طائفة أخرى من الملاعين،

---

(١) تنظر الحاشية رقم: ٢ (ص١٠٦) من هذا الكتاب.

(٢) في (ن): «مرج شايغ»، وقد سلف ذكره (ص٧٤) من هذا الكتاب.

(٣) المثال: هو أول ما يكتب من ديوان الجيش في أمر الإقطاع قبل أن ينقل إلى ديوان الإنشاء. ينظر: «صبح الأعشى» (١٣/ ١٥٣ ـ ١٥٥).

(٤) كان اختيار الدين زنكي قد استغل انشغال السلطان علاء الدين محمد بالتاتار، فرجع إلى بلاده نسا، وحكمها وراثة عن آبائه، بعد إقامته بخوارزم مع أسرته سنين طويلة، ممنوعًا من الخروج منها. ينظر: «سيرة السلطان جلال الدين» (ص١٣٢، ١٨١).

(٥) في (ن): «وشت»، وفي نسخة المتحف البريطاني: «وست»، وهي توافق ما في الأصل.

(٦) ما بين حاصرتين من (ن).

فأحاطتْ بالمُسْلمين، فاستُشْهد أخوا جلال الدِّين، ومَنْ معهما من لُفَاظات المصائب. وعاد التاتار برأسَيْهِما، وقد نُصبا على الرِّماح، يدورون بهما في البلاد، فتقوم القيامة على أهلها عند مشاهدة الرَّأسَيْن، وتتجدَّد لهم مصيبتُهم في الحسن والحُسين[1].

وكان مع أولئك القَتْلى نفائسُ من الجَوْهر، فلم يفتِّشِ التاتار عنها، فخرجت عوامُّ تلك الضَّيعة إلى القتلى، فجمعتْها[2]، فكانوا يبيعونها لقِلَّة معرفتهم بأبخسِ الأثمان. واشترى صاحبُ نَسَا منها فَصًّا بسبعين دينارًا، ثم حُمل إلى جلال الدِّين، فعرفه، وقال: كان هذا الفَصُّ لأخي أزلاغ شاه. وقد اشتروه له بخُوَارَزْم بأربعة آلاف دينار، وسلَّمه جلال الدِّين بكَنْجَة إلى صائغ ليركبه له في خاتم، فزعم أنه قد ضاع، فصُدِّق، وأمرَ بالنِّداء عليه في المدينة يومين، فلم يظهر.

وأقام جلال الدين بنيسابور شهرًا، يتابع الرُّسل إلى الجهات في الاحتشاد والاستمداد، إلى أن علم التَّاتار بذلك، فأسرعوه عن المُراد، فخرج عن نيسابور فيمن انضوى إليه من الخُوارزمية، يطوي المراحل إلى أن وصل إلى القلعة القاهرة ـ وهي التي بناها مؤيَّد المُلك صاحبُ كَرْمان بزُوْزَن، تخالُ نيران الحُرَّاس بها لارتفاعها كواكب ـ وهمَّ أن يتحصَّن بها، فقيل له: إن مثلك لا يحسُنُ به أن يتحصَّن بقلعة، ولو بُنيت على فَرْق[3] الفَرْقد[4]،

---

(١) هما ريحانتا رسول الله ﷺ، وسيدا شباب أهل الجنة، رضي الله عنهما وأرضاهما.

(٢) في الأصل: «فجمعتهما»، والمثبت من (ن).

(٣) في (ن): «قرن»، وفي طبعة هوداس: «فرق»، وهي توافق ما في الأصل.

(٤) في (ن) و(ق): «الفرقدين». والفرقد: نجم قريب من القطب الشمالي ثابت الموقع تقريبًا، ولذا يهتدى به، وهو المسمى النجم القطبي، وبقربه نجم آخر مماثل له وأصغر منه، وهما فرقدان. ينظر: «المعجم الوسيط» (ص٧١٩).

أو هامةِ الجَوْزاء[1]، وحصون الملوك متون الحُصُن[2]، فلو تحصَّنتَ بالقلعة أفنى التاتار [عليها][3] أعمارَهم إلى أن تنال الغرض.

فجدَّ جلالُ الدِّين في السير إلى تخوم بُسْت، فأُعلمَ أنَّ جنكيزخان مقيمٌ بالطَّالَقان، فاستظلمَ ضوءَ النَّهار، واستخشنَ جانبَ القَرَار والفِرَار، إذ لا مهربَ قدَّامه، ولا منجى خلفه وأمامَه. فاستمرَّ مخاطرًا، وإلى غَزْنة مُبادرًا، فاتَّفق أن وصل إليه ابنُ خال أبيه في عشرة آلاف فارس من نُخَبِ العساكر السُّلطانية، سالمين من النَّكبة، فاتَّفقا على كَبْس التاتار المحاصِرين قلعة قُنْدُهار. ففعلوا، فانهزم الكفار، وقُتل أكثرُهم، وساق جلال الدِّين إلى غَزْنة، فدخلها.

قال: ولعل من وقفَ على كتاب «المسالك والممالك»[4] عَلِمَ أن بُعْدَ ما بين خُوَارَزْم وغَزْنة الذي بُثَّتْ[5] فيه عساكرُ جنكيزخان طالبةً جلال الدين بُعْدٌ شاسع، فوجده مع ذلك كالليلِ مُدْرِكُه وإنْ خال أن المُنْتأى[6] عنه واسع[7]. وهل سمعتَ بجنودٍ تواصلتْ مسيرةَ شهرين، وبجموعٍ غصَّت بها ما بين البَحْرين؟

---

(١) الجوزاء: برج من بروج السماء. ينظر: «المعجم الوسيط» (ص١٦٨).

(٢) الحصن جمع، مفردها حصان: وهو الفحل من الخيل. «اللسان»: (حصن).

(٣) ما بين حاصرتين من (ن).

(٤) لم يذكر النسويُّ مؤلفَ كتاب «المسالك والممالك»، فتحت هذا العنوان غير كتاب لغير مؤلف.

(٥) في (ن) و(ق): ثبت، وهو تصحيف.

(٦) في (ن): «المنشأى»، وفي (ق): «المنأى»، وكلاهما تحريف.

(٧) اقتباس من بيت النابغة الذبياني:

فإنك كالليلِ الذي هو مُدْرِكي ... وإنْ خِلْتُ أنَّ المُنْتأى عنكَ واسِعُ

من قصيدته التي يعتذر فيها للنعمان بن المنذر، ومطلعها:

عَفا ذو حُسًى مِنْ فَرْتَنَى فالفوارِعُ ... فَجَنْبَا أَرِيكٍ فالتِّلاعُ الدَّوافعُ

وهي في «ديوانه» (ص٣٠ ـ ٣٩).

فصل

في ذِكْر حال بدر الدِّين إيتانج[1] خان

كان من كبار أمراء السُّلطان، فرتَّبه ببُخارى، ثم قذفته الجَفْلة بعد استيلاء التاتار عليها إلى نَسَا، واتفق مع صاحبها[2]. وكان أبو الفَتْح؛ رئيس نشجوان - وهي من أمَّهات قرى نَسَا، ذاتُ سورٍ وخندق وباشورة[3] - يمالئ التَّاتار ويكاتِبُهم، فأعلمهم باتفاقهما. فجُرِّد إليه عسكرٌ لطرد إيتانج خان وعسكره، فحين وصلوا إلى نشجوان أصحبهم رئيسُها مَنْ يدُلُّهم على إيتانج خان، وكان بالقُرْب منه.

فالتقى الفريقان، وأبلى إيتانج خان بلاءً حسنًا، فانكمش التاتار، وولَّوْا الأدبار، وهو في أعقابهم حتى وصلوا إلى نشجوان آخر النهار، خلفَ مَنْ وصل إليها من المنهزمين، فتهافتوا إلى الخندق، غاطسين في الماء، بعد أن نادوا أبا الفتح، فأبى الفتح. فأمطر المسلمون عليهم من عزالي[4] القِسِي أمطارًا إلى أن أُغرقوا، فأُدْخِلُوا نارًا. ثم حاصروا نشجوان، فاستولوا عليها، وهلك أبو الفتح تحت المعاصير[5]، فقد خَسِرَ الدُّنيا والآخرة بسُوء التَّدْبير.

---

(١) كذا في الأصل أينما مر، وفي (ن): «إينانج خان»، أينما مرَّ كذلك.

(٢) هو اختيار الدين زنكي، وقد سلف (ص١١٥، ١١٦) من هذا الكتاب.

(٣) الباشورة: هي حائط وبرج يبنى على أبواب المدينة، للدفاع عنها قبل الوصول إلى قلعتها. ينظر على سبيل المثال: «كتاب الروضتين» (٣/ ٣٦، ٤/ ٣٩)، و«النجوم الزاهرة» (٧/ ١٩٥).

(٤) العزالي جمع، مفردها العزلاء: مصب الماء من الراوية والقربة. «اللسان»: (عزل).

(٥) المعاصير جمع، مفردها مِعْصار: آلة للتعذيب تتألف من قطعتي خشب على =

ورحل إيتانج خان صوب أَبِيْوَرْد، فجبى خَرَاجها، ثم عاد إلى نَسَا، ومنها إلى أعمال نَيْسابُور، ثم امتدَّ به الرَّكضُ إلى جلال الدِّين وهو بأعماق بلاد الهند[1]. ثم إن بعض الأمراء المقيمين بمَرْو عبر جَيْحُون إلى بُخارى، وكَبَسَ شِحْنة التاتار بها وقَتَله، فحرَّك ساكنَ الفِتْنة. فقصدُوه في زُهاء عشرة آلاف فارس، وكسروه ومَنِ انضوى إليه، وامتدَّتْ بِهم الجَفْلة إلى جُرْجان، وكان إيتانج خان بظاهرها، وتبعتهم التاتار، فوقعوا عليهم بين جُرْجان وأَسْتَراباذ بفضاءٍ واسع، فانهزم إيتانج خان حتى اتصل بغياث الدِّين بير شاه ابن السُّلطان، وهو بالرَّي، فسُرَّ بمَقْدمه، وعرفَ له حقَّ قَدَمه[2]. ولم يزل يُوفي له حقَّ الإكرام إلى أن طَمَحَتْ نفسه من خِطْبة والدته إلى ما يُسْتبعد مَرَامًا، ويستعقبُ خجلًا ومَلامًا، فلم يعش بعد ذلك إلا أيامًا. فقيل: إنه دَسَّ إليه من سقاه نَقِيْعًا[3]، وغادَره على الفِراش صريعًا، فدُفِنَ بشِعْب سلمان من بلاد فارس، وهو مزارٌ معروف.

وكانت الوَقْعة بجُرْجان في سنة تسع عشرة وست مئة، قال شهاب الدِّين المُنْشئ: وقد حضرتُها أيضًا.

= هيئة الكَلَّابة، تضغط بشدة على الرِّجلين أو الرأس. ينظر: «تكملة المعاجم العربية» (٧/ ٢٢٣).

(١) هنا اختصار مخلّ من أبي شامة، يفهم منه أن إيتانج خان هو الذي ذهب إلى جلال الدين وهو بأعماق الهند، والصواب أن الذاهب إليه هو إيلجي بهلوان. فالعبارة في (ن) هي: «وسار ـ أي: إيتانج خان ـ إلى سبزوار؛ من أعمال نيسابور، وبها إيلجي بهلوان، وقد تغلب عليها، وطمع في مغالبته عليها، فالتقيا بظاهرها، وانجلت المعركة عن هزيمة إيلجي بهلوان، وامتدَّ به الركض إلى جلال الدين وهو إذ ذاك بأعماق بلاد الهند. وقويت شوكة إيتانج خان، واستفاض حكمه في أعماق بلاد خراسان عامة».

(٢) أي: معروفه وصنيعه. «اللسان»: (قدم).

(٣) النقيع: السمُّ البالغ القاتل. «اللسان»: (نقع).

فصل

فيما جرى لركن الدِّين غورسانجتي ابنِ السُّلطان محمد صاحبِ العراق، ومآل أمره، وبعض أخبار أخيه غياثِ الدِّين

كان ركن الدِّين قد اتَّصل بالسُّلطان عند تسحُّبِه إلى العراق[1]، وانتبذ به الرَّكض من الكَبْسة إلى حدود كَرْمان، فأقام بها تسعة أشهر نافذَ الأمر فيها. ثم خرج إلى العراق سائرًا إلى دمِهِ بقدمه، فساق إلى أَصْبَهان وقد وقع بها فِتَنٌ واختلاف، فامتدَّ نحو الرَّي، فوجد بها طائفة من دُعاة الإسماعيلية، يدعون أهل الرَّي إلى طاعتهم، ويزيِّنُون لهم أنَّ سلامتهم في مشايعتهم، فعلم ركن الدِّين بهم، فقتلهم. وورد الخبر قبل اسْتِجْمامه بها بأن التَّاتار قاصِدُوه، وطلع قلعة سِتُون آوند[2]، وتحصَّن بها، وهي حصينة جدًّا، تَزِلُّ عن محاذاتها أجنحةُ النُّسور، غيرُ محتاجةٍ بمناعتها إلى السُّور.

فأحاط التاتار بها، وبَنَوْا ـ على عادتهم في حِصار مثلها من القِلاع ـ حولها سُورًا. وكان ركن الدِّين ومَنْ مَلَكها قبله يعتقدون أنها لا تُؤخذ إلا صَبْرًا[3]، ولا تُمْلك إلا بعد حصارِها دَهْرًا، ولا يُقْدَر[4] عليها حِيْلة ومَكْرًا. فلم تَرُعْه إلا زَعَقات[5] الملاعين

---

(١) تنظر: (ص٩٤) من هذا الكتاب.

(٢) الضبط من الأصل، وفي (ن): «أستون آوند»، وفي نسخة باريس وطبعة هوداس: «سنون آوند».

(٣) في (ن): «ضبرًا»، وهو تصحيف.

(٤) في (ن): «ولم يقدر».

(٥) في (ن): «زعقة»، وفي نسخة المتحف البريطاني: «زعقات»، وهي توافق ما في =

حول فِنائه سُحْرةً[1]. والسَّببُ في ذلك أنَّ الحُرَّاس كانت مرتَّبة على جِهاتها التي يُحترز عليها، ويُتوهَّم منها من[2] حِيْلة تُعمل، وقد غَفَلوا عن جهة لم يَعْتنِ[3] السَّلف بترتيب الحُرَّاس عليها قديمًا لمناعتها. فوجد التَّاتار في بعض تلك الجهات شَقًّا في الشَّقيف[4]، نبتَ فيه العُشْب من أسفله إلى أعلاه، فاستعملوا من الحديد أوتادًا طِوالًا، ودَقُّوها ليلًا، وكانوا إذا دَقُّوا واحدًا منها علاه الواحد منهم، ودق فوقه آخر، إلى أن صَعِدَ، وأدْلى الحِبال، وجَذَبَ الآخرين. فأحاطوا بالدَّار، وتفرَّق الجند، وخُذل الحُرَّاس[5] والبوَّاب، فقتلوا ركن الدِّين أحسن[6] ما كان:

فَمَسَّاهُمْ وبُسْطُهُمُ حريرٌ وصبَّحَهُمْ وبُسْطُهُمُ تُرَابُ[7]

وكان كمال الدِّين[8] محمد آيْ أبه القَزْويني[9] حدَّثَتْه نفسُه بتملُّكِ

= الأصل. بيد أن المحقق رسمها «رعقان»، وهو تحريف.

(١) السُّحْرة: آخر الليل قبيل الصبح. «اللسان»: (سحر).

(٢) «من»، ليست في (ن) و(ق).

(٣) في (ن) و(ق): «لم يُعنَ»، وفي نسخة باريس وطبعة هوداس: «لم يعين»، وفي نسخة المتحف البريطاني: «لم يعتن»، وهي توافق ما في الأصل.

(٤) في (ن) و(ق): «السقيف»، وهو تصحيف، وفي نسخة المتحف البريطاني: «الشقيف»، وهي توافق ما في الأصل، وتنظر الحاشية رقم: ٦ (ص١١٠) من هذا الكتاب.

(٥) في (ن): «الحارس».

(٦) في (ن) و(ق): «أحسر»، وفي نسخة لينينغراد: «أخسر»، وكلاهما تحريف، وفي نسخة المتحف البريطاني: «أحسن»، وهي توافق ما في الأصل. وأحسن ما كان؛ أي: بأتم حالاته شعورًا بالأمان، يفسر ذلك البيت التالي.

(٧) البيت لأبي الطيب المتنبي في مدح سيف الدولة، من قصيدة مطلعها:

بغيرِكَ راعيًا عَبَثَ الذِّئابُ وغيرَكَ صارمًا ثَلَمَ الضِّرَابُ

وهي في ديوانه بشرح أبي العلاء المعري «معجز أحمد» (٣/ ٤٠٥ ـ ٤١٨).

(٨) في (ن) و(ق): «جمال الدين».

(٩) في (ن): «الفرزيني».

العراق، واجتمع عليه بهَمَذان من الأتراك العراقيين خلقٌ، فعاثَ بأَصْبَهان وغيرِها. ثم لمَّا بلغه ما تمَّ على ركن الدِّين خَفَق قلبُه وطار لُبُّه، فحُسِّن له الانخراط في سِلْك التَّاتار، فكاتَبَهم طائعًا مُذْعنًا، وبشِعار الطاعة مُعْلنًا، فسيَّروا إليه خِلْعةً تاتارية مشهرة بالشؤم، مطرَّزة بالخِسَّة[1] واللؤم. فلبِسَها مجاهرًا بالوِداد، مُسَخِّمًا وجهه بالارتداد[2]. وتوجَّه التَّاتار صوبَ هَمَذان، وأرسلوا إليه يقولون: إن كنتَ صادقًا فيما زعمتَ من طاعتنا وموالاتنا، فلا بدَّ من الحضور. فحضر واثقًا بما أعطوه من الذِّمام[3]، فقتلوه، وقتلوا مَنْ معه من العراقية. وبعثوا[4] إلى هَمَذان، فالتقاهم الرَّئيس علاء الدَّوْلة؛ الشريف العلوي، فضَمِنَ لهم حُسْن الطَّاعة، فقلَّدوه أمرَها ورجعوا، إذ كانوا يعلمون أن يمه نوين وسبطي بهادر[5] قد استوليا على هَمَذان مبدأ خروج التاتار، فكَنَسَاها[6] من أموالها، وأخلياها من رجالها، فليس بها طائل، وإن كان ما بها حائل[7].

وأما غياثُ الدِّين ابن السُّلطان، فصَفَتْ له كَرْمان، ثم تمكَّن من العراق بعد شدائد جرت، ونفذت أوامره في مازَنْدَرَان وخُراسان. وقصد أَذْرَبِيْجان، وبها الأتابَك أُزبك [بن][8] محمد بن إِيلْدِكِز صاحِبُها،

---

(١) في طبعة هوداس و(ق): «بالحسد»، وهو تحريف.

(٢) تنظر الحاشية رقم: ٥ (ص٨٦) من هذا الكتاب.

(٣) الذِّمام: العهد والأمان. «اللسان»: (ذمم).

(٤) في (ن) و(ق): «ومشوا».

(٥) هما قائدا التاتار المغرِّبة اللذان لاحقا السلطان علاء الدين محمد، ينظر: «تاريخ جهانكشاي» (١/ ١٤٥)، وما بعدها، و(ص٩٢) من هذا الكتاب.

(٦) في (ق): «فكبساها»، وهو تصحيف.

(٧) في (ن) و(ق): «وأن ما دونها حائل»، وما في نسخة المتحف البريطاني يوافق ما في الأصل.

(٨) ما بين حاصرتين ليس في الأصل، والمثبت من (ن)، وقد سلف على الصواب (ص٦٠) من هذا الكتاب.

فصالحه وزوَّجه بأخته الملكة الجلالية صاحبة نَخْجُوان.

ثم ساق غياثُ الدِّين نحو فارس، وبها الأتابك مظفَّرُ الدِّين سَعْد بن زَنْكي صاحبها، فتحصَّن منه بقلعة إصْطَخْر. فسار[1] غياثُ الدِّين إليها، فملك رَبَضها وخرَّبه. ثم رحل إلى شِيْراز، فدخَلها عَنْوة[2]. وسيَّر ألبي خان إلى كازَرُون، وبها آثار الشيخ أبي إسحاق الشِّيْرَازي[3] رَحِمَهُ اللَّهُ فاستولى عليها، وسبى الذَّراريَّ، وهَتَك الحُرَم، وأحلَّ بأهلها النِّقَم. وكان قد اجتمع هناك على مَرِّ الدُّهور، أموالٌ جَمَّة من النُّذور، فحمَلها ألبي خان إلى بيتِ ماله، فكان عاقبةُ أمره أنْ أسره التَّاتار ببابِ أصبهان، فشدُّوا رِجْلَيْه تحت الفرس وكتَّفُوه، وبعثوه مسيرة سنتين إلى خاقان، فأحرقه.

ثم سار غياث الدِّين إلى حدود بلاد بغداد، فأرسل إليه الإمام النَّاصر[4]، فأذعَنَ بالطَّاعة، وعاد إلى العراق.

---

(١) في (ن) و(ق): «فساق»، وفي نسخة المتحف البريطاني: «فسار»، وهي توافق ما في الأصل.

(٢) كان مسير غياث الدين إلى فارس في آخر سنة ٦٢٠هـ، وملك شيراز في أول سنة ٦٢١هـ، ينظر: «الكامل» (١٢/ ٤٢٠ ـ ٤٢١).

(٣) هو: الإمام العلامة إبراهيم بن علي، من كبار الزهاد، وإليه انتهت رياسة الشافعية في عصره، وكان يضرب المثل بفصاحته وقوة مناظرته، ولد سنة ٣٩٣هـ، وتوفي ببغداد سنة ٤٧٦هـ، تنظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٤٥٥ ـ ٤٦٤)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٤/ ٢١٥ ـ ٢٥٦).

(٤) هو: الخليفة الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء بأمر الله، ولي الخلافة سنة ٥٧٥هـ، وتوفي سنة ٦٢٢هـ، وأخباره مبثوثة في تواريخ ذلك العصر، وتنظر ترجمته في: «الكامل» لابن الأثير (١٢/ ٤٣٨ ـ ٤٤٠)، و«مرآة الزمان» (٢٢/ ٢٧٤ ـ ٢٧٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ١٩٢ ـ ٢٤٣) ـ وساق فيها ما وقع في خلافته من وقائع ـ واستقصيتُ مصادر ترجمته في تحقيقي لكتاب «المذيل على الروضتين» (١/ ٣٧٩).

فصل

في ذِكْرِ الحوادث بغَزْنة بعد عَوْدِ جلال الدِّين وتغْريقهِ حُرَمَهُ

وصلَ إلى غَزْنة في سنة ثماني عشرة وست مئة، وتباشَرَ النَّاس بوصوله، واتَّصل بخِدْمته جماعةٌ من المُلوك في زُهاء ثلاثين ألف فارس، وكان معه من عسكره وغيرهم مثلها.

وأرسل جنكيزخان ابنَه تولي خان في عسكرٍ كثيف، واستقبله جلال الدِّين، فهزمه وتَبِعَ فَلَّه[1]، يَخْطَفُ بالقواطع علاوات الأخادع[2]، ويفصِلُ بالأسيافِ مجامعَ الأكتاف. وكيف لا[3]، وقد فَجَعوه بإخوته وأبيه، ومملكته وذويه، وفصيلتِه التي تُؤويه، فتُرِكَ لا والد ولا مولود، ولا مستقرٌّ ولا موجود[4]، تلفظه البوادي[5] إلى البوادي، وتقذِفُه المخاوفُ إلى التَّنائف[6]. وقُتِلَ ابنُ جنكيزخان في وَهَجِ القِتال[7]، وكَثُرَ

---

(١) الفَلّ: المنهزمون، وتصحفت في (ن) و(ق) إلى: «الغل». ينظر: «اللسان»: (فلل).

(٢) تنظر الحاشية رقم: ٢ (ص٦٥) من هذا الكتاب.

(٣) في الأصل: «كيف ولا»، بزيادة الواو، وهو خطأ، والمثبت من (ن).

(٤) في (ن) و(ق): «ولا عابد ولا معبود». ولم يستسغ أبو شامة هذه العبارة، فغيَّرها إلى ما قرأت.

(٥) في (ن): «النوادي».

(٦) التنائف جمع، مفردها تنوفة: وهي الأرض القفر، والمفازة. «اللسان»: (تنف).

(٧) هذه رواية النسوي، وتابعه على ذلك الذهبي في «سير أعلام النبلاء» =

الأَسْر حتى كان الفرَّاشون يُحْضِرون أسْرَاهم إلى بين يديه، فيدقُّون الأوتاد في آذانهم تشْفِّيًا منهم، وجلال الدِّين وجهه بالبَشَاشة يتبَلَّج[1].

فلما عادتِ الجَفْلة إلى جنكيزخان سار بنفسِه في عساكره. وقد اختلف عسكرُ جلالِ الدِّين، ووقع بينهم لمزاحمةٍ في غنائم تلك الوَقْعَة بين الأتراك وغيرهم، فانفصَلَ عنه من كان انضوى إليه، وعَجَزَ عن إصلاحِ الحال، وتلاقي تلك الرِّجال.

قال: وكان جلال الدِّين إذا لاطفهم في الاسترجاع، وراسلهم في عَقْدِ كلمة الاجتماع[2]، نفرتِ الأتراكُ نفورًا، ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٧][3].

قال: ولقد أخطأ ملوكُ ذلك البيت في انتصارهم بالتُّرْك، على جِنْسهم من ذوي الشِّرْك.

ولما بلغ جلالَ الدِّين نهوضُ عدوِّ الله إليه، وقد فارقه الأمراء، حَدَسَ بالآفة، وأحسَّ بالمَخَافة، وعلم أن لا طاقة له بجنكيزخان إلا باسترادِهم، وموافقتِهم على مُرَادهم، فرأى أن يتأخَّرَ إلى حافَةِ ماء السِّنْد، ثم يستأنفَ مكاتبةَ المُنْفصلين. فأعْجَله[4] جنكيزخان عمَّا دَبَّر، فجاء الأمرُ بخلافِ ما قدَّر.

= (٢٢/٢٤٣ ـ ٢٤٤). أما الجويني فلم يذكر أن تولي بن جنكيزخان قتل بهذه الوقعة، بل لم يذكر أنه اشترك فيها، فقد كان وقتئذ يقاتل بخراسان للاستيلاء عليها، ينظر: «تاريخ جهانكشاي» (١/١٣٩، ١٥٦، ١٦٩، ١٧١).

(١) يتبلج؛ أي: يضحك مظهرًا الفرح والسرور. ينظر: «اللسان»: (بلج).

(٢) في (ن): «الإجماع»، وفي نسخة المتحف البريطاني: «الاجتماع»، وهي توافق ما في الأصل.

(٣) وفي (ن) و(ق): ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، ولم ينتبه محقق (ق) إلى أنها آية كريمة.

(٤) في (ن): «فعجّله»، وكلاهما صحيح.

وكان بجلال الدِّين[1] عند خروجه من غَزْنة قُولَنْج شديدٌ، ولم يَرَ مع ذلك الجلوسَ في المِحَفَّة، فركب الفرس تجلُّدًا على ما به من ألمٍ شديد، ووجع وبِيْد[2]، إلى أن منَّ الله عليه بالعافية.

وورد الخبر أن مقدِّمة جنكيزخان نزلت بجزدير[3]، فكَبسهم، فلم يَفُتْه إلا سَرَعان الخيل[4] تحت ذيولِ الليل، ولما بلغ اللعين ذلك طوى المراحل أسرع طَيّ. ورجع جلال الدِّين إلى مخيَّمِه بحافَةِ ماء السِّنْد، وضاق الوقتُ عمَّا كان ينويه من جَمْع المراكب، واسترجاع الكتائب. ووصل مركبٌ واحد، فأمر بتعبير والدته وحُرَمِه، ومَنْ ضمَّتْه الدُّور، وحجبته السُّتور، فانكسر المركب، وتعذَّر العُبور. ووصل جنكيزخان مستعدًّا للقتال، ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

فتصافَّا صبيحة يوم الأربعاء لثمان خَلَوْن من شَوَّال سنة ثمان عشرة وست مئة. وهذه من مُعْظمات الحروب، ومُعْضلات الخُطوب، فلما تلاقى الفريقان، والتقتْ حَلْقتا البِطان[5]، وقف جلال الدِّين حذاءه في قُلٍّ من العَدَد:

---

(١) في (ن) و(ق): «لجلال الدين»، وهو خطأ.

(٢) كذا في الأصل، وفي اللغة: الوَبَد: سوء الحال من كثرة العيال وقلة المال، يقال: رجل وبَدٌ؛ أي: فقير، وليس هو المعنى المراد هنا. ولعل الصواب: وبِيْد جمع بيداء، وهي الفلاة، المفازة لا شيء فيها. هكذا استظهرتها، والمعنى: على ما به من وجع، وأمامه طريق شاسعة يقطعها، وهذا أشد لآلامه. وقد شرحها محقق (ق): «شديد»، ولا تسعده اللغة بهذا اللفظ لهذا المعنى، والله أعلم. ينظر: «اللسان»: (بيد)، (وبد).

(٣) كذا في الأصل، وفي (ن): «بجرديز»، وفي طبعة هوداس: «بجردين». ولم أقف عليه.

(٤) سرعان الخيل: أوائلها. «اللسان»: (سرع).

(٥) البِطان: الحزام الذي يلي البطن، ويقال: التقت حلقتا البطان للأمر إذا اشتد. «اللسان»: (بطن).

بنفسٍ تعافُ العارَ حتى كأنَّه هو الكُفْرُ عند الرَّوْعِ أو دُونَه الكُفْرُ[1]

ثم حَمَلَ بنفسه على قلب جنكيزخان، فمزَّقه بَدَدًا، وجعله طرائقَ قِدَدًا[2]. وولَّى اللعينُ بنفسه، وكادتِ الدَّائرة تدور على الكُفَّار، لولا أن اللعين كان قد أفرد قبل اللِّقاءِ الكَمِين، وفيه عشرةُ آلاف فارس، فخرجوا على ميمنة جلال الدِّين، فطرحوها على القلب، فتبدَّد نِظامُه، وَتَزَعْزَعَت عن الثَّبات أقدامُه. وانجلتِ المعركة عن قتلى مضرَّجين بالدِّماء، وغرقى[3] غاطسين في الماء، فكان الرجل منهم يأتي النهر، فيهوي بنفسه في تيَّاره، وهو يعلم أنه لا بد غريق، وأن ليس له إلى الخلاص طريق. وأُسِرَ ولدُ جلال الدِّين، وهو ابنُ سبع أو ثمان في الوَقْعَة، وقُتِلَ بين يدي جنكيزخان.

ولما عاد جلال الدِّين إلى حافَةِ ماءِ السِّنْد كسيرًا، وافى[4] والدتَه وأمَّ ولده وجماعةً من حُرَمِه يصِحْن بأعلى أصواتهن: بالله عليك اقتلْنا وخلِّصْنا من الأسر. فأمر بهن، فغُرِّقن. قال: وهذه من عجائبِ البلايا، ونوادر المصائب والرَّزايا.

وأما العساكرُ التي فارقت جلالَ الدِّين، فقد استنزلهم جنكيزخان بعد فَرَاغه من جلال الدِّين من الجِبال والتِّلال، واستخرجَهم من بُطون الغابِ وأجواف الشِّعاب.

---

(١) البيت لأبي تمام من قصيدة، مطلعها:

كذا فليَجِلَّ الخَطْبُ وليفدَحِ الأمرُ فليس لعينٍ لم يَفِضْ ماؤها عُذْرُ

وهي في ديوانه بشرح التبريزي (٤/٧٩ ـ ٨٥)، ورواية البيت فيه:

ونفسٍ تعافُ العارَ حتى كأنَّه هو الكُفْرُ يومَ الرَّوْعِ أو دُونَه الكُفْرُ

ويبدو أن النسوي غيَّره ليأتلف مع ما قبله.

(٢) أي: متبددين، متفرقين. «اللسان»: (بدد، قدد).

(٣) «وغرقى»، ليس في (ن) و(ق).

(٤) في (ن) و(ق): «رأى»، وما في الأصل أجود.

قال: وحدَّثني ضياءُ المُلك النَّسَوي، قال: أهويتُ بنفسي إلى الماء، ولم أعرفِ السِّباحة، فغَطَسْتُ وأشرفت على الهلاك، فبينا أنا في غَمَرات الماء أضطربُ، إذا بصبيٍّ ومعه زِقٌّ منفوخ، فمددتُ يدي، وهمَمْتُ بتغريقه، وأخْذِ الزِّقِّ منه، فقال: إن كنتَ ترضى بخلاصِك دون هلاكي فشارِكْني فيه، أوصلك إلى السَّاحل. ففعلتُ وسَلِمْنا، وقد طلبتُه بعد ذلك أشدَّ طلب، لأجازيه[1] على صَنِيعه، فلم أجده على قِلَّة عددِ النَّاجين.

ولما وصل جلالُ الدِّين إلى حافَةِ ماءِ السِّنْد، وقد سُدَّت دونه المهارب، وأحاطتْ به المعاطب، ورأى وراءه البواتر، وقدَّامَه البحرُ الزَّاخر، رَفَسَ فرسَه في الماء لابسًا عُدَّته، فعَبَرَ به الفرسُ ذلك النهَر العظيم، صُنْعًا من الله تعالى فيمن يتولَّى حِفْظه. وبقي معه ذلك الفرس إلى أن فَتَحَ تِفْلِيْس[2] معافى عن الرُّكوب.

وقد تخلص إلى تلك الجِهة زُهاء أربعة آلاف رجلٍ من عسكره، حفاةً عُراة كأنَّهم أهلُ النُّشُور، حُشِروا فبُعْثِرُوا[3] من القُبور. وفيهم ثلاثُ مئةِ فارسٍ تقدَّمُوا جلالَ الدِّين بعد العبور ثلاثة أيام، إذ كان الموجُ قد رماه إلى ناحية بعيدةٍ في ثلاثة من خواصِّه. والجماعة لم يعلموا بسلامته، فأصبحوا حائرين[4]، وفي تِيْه الفكرة سائرين، هَمَلًا كالشَّاء فَقَدَتْ[5] راعيها، إلى أن اتَّصل بهم جلالُ الدِّين، فاعتدُّوا مَقْدَمَه[6] عيدًا، وظنُّوا

---

(١) في (ن): «أجازيه»، وفي نسخة المتحف البريطاني: «لأجازيه»، وهي توافق ما في الأصل.

(٢) ينظر: (ص١٦٢) من هذا الكتاب.

(٣) في (ن): «فبعثوا».

(٤) في (ن): «خائرين»، وهي تصحيف.

(٥) في (ن) و(ق): «فُقد».

(٦) في (ن) و(ق): «لمقدمه»، وهو خطأ.

أنهم نشؤوا خَلْقًا جديدًا. ووصلَ مركبٌ فيه ملبوسٌ ومأكولٌ مع جمال الزَّرَّاد، فوقَعَ ذلك عند جلال الدِّين موقعًا حسنًا، وولَّاه أستاذية الدَّار، ولقَّبَه اختيار الدِّين.

فصل

فيما جرى لجلال الدِّين مع ملوكِ بلاد الهِنْد إلى أن رَجَعَ إلى العراق وتَمَلَّك البلادَ من أخيه غياث الدِّين

خرج على جلال الدِّين صاحبُ جبل الجُودِيِّ في ألفِ فارس وخمسة آلافِ راجل[1]. فرأى الموت قد فَغَرَ فاه، والصَّوارم تطلب وَجْهَه وقفاه، فحيث أمَّ شُهِرَت عليه السُّيوف، وأنَّى ألمَّ أحدقت به الحُتُوف. ومعه من الجرحى من يتعذَّرُ استصحابهم للانفلات، وعَلِم أنَّ الهنود لو ظَفِرُوا بهم لم يقتلوهم إلا مُثْلة ونَكالًا، فمضى الأخُ منهم إلى أخيه الجريح، والقريبُ إلى حميمه الطَّريح، فحزَّ[2] رأسه. ورحلوا عازمين على أن يعبروا النهر إلى صوب التَّاتار، فيختفوا ببعض تلك الآجام والغِياض، فيعيشوا بما تنالُ أيديهم من الغارات.

ويُخيَّل إلى الهنود[3] أنَّهم من التَّاتار، فحين تآمَرُوا على ذلك توجَّهتِ الرَّجَّالة صوب مَقْصَدِهم، وتأخَّر عنهم جلالُ الدِّين بمَنْ معه من الخيَّالة على رَسْم اليَزَك[4]. فجاءه صاحبُ الجُوديِّ في عسكره، فلما اكتحلت عينُه بجلال الدِّين حَمَلَ عليه بنَفْسِه، فنَبَتَ له إلى أن قارَبه،

---

(١) في الأصل: «رجل»، والمثبت من (ن).

(٢) في (ن): «وجز»، بالجيم، وما في الأصل هو الصحيح.

(٣) في (ن): «وتخيَّل الهنود».

(٤) اليزك: كلمة فارسية تعني: طلائع الجيش. ينظر: «التعريف بمصطلحات صبح الأعشى» (ص٣٦٤).

ورماه بنُشَّابة طارتْ إلى صَدْره، فهَتَكت[1] حِجاب سِتْره[2]، فخرَّ، وانهزم عسكره. وتجمَّل[3] جلالُ الدِّين بخَيْله وعُدَّته، وما أفاء الله عليه من أمواله وأسلحته.

ولما سَمِعَ نائبُ قباجة[4] بدندنة[5] وساقون بهذه الوَقْعة تقرَّب إلى جلال الدِّين بالهدايا.

ولما استراحَ من ثِقَلِ تلك الوطأة، ولمَّ ما به وببقايا أصحابه من شَعَثِ الوَقْعة، بلغه أن بنتَ أمين مُلْك سَلِمَتْ من الغَرَق، [ولجأتْ][6] إلى بعضِ مدن قباجة، فراسله يقول: إنَّ ذوات الخُدُور وضمائر السِّتْر من حُرَمه قد غرقن، وإن بنتَ أمين مُلْك تمُتُّ إليه بقَرَابة، وقد رَغِبَ في نقلها إلى الدَّار، فليُجَهِّزْها إليه صُحْبة الرَّسول. فنَشِطَ قباجة لتحرِّي[7] مَرْضاته، وجَهَّزها إليه، وأصْحَبها تقادم[8] برسم

---

(١) في (ن): «هتكت»، وفي نسخة المتحف البريطاني: «فهتكت»، وهي توافق ما في الأصل.

(٢) في (ن): «سره».

(٣) في (ن) و(ق): «وتحمل»، وهي تصحيف، وفي نسخة لينينغراد: «وتجمل»، وهي الصواب، وتوافق ما في الأصل.

(٤) قباجة هذا، ولقبه ناصر الدين، كان أحد مماليك السلطان شهاب الدين الغوري، ينظر: «الكامل» (١٢/ ٣١١)، والحاشية رقم: ٤ (ص٦٤) من هذا الكتاب.

(٥) كذا في الأصل، وفي (ن): «بتدنة»، وفي نسخة المتحف البريطاني: «بدندته»، وأهملت بنسخة باريس ولينينغراد، وفي (ق): «بدبدبة». وهي اسم مدينة بالهند، وكذلك ساقون، ولم أقف عليهما.

(٦) ما بين حاصرتين من (ن).

(٧) في (ن) و(ق): «ليجري»، وهي تصحيف، وفي نسخة المتحف البريطاني: «لتحري»، وهي توافق ما في الأصل.

(٨) في (ن) و(ق): «تقاديم». والتقادم جمع، مفردها تقدمة: هدية، أو عطية. =

جلال الدِّين، من جُمْلتها الفِيل. فَقَبِلَ ذلك أحْسَنَ قَبُول، وقابَله بأجملِ مَقُول، وانتظم الصُّلح، وأَمِنَتِ البلاد، إلى أن قضتِ الأيامُ بالفُرْقة والبَيْن، ودَبَّتْ عقارِبُ الفَساد في ذاتِ البَيْن.

منها: أن وزيرًا[1] لجلالِ الدِّين رَمَتْه الوَقْعة إلى قباجة، فآمنه وآواه، وأكرم مَثْواه. فاعتقد أن جلال الدِّين ليس فيمن نجا، ولا ممَّن يُخاف بعدُ ويُرْتجى، فاسترسلَ معه في أمورٍ كان الحَزْم يقتضي إخفاءها عنه. فلمَّا تحقَّق أنَّ جلالَ الدِّين سالم، استوحش من جانبه، ونَدِمَ على ما أودعه من سِرِّه، فقتله خوفًا من أن يحدِّثَ جلالَ الدِّين بها.

ومنها: أن فرن[2]خان بن أمين مُلْك طَرَحَتْه الوَقْعة إلى بعضِ بلاد قباجة، فقُتِلَ طفلًا، وحُمل إليه مِنْ سَلَبه دُرَّةٌ كانت في أُذُنه. وبلغَ جلالَ الدِّين كلُّ ذلك فتصبَّر، إلى أن اتَّصل به الأمراء المُنْفصلون عن أخيه غياث الدِّين، فقصد بعض بلاد قباجة فملكها، وأصابَتْه في حصارِها نُشَّابة في يده. ثم حاصر مدينة أخرى، فأخذها، وأصابته عليها أيضًا نشابة أخرى، فتأكدتِ[3] الوَحْشة.

فلمَّا رأى قباجة بلاده تُطْوى شيئًا بعد شيء، احتشد واستنجد، وعَزَمَ على المصافّ. وعلم جلالُ الدِّين أن التقاءه بأصحابه الذين عضَّتْهم الوقائع، ورضَّتْهم الخُطوب القوارع تغريرٌ[4]، فعَزَم على البَيَات[5]. فركب

= ينظر: «تكملة المعاجم العربية» (٨/ ٢٠٢).

(١) هو: شمس الملك شهاب الدين الهروي، وسيأتي التصريح باسمه (ص١٤٣) من هذا الكتاب.

(٢) كذا في الأصل، وفي (ن) و(ق): «قرن»، وفي نسخة لينينغراد: «قرر».

(٣) في طبعة هوداس: «تاهت»، وتابعه محقق (ق)، وهي تحريف شنيع.

(٤) في طبعة هوداس: «بغرير»، وتابعه محقق (ق)، وهي تحريف.

(٥) في (ن) و(ق): «الثبات»، وهي تصحيف، ونسخة المتحف البريطاني توافق ما في الأصل، «والبيات»: الإيقاع بالعدو ليلًا، ليؤخذ بغتة. ينظر: «اللسان»: (بيت).

في السِّباع والذِّئاب الجياع، مُحْرَضين[1] من جَهْد البلاء، وضَنْك البُؤس واللَّأْوَاء[2]، حتى أحاط به وبعسكره إحاطةَ الدَّائرة بالمركز، فأعْجَلَه[3] عن الرُّكوب، وألجأه إلى الهُروب. فسار بنفسه ومن[4] خَفَّت به الظُّهور مُجْفِلًا، وترك العسكرَ شاغرًا بما فيه من الخيام المضروبة، والدَّهاليز المنصوبة، والخزائن المتكاثرة، والعُدَد المتوافرة[5]، فحصلتْ لجلال الدِّين وأصحابه:

بِذا قَضَتِ الأيَّامُ ما بينَ أَهْلِها مصائبُ قومٍ عندَ قومٍ فوائِدُ[6]

ثم مالَ جلالُ الدِّين على باقي بلاد قباجة، فجَبَى أموالها، واسْتَعْبَد رجالها. فقصده شمس الدين إيلتمش[7] في جَمْعٍ عظيم، ثم أرسل إليه في طلب المُوَادعة، وقال: ليس يخفى عليَّ[8] ما وراءك من عدوِّ الدِّين، وأنتَ اليوم سُلْطان المسلمين، وابنُ سُلْطانهم، ولستُ أستحلُّ أن أكون عليك عَوْنًا للزَّمان، وعُدَّة للحَدَثان. ولا يليقُ بمثلي أن يُجَرِّد السَّيف في وَجْه مثلِك إلا عن ضرورة، وإنْ رأيتَ زوَّجْتك ابنتي لتَسْتَحْكِمَ الثِّقة،

---

(١) في (ن) و(ق): «مخرجين»، وفي نسخة باريس وطبعة هوداس: «مجرحين»، وكلاهما تحريف. والمحرضين جمع، مفردها المُحْرَض: الهالك مرضًا. «اللسان»: (حرض).

(٢) في (ن): «اللواء»، وهي تحريف، وتنظر الحاشية رقم: ١ (ص٩٣) من هذا الكتاب.

(٣) في (ن): «فعجَّله»، وكلاهما صحيح.

(٤) في نسخة المتحف البريطاني: «وبمن»، وهي الأشبه.

(٥) في (ن) و(ق): «الوافرة».

(٦) البيت لأبي الطيب المتنبي من قصيدة، مطلعها:
عَوَاذِلُ ذاتِ الخالِ فيَّ حواسِدُ وإنَّ ضجيعَ الخَوْدِ منِّي لماجِدُ
وهي في ديوانه بشرح أبي العلاء المعري «معجز أحمد» (٣/ ١٩٩ ـ ٢١٥).

(٧) في (ن): «إيلتتمش».

(٨) في (ن): «على»، وهو وهم.

وتزولَ الوَحْشة. فمالَ جلالُ الدِّين إلى ما قال، وأصْحَبَ رسولَه اثنين من أصحابه، فمضيا إليه، واختاراه عليه، وأقاما لديه، اسْتِخلاصًا ممَّا مُنُوا به من مكابدة[1] الأخطار، ومداومة الأسفار، ووَصْلِهم سَهَرَ اللَّيْلِ بتعَبِ[2] النَّهار.

وترادفتِ الأخبار بأن إيلتمش وقباجة وسائرَ ملوكِ الهند، قد تآمروا على قَلْعه. فعَظُمَتْ بَلِيَّتُه، فعزم على قَصْد العراق؛ بلادِ أخيه غياث الدِّين، واستنابَ جهان بهلوان على ما كان يملِكُه من بلاد الهند، والحسن قرلق ـ وقد لقَّبه بوفاءِ مُلْك ـ على ما قد نجا من بلاد الغُور وغَزْنة من صَدَمات التَّاتار.

واستمرَّ وفاءُ مُلْك بها إلى آخرِ أيَّامه. وطُرِدَ جهان بهلوان عمَّا كان يليه في سنة سبعٍ وعشرين وست مئة، فوصل إلى العراق.

وقاسى جلالُ الدِّين ومَنْ معه في البَرَاري القاطعة بين كَرْمان والهند شدائد، أَنْسَتْهم سائرَ الكُرَب، وأعْوَزَهم الماءُ فَضْلًا عن القوت. فوصل إلى كَرْمان في أربعة آلافِ فارس، فيهم ركَّاب أبقار وحمير[3]. وكان بها براقُ الحاجب ينوبُ عن أخيه غياث الدِّين، فأظهر الطاعة. وأقام بدارِ المملكة شهرًا، ثم رحل صوبَ شِيْراز، ووَرَدَ عليه الأتابَك علاءُ الدَّوْلة؛ صاحبُ يَزْد مُذْعنًا بالطاعة، وأقامَ، وأقرَّ عليه بلاده. وأرسل إلى الأتابَك سَعْد؛ صاحبُ فارس، فتزوَّج ابنته. ثم تقدَّم إلى أصْفَهان، فأقبلَ أهلُها عليهم، فطابوا نُفوسًا، حين وجَدُوا مَرْكُوبًا وملبُوسًا.

---

(١) في (ن) و(ق): «مكابد»، وهي خطأ، ونسخة المتحف البريطاني توافق ما في الأصل.

(٢) في (ن) و(ق): «بذات»، وهي تحريف.

(٣) لم يذكر أبو شامة في اختصاره سنة وصول جلال الدين إلى كرمان، وكان ذلك سنة ٦٢١هـ، كما في (ن) و(ق).

ولمَّا سَمِعَ به أخوه غياثُ الدِّين خافَ منه، فأقبلَ على بلاده، فقَصَدَه في ثلاثين ألفًا. فأرسل إليه جلالُ الدِّين يستعطِفُه، ويُخبره أنَّه قاسى من الشَّدائد بعد السُّلطان، ما لو عُرِضَتْ على الجبالِ لأَبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنَها، وحين ضاقت عليَّ الأرضُ بما رَحُبَتْ، جئتُ لأستريحَ عندك أيامًا. فعادَ غياثُ الدِّين إلى الرَّي، وتفرَّقت عساكِرُه.

وسيَّر جلالُ الدِّين عِدَّة خواتم إلى جماعةٍ من الأمراء السُّلطانية علاماتٍ منه، ومنَّاهم الإحسان، واستمالهم عن أخيه. فبادَرَ إليه بعضُهم. فركب في ثلاثة آلاف، وسار سَيْرَ السَّحاب حتى أناخ بعَقْوة[1] أخيه. فعُوجل عن التَّدْبير، فركب فرس النَّوبة إلى قلعة سلوقان. ودخل جلالُ الدِّين خيمته، وبها والدةُ غياثِ الدِّين، فاستوفى لها أدبَ الخِدْمة، وأنكر انزعاجَ أخيه، وقال: لم يبقَ لي من بني أبي سِواه، وأنا له فيما يميلُ هواه. فسيَّرتْ إليه من سَكَّن رَوْعه، فعاد إلى الخِدْمة.

ونزل جلال الدِّين في حَدَقة الحَلْقة، منزلة السَّلاطين والخانات، والأمراءُ يأتونه بالأكفان على الرِّقاب، يُعَفِّرون أوْجُهَهم في التُّراب. فآنَسَهُم بعَفْوه، وأزال كَدَرَهم بصَفْوه. وانثالتْ إليه كنائِنُ المدنِ والقِلاع، فلم يُمضِ[2] إلا أدنى مُدَّة حتى حَضَرَ بابه من كان بخُراسان والعراق ومازَنْدَرَان من المُتَغلِّبين على تلك البلاد من المُلوك والأمراء، هيبة منه استنزلتهم من قُنَن[3] قلاعِهم من غير استدعاء. فمنهم من حَسُنت سيرتُه في أيام الفَتْرة[4]، فأُعِيدَ إلى مكانه، ومنهم من ساءت طريقتُه، فأُذِيقَ وبالَ طُغْيانه.

---

(١) العقوة: الساحة، وما حول الدار والمحلة. «اللسان»: (عقا).

(٢) في (ن): «تمض».

(٣) قنن جمع، مفردها قُنَّة: أعلى القلعة. ينظر: «اللسان»: (قنن).

(٤) وكذلك هي في نسخة باريس وطبعة هوداس، وهي الأشبه. ويعني بها فترة =

وكانوا قد أقاموا حَجَزَةً[1] على استبدادٍ[2] منهم، يمنُّون على[3] غياث الدِّين بالخُطْبة المجرَّدة، وذلك لمَّا كان جلال الدِّين بالهند مكابدًا ما سَبَق ذكره[4]. وغياثُ الدِّين متوفِّرٌ على لذَّاته، مُنْهمكٌ في أهوائه وشهواته. وقد تجرَّد أثناء ذلك إليه من التَّاتار عشرةُ آلافِ فارس، فلم يَثْبُت لهم، وحين سَمِعَ بهم تسحَّبَ إلى الجبال، مُفْرِجًا لهم عن العراق، فقضَوْا أوطارَهم من النَّهْب والقَتْل والإحراق. ولما رأى الأتراكُ وَهَاءَ[5] سياسته أظهروا الفساد، وخرَّبوا البلاد، وحرزوا[6] على ما أبقته التَّاتار من أرْماق[7] العراق. فكانوا يأتون الضَّيْعة فيَكْمُنون حولها حتى يُصْبح[8] الرَّعية، فتخرج مواشيها، فيسوقونها[9] إلى المدينة نهارًا جِهارًا، والرَّعية تستغيث فلا تُغاث. وكان صاحبُ الثور يتبع[10] ثوره، فيشتريه

= غياب جلال الدين بالهند. وفي (ن): «الفتنة». والغريب حقًّا أن محقق (ق)، وهو الذي اعتمد على طبعة هوداس وحدها، خالفه فيها وغيَّرها من عنده إلى «الفتنة»، فهل تابعه محقق (ن) على ذلك؟

(١) الحجزة: الظَّلَمة، يحجزون عن الحق. ينظر: «اللسان»: (حجز).

(٢) في (ن) و(ق): «اشتداد»، وفي نسخة باريس: «استداد»، وكلاهما تحريف. ونسخة المتحف البريطاني توافق ما في الأصل.

(٣) «على»، ليس في (ن) و(ق)، ونسخة المتحف البريطاني توافق ما في الأصل.

(٤) ينظر: (ص١٣١) من هذا الكتاب.

(٥) كذا في الأصل: «وهاء»، بالمد خطأ، وإنما هو الوَهْيُ: مصدر وَهَى يهي وَهْيًا، إذا ضَعُفَ. ينظر: «المغرب في ترتيب المعرب» (٢/ ٣٧٥). وفي (ن) و(ق): «وَهْيَه في سياسته»، وهي الصواب.

(٦) في (ن) و(ق): «جزروا»، وهي تصحيف. وشرحها محقق (ق) بقوله: جزر الشاة: نحرها!

(٧) تنظر الحاشية رقم: ٤ (ص١٠٣) من هذا الكتاب.

(٨) في (ن): «تصبح»، ونسخة المتحف البريطاني توافق ما في الأصل.

(٩) في الأصل: «فيسوقوها»، والمثبت من (ن).

(١٠) في الأصل: «يبيع»، والمثبت من (ن).

مرارًا، إذ لا يقع له أرخص منه. هذا كله لرخاوةٍ كانت في عِنان تدبيره. وتحكَّمَتْ والدتُه فيما كان تحت ولايتِه، وتلقبت بخداوند جهان، أسوة بوالدة[1] السُّلطان تُرْكان خاتون، المُقدَّم ذِكْرُها[2].

وبُليَ النَّاس بخُباطٍ واختلاط إلى أن منَّ الله عليهم بطُلوعِ جلالِ الدِّين من الهند، فأفرجَتْ أيامُه الكُرَب، وأطفأتْ من نيران الفِتَن ما كان قد التهَب، وتفرَّقتِ الوزراء والعُمَّال في الأطرافِ، فضبطوها.

(١) في الأصل: «والدة»، والمثبت من (ن).

(٢) ينظر: (ص٨٨) من هذا الكتاب.

فصل

في ذِكْرِ حصار التَّاتار خُوَارَزْم في ذي القعدة سنة سبع عشرة وست مئة واستيلائِهم عليها في صفر سنة ثماني عشرة

قال: وقد خَصَّصْتُ حصارها بالذِّكْرِ دون سائر البلاد ـ يعني: بعدما تقدم ذِكْرُه ـ لعِظَمِ قَدْرها، ومزيدِ[1] احتفالِ التَّاتار بها[2]، لعنهم الله.

لمَّا انفصل أولادُ السُّلطان عن خُوَارَزْم على ما ذكرناه[3]، وافى التَّاتار تُخومَها، وأقاموا بالبعيد منها إلى أن تكمَّلت عِدَّتهم للحِصار من المجانيق والمتارس[4] والدَّبَّابات، والأمدادُ تتواصل إليهم. وحيث رأوا خُوَارَزْم وبلدها خاليةً عن حجارة المَنْجَنيق، عَمَدوا إلى أصولِ التُّوت الغِلاظ، فقطعوها قِطَعًا مدوَّرة، ثم نَقَعوها في الماء، فصارت كالحِجارة ثِقَلًا وصلابة، فتعوَّضوا بها عن حجارة المنجنيق. فلم يزالوا على[5] البُعْد منها إلى أن استكملوا آلاتِها.

---

(١) في (ن): «ومبدأ».

(٢) في (ن): «لها»، وفي نسختي المتحف البريطاني ولينينغراد: «بها»، وهما توافقان ما في الأصل.

(٣) ينظر: (ص١١٣ ـ ١١٤) من هذا الكتاب.

(٤) تنظر الحاشية رقم: ٥ (ص١٠٨) من هذا الكتاب.

(٥) في الأصل: «عن»، والمثبت من (ن).

ثم إن دوشي خان بن جنكيزخان وصلَ برَجَّالة ما وراء النهر، فرَاسَل أهلَ خُوَارَزْم مُنْذرًا ومحذِّرًا، ووعَدَهم الأمان إن سَلَّموها سِلْمًا، وقال: إنَّ جنكيزخان قد أنعم بها عليه، وإنه ضنينٌ بتخريبها، حريصٌ على إبقائها. ومما يدُلُّ على ذلك أن هذا العسكر ما تعرَّضوا مُدَّة مُقامهم بالقُرْب منها إلى غاراتٍ على رساتيقها، تمييزًا لها عن غيرِها بمزيد الرِّعاية ومزيد العِناية، إشفاقًا عليها من الإتلاف. فمَالَ ذوو النَّباهة منهم إلى المُسالمة، غيرَ أنَّ السَّفهاء غلبوهم على رأيهم.

وقد كان السُّلطان محمد كاتَبَهم، وهو بالجزيرة: أنَّ لأهلِ خُوَارَزْم علينا وعلى سلفِنا من الحقوق المتلاحقة، والسَّوالف الحاضرة والسَّابقة، ما يُوجب علينا النُّصْح لهم، والإشفاقَ عليهم، وهذا العدوُّ عدوٌّ غالب، فعليكم بالطريق الأَرْفق، ودَفْعِ الشَّرِّ بالوَجْه الأَوْفق. فغلبَ السَّفيه على رأي النَّبيه، ولم ينفع ما قَدَّمَ من التَّنبيه، وخَرَجَ الأمرُ من أيدي ذويه. فساق دوشي خان إليها في البَحْر الخِضَمِّ، إلحاقًا للفرد بالأعَمّ[1]، وأخذ يطويها مَحَلَّة محلة. فكان كلما[2] أُخِذَتْ واحدةٌ منها التجأ النَّاس إلى أخرى، يحاربون أشدَّ حرب، ويذُبُّون عن أنفسِهم وعن حريمهم أتمَّ ذَبٍّ، إلى أن عَضَلَ الأمر[3]، وكَشَّر عن نابه الشَّرّ، ولم يبق معهم إلا ثلاثُ محالّ، تراكمتِ النَّاس فيها متزاحِمين.

قال: فأرسَلوا ـ حين أعْيَتْهُم الحِيَل، وضاقت بهم السُّبُل ـ إلى دوشي خان: الفقيه الفاضلَ، علاءَ الدِّين الخَيَّاطي[4]؛ مُحْتَسِبَ خُوَارَزْمَ

---

(١) في (ن) و(ق): «الفرد»، وهو خطأ، وفي نسخة باريس: «للفرد»، وهي موافقة لما في الأصل. وهي من عبارات الفقهاء، كثيرة الدوران على ألسنتهم.

(٢) في (ن) و(ق): «إذا».

(٣) في (ن): «أعضل»، وفي نسخة لينينغراد: «عضل»، وهي موافقة لما في الأصل، وكلاهما بمعنى اشتد واستغلق. «اللسان»: (عضل).

(٤) هو: شيخ الإسلام سديد بن محمد، له ترجمة في «الجواهر المضية» =

ـ وكان السُّلطان يحترمه لفضيلَتَي العِلْم والعَمَل ـ مستعطفًا ومُتَشفِّعًا الآن، وقد نَشِبَتْ أظفارُه ومخالبه، ودَمِيَتْ أنيابُه وبراثنه[1]! فهلَّا ذلك قبل ظهور الاضطرار، وانقضاءِ مُدَّة مُلْك الخِيار؟ فأمر دوشي خان باحترامِه، وأن يُنْصَبَ له خيمة. فلما أُحْضِرَ ذَكَرَ من جُمْلة ما قال: إنَّنا قد شاهَدْنا هيبة الخان، وقد آن أن[2] نشاهِدَ مَرْحمته[3]. فاسْتَشاط اللَّعين غضبًا، وقال: ماذا رأَوْا من هيبتي وقد أفنوا الرِّجال، وطاولوا القتال؟ فأنا الذي شاهدتُ هيبتهم، وها أنا الآن أريهم هيبتي. وأمَرَ، فأُخْرِجَ النَّاسُ جموعًا وأشتاتًا، ونُودي بانفرادِ أرباب الصَّنائع، وبانعزالهم ناحية. فمنهم من فعل ونجا، ومنهم من اعتقد أنَّ أربابَ الحِرَف تُساقُ إلى بلادهم، وغيرُهم يُترك في وطنه، فيقيم بمَسْكنه وعَطَنه[4]، فلم ينفرد. ثم وضعوا فيهم السُّيوف، بل المعاوِلُ والفؤوس، إلى أن أضجعوهم على العَرَاء، وجمعوهم[5] في حيِّز الفَناء[6].

= (٤/ ١٩٨)، و«الطبقات السنية» (٤/ ٧)، و«توضيح المشتبه» (٣/ ٣٥٠)، ولم يذكروا سنة ولادته ووفاته.

(١) في (ن) و(ق): «وترابيه»، وهو تصحيف، وما في نسخة المتحف البريطاني يوافق ما في الأصل. وبراثن جمع، مفردها بُرْثُن: مخلب الأسد. ينظر: «اللسان»: (برثن).

(٢) في الأصل: «وقد آ أن»، والمثبت من (ن).

(٣) في (ن) و(ق): «من مرحمته»، وما في نسخة المتحف البريطاني يوافق الأصل.

(٤) العَطَن: هو للإبل كالوطن للناس، وقد غلب على مبركها حول الحوض. «اللسان»: (عطن).

(٥) تحرفت في (ن) إلى: «وجمعوهم»، وما في نسخة المتحف البريطاني توافق ما في الأصل.

(٦) وينظر: «الكامل» لابن الأثير (١٢/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥).

فصل

في ذِكْرِ فخر الدِّين علي بن أبي القاسم الجَنْدِي إلى أن تقلَّد الوِزَارة ولقِّب بشَرَفِ المُلك خواجة جهان

كان المذكور قد نابَ عن المُسْتوفي[1] بديوان جَنْد بُرْهة، وهو أوَّلُ أشغاله، وبُداءة تصرُّفاته وأعماله، ثم تولاه بعده استقلالًا. وكان الوزير بها يومئذٍ نجيبَ الدِّين الشَّهْرَسْتاني[2]، المعروف بالقِصَّة دار؛ وهو الذي تُرْفع[3] إليه القِصَص بالحاجات والظُّلامات أيَّام الأسبوع، فيجمَعُها ويُوصِلها إلى موقفِ العَرْض ليلةَ الجمعة عند فراغ السُّلطان لها، فيأخذ أجوبتَها، وذلك من المناصب الجليلة عندهم. فلمَّا تمكَّن فخرُ الدِّين من منصب الاستيفاء بجَنْد، طَمَحَت هِمَّتُه إلى مغالبة نجيب الدِّين على وِزارة جَنْد، فَرَفَع عليه مئتي ألف دينار تناولها مُدَّة مباشرته، فأسقطها السُّلطان[4] عنه[5].

---

(١) المستوفي: الذي يقوم على إدارة الأموال، ومعرفة أصولها ووجوه صرفها، ووظيفته تسمى الاستيفاء. ينظر: «التعريف بمصطلحات صبح الأعشى» (ص١٨٠).

(٢) في (ن) و(ق): «الشَّهْرَزُوري»، وفي نسخة المتحف البريطاني: «الشهرستاني»، وهي توافق ما في الأصل.

(٣) في الأصل: «تدفع»، وفي (ن) و(ق): «يرفع»، والمثبت من نسخة المتحف البريطاني.

(٤) أي: علاء الدين محمد بن تكش.

(٥) أي: عن نجيب الدين، ولم يطالبه بها لعلو منزلته عنده. ينظر تتمة الخبر في: (ن) و(ق).

ووليَ فخر الدين بعد أيام وِزَارة جَنْد، فعَسَف وظلم. واتَّفق عبورُ السُّلطان على جَنْد صامِدًا صَمْدَ بُخارى[1]، فشكاه الرَّعية إليه، فأذِنَ لهم في إحراقه، واستخفى وتوارى، فظَفِروا بنائبه فأحرقوه. وتسحَّبَ فخرُ الدِّين إلى ناحية السُّلطان مستخفيًا، إلى أن رَمَتِ الحوادث التَّاتارية بجلالِ الدِّين إلى حدود غَزْنة ـ على ما سبق شرحه[2] ـ فبادَرَ إلى الباب، وترتَّب في جُمْلة الحُجَّاب. وكان لَسِنًا جَلْدًا، مِقْدامًا على السُّلطان، منبسِطًا في الكلام، فصيحًا في اللغة التركية.

واستمرَّت به الحالُ في الحُجُوبيَّة إلى أن حَدَث من الوَقْعة بماء السِّنْد ما قدَّمنا ذكره[3]، فهلكتْ أربابُ الدَّوْلة ما بين غريقٍ وقتيل. وتَلِفَ الوزير شمسُ المُلك شِهابُ الدِّين الهَرَوي[4] على يد قباجة لمَّا أوْدَعَه أسرارَه كما تقدَّم[5]، وخلا صدرُ الدِّيوان عمَّن يقومُ بضبط ما ملكوه مِنْ ديار الهند وتدبيره. فأقيمَ المذكور في صَدْر الوِزارة نائبًا عمَّن يُرشَّح[6] فيما بعدُ لها[7]، فساعدته المقادير حتى استمرَّ في الأمر، ونال الرُّتْبة التي طالما تأخَّر[8] عنها كِبَاشُ القُروم[9]، وساداتُ

---

(١) أي: قاصدًا قَصْدها. ينظر: «اللسان»: (صمد).

(٢) تنظر: (ص١١٨، ١٢٥) من هذا الكتاب.

(٣) تنظر: (ص١٢٧ ـ ١٢٩) من هذا الكتاب.

(٤) في (ن): «الهوري».

(٥) تنظر: (ص١٣٣) من هذا الكتاب.

(٦) في (ن): «يترشح».

(٧) تحرفت العبارة في (ق) إلى: «نائبًا عمن ترشح فيما يعدلها!».

(٨) في نسخة باريس وطبعة هوداس: «طالما يتأخر»، وغيَّرها محقق (ق) إلى: «طالما يتناحر عليها»، وتابعه محقق (ن)، وفي نسخة المتحف البريطاني: «طالما تتأخر».

(٩) الكباش جمع، مفردها كَبْش، وهو رئيس القوم وسيدهم، «اللسان»: (كبش)، وتنظر الحاشية رقم: ١ (ص٥٣) من هذا الكتاب.

الصُّدور، فلم يحظَ بها إلا العَدَدُ اليسير الذين سار ذِكْرُهم في الآفاق، واعترفتْ لهم رجالاتُ خُراسان والعراق. فعلا أمرُه، وارتفع قَدْرُه، فلم يزاحِمْه أحدٌ على ما كان بصَدَده إلا بُليَ بنَكْبة، وخاب شَرَّ خَيْبة.

وكان السُّلطان مع تمكُّن المذكور، وبَسْطِ يده في ارتفاعات[1] الأقاليم، لم يُنْزله منزلةَ الوزراء، فلم يخاطبه إلا بشَرَفِ المُلك. وكان من عادتهم أن يخاطبوا وزراءهم بخواجة، وأن يجلسوهم على أَيْمانهم[2] عند الإذن العام. وكان المذكورُ يجلس مجلسَ الحُجَّاب بين يدي السُّلطان أيَّام وِزارته، وكان لا يجلس إلا على السِّماط[3] العام. ومن عادةِ مَنْ لُقِّبَ بنِظام المُلك أن يجلس على الخِوانجاه الخاصَّة. وكان مَنْ تقدَّمه من الوزراء يجلسُ في دار الدِّيوان في الدَّسْت الأسود، ولم يكن شرفُ المُلك يجلس في الدَّسْت في دار الدِّيوان، بل كان له دَسْتٌ في داره[4] إذا رَجَعَ من الدِّيوان يجلس فيه. ومن عادةِ من لقِّبَ بالنِّظام أنَّه إذا كان في دَسْتِ الوِزَارة لم يَقُم لمن يحضر، وإن كان مَلِكًا، إجلالًا للمنصب، وحِفْظًا لناموس المَحَل، إذ هو قائمٌ مقامَ السَّرير[5]. وكان شَرَفُ المُلك يقومُ لأربابِ المناصب، وهو في صَدْر الدِّيوان. وكانوا يحمِلون لمن تقدَّمه مِنْ كبارِ الوزراء إذا ركب أربع حِرَاب مُغَشَّاة النُّصُب[6] بالذَّهب، ولم يأمر له السُّلطان بذلك. وسيجيء باقي أحواله

---

(١) تنظر الحاشية رقم: ٥ (ص٦٦) من هذا الكتاب.

(٢) في (ن) و(ق): «إيمانهم»! وهي تصحيف.

(٣) تنظر الحاشية رقم: ١ (ص٨٦) من هذا الكتاب.

(٤) في الأصل: «بل كان دست في في داره»، وضبب فوقها، والمثبت من (ن).

(٥) يعني: سرير الملك، وهو منبر من رخام مرتفع يجلس عليه السلطان. ينظر: «التعريف بمصطلحات صبح الأعشى» (ص١٣٠).

(٦) تنظر الحاشية رقم: ١ (ص٧٦) من هذا الكتاب.

متفرِّقة في مواضعها، إلى أن تقاضاه الزَّمان بدَيْنه، فجرَّعه كأسَ حَيْنه، فلحِقَ بالواحدِ الغَفَّار، إنَّ الكرامَ قليلةُ الأعْمار[1].

(١) سيأتي خبر مقتل الوزير شرف الملك (ص١٩٩ ـ ٢٠٠) من هذا الكتاب.

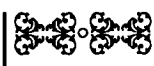
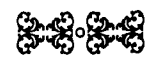

فصل

في مِلْكِ السُّلطان أَذْرَبِيجان

لمَّا تمكَّن من أخيه، وصار معه كأحدِ أمرائه، يتصرَّف بتصاريفِ آرائه، سار نحو خُوْزِسْتان[1]، وأرسل رسولًا إلى الدِّيوان[2] مُتَعَتِّبًا. وكان بعضُ أمرائه قد صادَفَ عسكرًا من عساكر الدِّيوان، وعَرَبًا من خَفَاجة، فأوقع بهم، وخَرَق الهَيْبة، وهَتَك الحُرْمة. فلمَّا وصلَ الرَّسول إلى بغداد أُخِلَّ[3] بمعهود الإكرام، ومألوفِ الاحترام، وطالتْ مُدَّة المُقام إلى أن مَلَك السُّلطان مَرَاغة، فأُذِنَ في العَوْد، موفورَ الحظِّ من الإنعام.

ورحَلَ السُّلطان من نواحي بغداد نحو أذربيجان، فلما أشْرَف على دَقُوقا صَعِدَ أهلُها السُّور، فصرَّحوا بالشَّتائم لِمَا بلغهم من شَنِّه الغارات على بلاد الدِّيوان. فغاظه ما أسْمَعُوه، فأمر بالزَّحف عليها، فلم يكن إلا حَمْلة واحدةٌ حتى صَعِدَتِ الأعلام، وترادَفَ الزِّحام، ووضعوا في أهلها السُّيوف إلى أن نُودي بالكَفِّ، فهلك خلقٌ كثير.

وصَمَد[4] السُّلطان نحو أَذْرَبِيجان، فلما حاذى جبالَ هَمَذان بلغه عبورُ الأتابَك يغان طايسي[5] من أَذْرَبِيجان صوبَ العراق، وهو خَتَن

---

(١) كانت خوزستان تابعة للخليفة، ومسيره إليها في أول سنة ٦٢٢هـ، ينظر: «الكامل» (١٢/ ٤٢٥، ٤٧٥).

(٢) يقصد: ديوان الخلافة ببغداد.

(٣) في (ن) و(ق): «أحل»، وهو تصحيف.

(٤) صمد: قصد. «اللسان»: (صمد).

(٥) في الأصل: «يغان طايشي»، والمثبت من (ن)، وهو الشائع في كتب =

غياثِ الدِّين المُزوَّج بشقيقته[1]. وكان لمَّا نصر الله السُّلطان على أخيه، ومَلَّكه ما كان يحويه، تسحَّبَ المذكور نحو أَذْرَبِيجان، يرى أنه يناضِلُ عن دولة قد حُمَّ حِمامها، وانقضتْ أيامُها. وتعاضَدَ هو والأتابَك أزبك؛ صاحبُ أَذْرَبِيجان على خِلاف السُّلطان. وحين تحقَّقَ خُفوق الرَّايات نحوهما، سوَّلت له نفسُه البِدَارَ إلى العراق، واغتنامَ خُلوِّها عن السُّلطان. وبلغ السُّلطانَ خبرُه، فكبَسَه بهَمَذان، ولما ظَفِرَ به آمنه وآواه، وانتظمَ في الخِدْمة، وخلتِ العراق ممَّن عنده شِقاق[2].

فرحَلَ صوبَ أَذْرَبِيجان، فلمَّا قاربَها وَرَدَتْ على شَرَف المُلك كتبُ أهلِ مَرَاغة، حاثِّين عزائمَ السُّلطان على المسير إليها، خلاصًا من المظالم، وتشبُّثِ أظفارِ الكُرْج بها، وضَعْف الأتابَك عن حمايتها. فساق إليها، ودخلها من غير مُدافع، وأقام بها أيامًا. ووجَّه من هناك القاضي مجير الدِّين عمر بن سَعْد الخُوَارَزْمي رسولًا إلى ملك الرُّوم[3] وملوك الشَّام[4] ومصر[5]، بكتبٍ تتضمَّن تمَلُّكَه أَذْرَبِيجان، وإعلامَهم بأنَّه

= تاريخ ذلك العصر.

(١) عند ابن الأثير أن يغان طايسي هو خال غياث الدين، وصهر أخيه جلال الدين. ينظر: «الكامل» (١٢/ ٤١٥، ٤٣٢).

(٢) ينظر: «الكامل» (١٢/ ٤٣٢).

(٣) هو: السلطان علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو، وسيأتي ذكره (ص١٦٦) من هذا الكتاب.

(٤) كان حاكم دمشق وقتئذ الملك المعظم عيسى بن العادل، وسيأتي ذكره (ص١٥٩) من هذا الكتاب. أما حاكم مصر فهو الملك الكامل محمد بن العادل، سلطان البيت الأيوبي بعد أبيه العادل، وأخباره مبثوثة في تواريخ ذلك العصر، من أهمها «مرآة الزمان» لسبط ابن الجوزي، و«مفرج الكروب» لابن واصل، و«سير أعلام النبلاء» و«تاريخ الإسلام» للذهبي، وتوفي بدمشق سنة ٦٣٥هـ، واستقصيت مصادر ترجمته في «المذيل على الروضتين» (٢/ ٤٣).

(٥) «مصر»، ليست في (ن) و(ق)، وما في نسخة المتحف البريطاني يوافق ما في الأصل.

نوى أن يغزوَ الكُرْج، وضمَّنها صَدْرًا من الرَّغْبة في الموالاة.

قال المنشئ: وفي نهارِه ذلك فوَّض إليَّ كتابةَ الإنشاء، فتقلَّدْتُها على كُرْه مني لذلك، استحقارًا بها؛ قلةَ[1] تجربة، وعدمَ خِبْرة، وذهولًا عمَّا فيها من موادّ متواصلة الإمداد، وجاهٍ يعمُّ نفعُه وضَرُّه. وقد حصل لي في يوم واحد من منافع الإنشاء وفوائده ـ والسلطانُ بنَخْجُوان، يقضي أشغالَ أهلِ خُراسان ومازَنْدَرَان ـ ما فوق ألفِ دِينار. وأما [ما][2] دون ذلك في سائر الأيام فمادَّة لا تنقطع، فصرتُ أقاتلُ من يزاحمني عليها.

وانفصل مجير الدِّين متوجِّهًا إلى الجهات المذكورة، ولم يَعُدْ إلا بعد فَتْح تِفْلِيْس.

ثم إنَّ السُّلطان رَحَلَ من مَرَاغة صوب أوجان؛ وهي أرضٌ مُعْشِبة ذاتُ مياهٍ جارية ـ وقد خرَّب التاتار مدينتها في مبدأ خروجهم ـ فأقام بها أيامًا، والنَّاس يمتارُون من تِبْرِيْز، وبها بنتُ طُغْرل بن أرسلان؛ زوجةُ الأتابَك أزبك[3]. فجاءه من أهل تِبْرِيْز سِرًّا مَنْ أطمعه في تمَلُّكها. فسار نحوها، وأحاط بها، فخرج إليه الرئيس [نظام الدِّين][4] ابن أخي شمس الدِّين الطُّغْرَائي[5] ـ وكان متحكِّمًا فيها، يملك رِقابَ أهلها، موالاةً له ولأسلافه، ورثوها عن آبائهم ـ ثم خرج رسولُ بنتِ السُّلطان طُغْرل في طلبِ الأمان لها ولأتباعها، على أن تكون مدينة خُوَيّ مقرَّرة[6]

---

(١) في (ن): «من قلة»، بزيادة من، والأشبه حذفها كما في أصلنا.

(٢) ما بين حاصرتين من (ن).

(٣) وهي كذلك ابنة عمه من جهة الأمومة، ينظر: «مفرج الكروب» (٤/ ١٥٠).

(٤) ما بين حاصرتين من (ن).

(٥) هذه النسبة إلى من يكتب الطُّغْرى؛ وهي الطُّرْة التي تكتب في أعلى الكتب فوق البسملة بالقلم الغليظ، ومضمونها نعوت الملك الذي صدر الكتاب عنه، وهي لفظة أعجمية. «وفيات الأعيان» (٢/ ١٩٠).

(٦) في (ن) و(ق): «مفردة»، وهي الأشبه.

باسْمِها، وأنها تُحْضَر[1] إليها مَصونة. فأجاب إلى ذلك، وتسَلَّم تِبْرِيْز في سنة اثنتين وعشرين وست مئة، وولَّى نِظامَ الدِّين رياستها[2].

واستمرَّتْ حالُ الطُّغْرائي في نفاذِ الحُكْم، وقَبُول القول. وما كان المذكورُ يخوضُ فيما يتعلَّق بالدَّولة وأموالها، بل فيما يعود إلى مصالح الرَّعية وترفيههم[3]، وتقوية صالحِهم ووجيههم، وزَجْر مُفْسدهم وسفيههم، من غير أن يتولى أمرًا، أو يتقلد شُغْلًا إلى أن قُبِضَ عليه، كما يأتي[4].

(١) في (ن): «تخفر»، وهي الأشبه. وتصحفت في (ق) إلى تحفر.

(٢) وبذلك دالت دولة الأتابك أزبك في أذربيجان وتبريز. ينظر كذلك: «الكامل» لابن الأثير (١٢/ ٤٣٢ ـ ٤٣٤، ٤٣٦ ـ ٤٣٧)، و«مفرج الكروب» (٤/ ١٤٩ ـ ١٥٢)، و«تاريخ جهانكشاي» (٢/ ٥٩ ـ ٦٢).

(٣) في (ن) و(ق): «ويرضيهم».

(٤) ينظر: (ص١٥٢ ـ ١٥٣) من هذا الكتاب، وفي هامش الأصل: «بلغ عرضًا».

فصل

في كَسْرِ السُّلطان للكُرْج وذِكْرِ الطُّغْرائي التِّبْرِيْزي رَحِمَهُ اللهُ

لمَّا مَلك بلادَ أَذْرَبِيجان اجتمع الكُرْج[1] بموضع من حدود دَوِين[2] في ستين ألفًا، وقد أخذهم من مجاورته المُقيمُ المُقْعد، وكان قَصْدُهم من الاجتماع إشعارَ السُّلطان بما عندهم من الشَّوكة والكَثْرة، لعله يرغبُ في مهادنتهم، وتحسَّروا على زوال الدَّوْلة الأتابكية، إذ كانت مَصْيَدَة لهم.

فلما بلغ السُّلطان اجتماعُهم سار إليهم فيمن حَضَر من عساكره، وقد كان أكثرهم تفرَّقوا في إقطاعاتهم بالعراق وغيرها. فحين وصل إلى شاطئ نهر أرس، وجد هناك أمراء التُّرْك[3]، فأعلموه أنَّ العدو بالقُرْب،

---

(١) أسس الكُرج مملكة جورجيا المسيحية، وتقع على أطراف أتابكة أذربيجان، بعد أن استولوا على تفليس سنة ٥١٥هـ/ ١١٢٢م، واتخذوها عاصمة لهم. وكان المسلمون قد افتتحوها أيام الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وبقيت بأيديهم إلى ذلك العام. ينظر: «الكامل» (١٠/ ٥٧٦، ١٢/ ٤٥٢)، و«معجم البلدان» (٢/ ٣٦ ـ ٣٧)، و«مرآة الزمان» (٢٠/ ١٥٥)، وفيه: سنة ٥١٦هـ، و«مفرج الكروب» (٤/ ١٨١)، و«المغول» للعريني: (ص٧٦ ـ ٧٧).

(٢) في الأصل: «دون»، وفي نسختي باريس ولينينغراد: «رون»، وفي طبعة هوداس و(ق): «زون»، وكله تحريف، والمثبت من (ن)، وستأتي على الصواب بعد أسطر. ودَوين: بلدة من نواحي أرَّان في آخر حدود أذربيجان بقرب من تفليس، ينظر: «معجم البلدان» (٢/ ٤٩١).

(٣) في (ن) و(ق): «اليزك»، وما في نسخة المتحف البريطاني يوافق ما في الأصل.

وأنَّ فيهم كثرة. فكان جوابُه أن رَفَسَ فرسه في الماء، فرمى به في المخاض، غيرَ مبالٍ بما ذكروه. وتَبِعَه العساكر إلى أن التقاهم، فكسرهم، وقتل منهم أربعة آلاف. ووقف السُّلطان على تلٍّ، والكُرْج تساقُ إليه بخزائم[1] الذُّلِّ كما يُساق المجرمون إلى النِّيران؛ وجوه عليها غَبَرَةُ الكُفْران، ترهَقُها قَتَرَةُ الخِذْلان. وضُرب للسُّلطان خركاه[2]، فمن أراد الوصول إليه يطأ القتلى. وكان شلوة من شُطَّار الكُرْج المشهورين[3]، وكان قال: وَدِدْتُ أن يكون عليٌّ في زماني لأريه من سَطَوَاتي ما يُنْسيه يومَ بدرٍ وخَيْبر. فلمَّا كان ذلك اليوم أخذتْه الحَيْرة، فنزل ونام بين القتلى، ولطَّخَ وجهه بالقتيل[4]، بل[5] سَخَّمه بالعار، فأحسَّ[6] به صبيٌّ، فأخرجه وأحضره إلى السُّلطان مكتوفًا. فأكذبَ اللهُ

---

(١) في الأصل: «بحزايم»، وكذلك هي في (ق)، وفي (ن): «بجزايم»، وفي نسخة لينينغراد: بجرايم، وكله تصحيف، والصواب ما أثبته، والخزائم جمع، مفردها خِزامة: وهي حلقة تجعل في أحد جانبي منخري البعير، يشد بها الزِّمام. ينظر: «اللسان»: (خزم).

(٢) تنظر الحاشية رقم: ٢ (ص٦٢) من هذا الكتاب.

(٣) في (ن) و(ق): سقطٌ في العبارة ذهب معه اسم شلوة، وأنه قائل ذلك القول. إذ ورد فيهما: «وحكى لي شمس الدِّين القمي، وكان من حجاب الأتابك أزبك، قال: أرسلني صاحبي إلى الكرج أيام استيلائهم، وقال: وددت أن يكون عليٌّ...». واستدرك السقط في نسخة المتحف البريطاني، ففيها بعد قوله: أيام استيلائهم، «فخاشنني في الكلام شلوة، وجاوز في التصلف حد الأدب»، وقال: وودت.. وأشار محقق (ن) إلى ما في نسخة المتحف البريطاني في الهامش، مصحِّفًا قوله: فخاشنني إلى فحاسنني، ولم يضعه في المتن ليتسق الكلام!

(٤) في (ن) و(ق): «بالدم».

(٥) «بل»، سقط من (ن) و(ق)، وما في نسخة المتحف البريطاني يوافق ما في الأصل.

(٦) في (ن) و(ق): «فحدس».

اللعينَ في مجاوزته حَدَّ الأدب، وسَخَّره لمن[1] لا يُذكر في الرِّجال، فضلًا أن يُعدَّ من الأبطال.

ونفَّذَ السُّلطان الأَسارى ورؤوس القتلى إلى تِبْرِيْز، مبشِّرًا بما فَتَحَ الله عليه. وساق من المعركة إلى مدينة دَوِيْن[2]، ففتحها. ووصل صاحبا[3] سُرْمارَى إلى خِدْمته. وبثَّ غوارته[4] إلى أُخريات بلاد أَبْخاز، وفي نفسه قَصْدُ تِفْلِيْس.

وورد عليه كتابٌ من شرف المُلك، وكان بتِبْرِيْز، يذكُر فيه أن شمس الدِّين الطُّغْرائي، وابنَ أخيه الرَّئيس نظامَ الدِّين قد تآمروا على الفَتْك به والعِصْيان[5]. وكان ذلك إفْكًا وزُورًا وكَذِبًا، وقد ظهر بعد حين أنَّه بُهْتان[6]. غير أنَّ الطُّغْرائي كان دَيِّنًا مُنْصفًا في سِيْرته، ذابًّا عن رَعيته، لم يرضَ أن يُخاف، ولا يمكِّن أحدًا أن يتجاوز الإنصاف. إذا طُولب أهلها بما لا يجب ولا يليق، أو حَمْل ما لا يُطيق، كان يحميهم تارة بالشَّفاعة، وطورًا بالتَّوبيخ والشَّناعة. ونُوَّاب شرف الملك يكرهون ذلك، إذ ملكوها منهوبين[7] لا يُقْنِعُهم الطَّفيف.

فلما وقف السُّلطان على كتابه، عَزَمَ على العَوْد إلى تِبْرِيْز، يعتقد

---

(١) في (ن) و(ق): «بمن»، وهو خطأ.

(٢) في نسخة باريس ولينينغراد وطبعة هوداس و(ق): «زون»، وهو تحريف.

(٣) في الأصل: «صاحب»، والمثبت من (ن)، وستأتي على الصواب بعد أسطر، وسماهما النسوي: شرف الدين أزدره وحسام الدين خضر.

(٤) في الأصل: «غوراته»، والمثبت من (ن)، وستأتي كذلك (ص١٦٣) من هذا الكتاب، والغوارة: الطائفة من العسكر تشبه الطليعة. تنظر الحاشية: رقم: ٥ (ص١٠٣) من هذا الكتاب.

(٥) ينظر: «مفرج الكروب» (٤/ ١٥٣ ـ ١٥٤).

(٦) ووراء ذلك كان القاضي عز الدين القزويني، ينظر: (ص١٥٨) من هذا الكتاب.

(٧) في (ن) و(ق): «متهرمين»، وهو تحريف.

أنها قد تغيَّرت. وأوصى أمراءَ الميمنة أن يقيموا ببلاد الكُرْج، يَقْلِبُونها بغاراتهم ظهرًا لبطن إلى أن يعودَ إليهم. وأصحبهم صاحبي سُرْمارَى دليلين إلى مضايق أبخاز ودَرْبَنْداتها. فأقاموا فيهم ثلاثة أشهر، يَشُنُّون عليها[1] الغارات إلى أن أخْلَوْها من الغنائم، وأبْلوْا أهلها بالعظائم، ورخصت المماليك الكُرْجية، حتى إن المملوك منها يُباع بدينارين أو ثلاثة. وقد أذلَّ الله الكُرْج لهم، فكانوا يلجئونهم من مضيق إلى مضيق، ويُفْجِعُونهم[2] بفريقٍ بعد فريق، ووصلوا إلى حيث لم تبلغ للإسلامِ راية، ولم تُتلَ فيها سورةٌ ولا آية.

ورجع السُّلطان إلى تِبْرِيْز، فأحضر شرفُ الملك بين يديه من الرنود[3] والأوباش من شَهِدَ على الطُّغْرائي وابنِ أخيه بما كان قد أنهى إلى السُّلطان عنهما من الكَذِب. فأمر بالقبض عليهما، فأمَّا الرَّئيس فقُتِلَ للوقت، وتُرك بالشَّارع صريعًا، يمُجُّ دمًا نجيعًا. وأمَّا الطُّغْرائي فحُبِسَ، وصُودر على ما ينيف على مئة ألفِ دينار مال، أوْهَى مُنَن[4] طاقته، وأتى من وراء فاقته. وكان الواصلُ منها إلى خِزانة السُّلطان دون ثلاثين ألفًا.

ثم نُقل من تِبْرِيْز إلى مَرَاغة مُحْتاطًا عليه. وشرفُ المُلك لا يفتُر في نَصْب الحبائل، وإعمال الحِيَل في إهلاكه، إلى أنْ أخذ خاتم السُّلطان بقتله. وأراد الله تعالى بقاء ذلك السَّيِّد الجليل، والصَّدْر العديم المِثْل

---

(١) في الأصل: «عليهم»، والمثبت من (ن).

(٢) في (ن) و(ق): «وينجعونهم»، وهو تحريف.

(٣) تنظر الحاشية رقم: ١ (ص٦٦) من هذا الكتاب.

(٤) في نسخة باريس وطبعة هوداس: «منن»، وهما توافقان ما في الأصل، غيَّرها محقق (ق) إلى: «متن». وكذلك أثبتها محقق (ن)، ربما متابعة له، ولم يشر في الهامش إلا لهاتين النسختين! والمُنَن جمع، مفردها مُنَّة: القوة. «المعجم الوسيط» (ص٩٢٧).

والبديل، فضنَّ بهلاكه مَنْ ينوبُ عن الدِّيوان الجلالي بمَرَاغة، فأعانه بالخيل، وهرب تحت الليل. وسار إلى إرْبِل، ومنها إلى بغداد.

وحجَّ في سنة خمسٍ وعشرين وست مئة، فلمَّا ازدحم النَّاس حول الكعبة، وقف تحت المِيْزاب، وعلى رأسه مُصْحف، وحاجُّ الأقاليم وقوفٌ، والذي كان متولي سبيل السُّلطان حاضر، وقال: يا أيها الناس، قد أجمع المسلمون كافَّة أنه ليس لله في أرضه مقامٌ أشرفَ من هذا المَقام، ولا يومٌ أجلَّ من هذا اليوم، ولا كتابٌ أعظمَ من هذا الكتاب[1]، وأنا حالفٌ بهذه الثلاثة[2] أنَّ الذي نسَبَني إليه شَرَف المُلك ما كان إلا إفْكًا مُفْترى. وغلَّظ اليمين بما تُغلَّظ به أيمان البيعة في البراءة. وتفرَّق الناس، فمِنْ[3] مُشْئِمٍ ومُعْرِق[4]، ومشرِّق ومغرِّب، وتحدَّث بذلك كلُّ طائفة في مسالكهم وأماكنهم، وتواترتِ الأخبارُ به على السُّلطان. ووصل أميرُ الحاجِّ، وشَهِدَ بما شاهَدَ منه في ذلك الموقف، فعَلِمَ السُّلطان براءته، ونَدِمَ على ما فعل ندامةَ خَجَلٍ ممَّا ارتكبه[5]، وهيهات، أين من النَّدامة دورٌ عن سكانها خالية، وسكانٌ

---

(١) في (ن) و(ق): «ولا كتاب أشرف من هذا الكتاب ولا أعظم». وما في نسخة المتحف البريطاني يوافق ما في الأصل.

(٢) في (ن) و(ق): «بالثلاثة هذه»، وما في نسخة المتحف البريطاني يوافق ما في الأصل.

(٣) في (ن) و(ق): «فمنهم»، وما في نسخة المتحف البريطاني يوافق ما في الأصل.

(٤) المشئم: من أتى الشام، والمعرق: من ذهب إلى العراق. ينظر: «اللسان»: (شأم، عرق).

(٥) في نسخة باريس وطبعة هوداس: «مما أنكبه»، غيَّرها محقق (ق) إلى: «مما انتكبه»، وأثبتها كذلك محقق (ن). وأشار في الهامش إلى نسختي المتحف البريطاني ولينينغراد، وفيهما: «مما ارتكبه»، وهما توافقان ما في الأصل.

تحت أطباق الثَّرى بالية؟ ثم إنَّ السُّلطان أمَّنه، فأعاده إلى تِبْرِيْز، وردَّ عليه أملاكه وقد تركوها أطلالًا، وكان يُحْضِرُه للمشورة.

وأقام السُّلطان بتِبْرِيْز، فصام بها رمضان، وأمَرَ بوضع مِنْبَر[1] بدار السَّلْطنة، ونصَّ على ثلاثين من علماء الأطراف وفضلائها، وقد حضروا لحاجاتِهم، فوعَظَ كلُّ واحدٍ يومًا. والسُّلطان قاعدٌ في القصر حِذاء المِنْبر، فشَكَرَ مَنْ وعَظَه[2] وقال حقًّا، وذمَّ من بالغ في الإطراء ولم يقل صِدْقًا. وكان صَدْر الدِّين العَلَوي المَرَاغي رَحِمَهُ اللَّهُ من جُمْلة المشكورين.

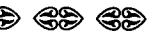

(١) ما في نسخة باريس يوافق على الأرجح ما في الأصل. قرأها هوداس في طبعته: «فوضع منبر»، فغيرها محقق (ق) إلى: «فوضع منبرًا»، ليستقيم له الكلام، وكذلك أثبتها محقق (ن)، ربما متابعة له.

(٢) في (ن): «وعظ».

فصل

في مِلْك السُّلطان كَنْجَة وسائر بلاد أَرَّان وتزوُّجِه بالملكة التي كانت بتِبْرِيْز، وما جرى للقاضي عِزِّ الدِّين القَزْويني

لما ألقى السُّلطان عصا القَرَار بتِبْرِيْز مُنْصرفَه من الكُرْج، وجَّه أورخان في رجاله إلى كَنْجَة، فتسلَّمها، وتسلَّم الكُوَر التي تنضاف إليها، مثل: بَيْلَقان وبَرْذعة وغيرِهما. وكان نائبُ الأتابَك أزبك فيها الرَّئيس جمالُ الدِّين القُمِّي صاحبَ ثروة، فسلَّمها مُبادرًا في الخِدْمة، مُبْقيًا على ما حوته يدُه من النِّعْمة، فتمكَّن أورخان بكَنْجَة. وكان شَرَف المُلك قد سيَّر معه نائبَه المعروف بالكافي، ليتولَّى أمرَ الدِّيوان، وجِباية الأموال عند تسلُّمها. فلما استولى أورخان عليها مدَّ يدَه إلى ما ليس له من الحقوق الدِّيوانية، لتمكُّنه في الدَّوْلة، وقرابتِه من السُّلطان، وجرتْ بينهما مفاوضاتٌ أفضى آخرها إلى المُخاشنة، وجَذَبَ أورخان على الكافي سَيْفَه. وورد الخبرُ بذلك على شرفِ المُلك، فشكاه إلى السُّلطان، وأراه أنه ما يريد ضبطَ الأموالِ إلا لخِزانته، فاستردَّ السُّلطان أورخان إلى بابه.

واستمرَّتِ الوَحْشة بين أورخان وشرفِ المُلك إلى آخر عهدِهما[1]، ولولا أنَّ الإسماعيلية أراحوا شرفَ المُلك منه[2] كاد يقيمُ مقامَه غيرَه.

---

(١) في الأصل: «عهدها»، والمثبت من (ن).

(٢) سيأتي خبر مقتل أورخان (ص١٧٣) من هذا الكتاب.

ووردتْ نساءٌ من قِبَلِ بنتِ طُغْرل بن أرسلان، والسُّلطان بتِبْرِيْز، يُعلمنَ السُّلطان برَغْبتها بأن يملِكَها، وأنَّها تثبت بالشُّهود أنَّها مُطَلَّقة من زوجها الأتابَك أزبك. فأجابها إلى ذلك، فشهِدَ لها اثنان بأنَّ زوجَها المذكور عَلَّق طلاقها على أن لا يغدِرَ بفلان، وقد غَدَر به[1]. وحكم قاضي تِبْرِيْز يومئذٍ، وهو عِزُّ الدِّين القَزْويني، بوقوع الطَّلاق والبَيْنُونة. وسيَّرتِ الملكة برسم النِّثار أموالًا جَمَّة. وتزوَّج السُّلطان بها، وسار بعد عَقْد النِّكاح من تِبْرِيْز إلى خُوَيّ، ودخل بها. وزادها على خُوَيّ مدينتي سَلَماس وأُرْمِيَة بأعمالها.

قال: وحدَّثني الصَّدْر ربيبُ الدِّين؛ وزير الأتابَك أُزبك، قال: كان الأتابَك بقلعة ألنْجة؛ من أعمال نَخْجُوان، يسمع استيلاءَ السُّلطان على بلاده شيئًا فشيئًا، فلم يزد على قوله: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٢٨]. إلى أن بلغه أمرُ النِّكاح، فسأل مخبِرَه بذلك: أكان برضًى من الملكة أو على كُرْهٍ منها؟ قال: بل برَغْبة منها صادقة، وخِطْبة من صوبها متتابعة، وقد خَلَعَتْ على شُهودِ الطَّلاق، وأنعمتْ عليهم. قال: فوضع رأسه على المِخَدَّة، وحُمَّ للوقت، ومات بعد أيام[2].

ثم إنَّ شرفَ المُلك ما زال يوقع بينها وبين السُّلطان، ففارقتْ خُوَيّ إلى قلعة طلا، وكاتبتْ الحاجب عليًّا؛ نائبَ الملك الأشرف موسى بن أبي بكر بن أيوب[3] بخِلاط تستدعيه، لينفِّس[4] خِناقها،

---

(١) ينظر: «مفرج الكروب» (٤/ ١٥٥).

(٢) تنظر الحاشية رقم: ١ (ص٦٠) من هذا الكتاب.

(٣) الأشرف موسى، هو من كبار ملوك الأيوبيين، وأخباره مبثوثة في تواريخ ذلك العصر، وأهمها «مرآة الزمان» لسبط ابن الجوزي، و«مفرج الكروب» لابن واصل الحموي، وكانت وفاته بدمشق سنة ٦٣٥هـ، واستقصيتُ مصادر ترجمته في كتاب «المذيل على الروضتين» (٢/ ٤٠).

(٤) في (ق): «لتنفس»، وهو تصحيف.

وتسلَّمَ إليه ما تملكه من القِلاع وغيرها. فوصَلَ الحاجب عليّ إلى قلعة طلا في عساكره، فاستَصْحبها، وتسلَّم طلا ورجع، وجرتْ أمورٌ سيأتي شَرْحُها[1].

قال: وكان السُّلطان لما قارَبَ تُخُوم أَذْرَبِيْجان، ورَدَ عليه كمالُ الدِّين؛ المتولِّي شُغْل الاستيفاء[2] بالدِّيوان الأتابكي، رسولًا مُسْتعطفًا، على أن يقيمَ صاحِبُه رسمَيْ الخُطْبة والسِّكَّة باسْم السُّلطان، ويحملَ إلى الخِزانة السُّلطانية في عاجل الحال صَدْرًا من المال. فلم يصادفْ قولُه أُذُنًا واعية.

وأُرْدِفَ المذكور بالفقيه عِزِّ الدِّين القَزْويني، وكان فاضلًا بارعًا، بنى له الطُّغْرائي من ماله بتِبْرِيْز مدرسة، وفوَّض إليه تدريسَ عِدَّة مدارس أخرى غيرها. فحين تحقَّقَ عِزُّ الدِّين أنَّ السُّلطان لا بُدَّ له من أَذْرَبِيجان، اختلى بشرفِ المُلك، واستوثق منه على أنَّه إذا مَلَك تِبْرِيْز يُولِّيه قضاءَها. وكان القاضي بها حينئذٍ قِوَام الدِّين الحَدَّادي[3]؛ ابنُ أخت الطُّغْرائي، توارثًا عن أسلافه. فلمَّا مَلَك السُّلطان تِبْرِيْز، واستمرَّت حالُ الطُّغْرائي[4] في الجاه وقَبُول القول، عَلِمَ القَزْويني أنَّ الذي وُعِدَ به من تفويض القضاء إليه لا يكون إلا بعد نَكْبة الطُّغْرائي. فلم يزل ينُمُّ عليه إلى شرفِ المُلك، ويقَعُ فيه عنده، حتى هاجَه عليه، فنُكِبَ على ما ذكرناه[5]، وتقلَّد القَزْويني القضاء.

---

(١) ينظر: (ص١٨٨) من هذا الكتاب.

(٢) تنظر الحاشية رقم: ١ (ص١٤٢) من هذا الكتاب.

(٣) وفي (ن): «الجداري»، وفي نسخة باريس: «الخداري»، وفي نسخة المتحف البريطاني: «الحدادي»، وهي توافق ما في الأصل، وقد أهملت فيه الحاء.

(٤) من هنا إلى قوله: «نكبة الطغرائي» كُرِّر في الأصل خطأ، وضُرب عليه.

(٥) ينظر: (ص١٥٢) من هذا الكتاب.

قال: وبلغني أنَّ المذكور دَخَلَ على الطُّغْرائي، وهو محبوسٌ، يُظهر افتقادًا، ويَشْمَتُ اعتقادًا. فدخل بعضُ أصحابه بسَجَّادته قبلَ دخوله، وبَسَطَها في مجلس الطُّغْرائي، فمدَّ الطُّغْرائي يده ولفَّها، ورماها إلى صَفِّ النِّعال. ثم دخل القَزْويني، وجلس، وعزَّاه بابنِ أخيه الرَّئيس المقتول، فلم يتغيَّر وجه الطُّغْرائي، ولم ينزعج لقَتْلِه، إلى أن قال القَزْويني: كان المرحوم المظلومُ[1] مطروحًا بالعَرَاء، فكَفَّنته ودفنتُه. فبكى الطُّغْرائي حينئذٍ، وقال: لم يَصْعُبْ عليَّ ما ذكرتَه من أنَّه مقتول:

كلُّ ابنِ أنثى وإنْ طالتْ سلامَتُه ... يومًا على آلةٍ حَدْباءَ محمولُ[2]

لكنِ الذي ذكرتَه من تكفينكَ إيَّاه عارٌ عظيم، وَشَيْنٌ على وَجْه البيتِ مقيم.

وتمكَّن القَزْويني من شرفِ المُلك، ودخل معه فيما لا يَعْنِيه؛ من رفع زيدٍ، وخفضِ عمرٍو، ونَصْبِ عاملٍ، وجزمِ[3] نائل، إلى أن وَرَدَ قاضي دمشق[4] على السُّلطان من الملك المُعظَّم عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب[5] صُحْبة رسولِ السُّلطان القاضي مجير الدِّين. فلما

---

(١) في الأصل: «المظلوم المرحوم»، وأشير فيه إلى تقديم المرحوم على المظلوم.

(٢) البيت لكعب بن زهير بن أبي سلمى من قصيدته المشهورة في مدح النبي ﷺ، ومطلعها:

بانتْ سعادُ فقلبي اليومَ متبولُ ... متيَّمٌ إثْرَها لم يُفْدَ مكبولُ

وهي في شرح ديوانه، صنعة السكري (ص٦ ـ ٢٥).

(٣) في الأصل: «وجر»، والمثبت من (ن).

(٤) هكذا وصف النسوي رسول المعظم إلى جلال الدين بأنه قاضي دمشق، وذكر سبط ابن الجوزي وأبو شامة أن المعظم بعث إليه رجلًا صوفيًّا من خانقاه السميساطي يقال له: الملق. ينظر: «مرآة الزمان» (٢٢/ ٢٧١)، و«المذيل على الروضتين» (١/ ٣٧٣).

(٥) المعظم عيسى بن العادل، من كبار ملوك الأيوبيين، وأخباره مبثوثة في تواريخ ذلك العصر، وأهمها «مرآة الزمان» لسبط ابن الجوزي، و«المذيل على =

فَرَغَ من أداء رسالته وخرج، جلس في مجلس الوزير، ومَحْفِلُه غاصٌّ بالأكابر، قال له القاضي مجير الدِّين: اذكر لمولانا الوزير ما حدَّثك به عِزُّ الدِّين القَزْويني. فأبى أن يذكر إلى أن حَلَفَ عليه بنِعْمة السُّلطان، فقال: إن القاضي عِزَّ الدِّين قال موبِّخًا: ماذا رأى صاحِبُك ـ يعني: الملك المُعَظَّم ـ في ميله إلى هؤلاء عن إخوته السَّلاطين[1]، وايْمُ الله إنَّ معاداة إخوته أنفعُ له وأعودُ عليه من مُصَافاة هذه الطَّائفة، وسيندَمُ على ما يفعل حين لا تغني[2] النَّدامة. فغاظَ شرَفَ المُلك ما سَمِعَه، وأحضر القَزْويني، وقابَلَ بينه وبين النَّاقل، فخَجِلَ القَزْويني، وبقي بفصاحته كباقل[3]. فقال شرفُ المُلك: لولا حُرْمة المَشْيَخة[4]، وفضيلةُ العلم، لطيَّرْتُ رأسَك بهذا السَّيْف، قُمْ عني يا خبيثُ مدحورًا. فقام عِزُّ الدِّين خَجِلًا.

قال: فلستُ أدري أيُّ السَّادات الثلاثة أسود[5]، وأيُّهم عن الخير أبْعَد، آلمستشهد أم الشَّاهد أم المشهود عليه؟ قال: ولعَمْرِي إن عِزَّ الدِّين أنصفَ فيما قال، وذَكَرَ ما يشهد به العِيان، ويُسجَّل بصحته الامتحان،

= الروضتين» لأبي شامة، و«مفرج الكروب» لابن واصل الحموي، وكانت وفاته بدمشق سنة ٦٢٤هـ، واستقصيت مصادر ترجمته في كتاب «المذيل على الروضتين» (١/ ٣٩٧ ـ ٣٩٩).

(١) كان المعظم عيسى قد تحالف مع جلال الدين ضد أخويه الكامل محمد والأشرف موسى، واتفاقهما عليه، وبينتُ في كتابي «ما بعد صلاح الدين» أسباب هذا الخلاف بين الإخوة، يسَّر الله تعالى نشره قريبًا. وينظر في ذلك: «مفرج الكروب» (٤/ ١٢٧، ١٣٧، ١٤٦).

(٢) في (ن): «لا تنفعه»، وما في نسخة المتحف البريطاني يوافق ما في الأصل.

(٣) باقل: رجل يضرب به المثل في العِيّ. ينظر: «اللسان»: (بقل).

(٤) في (ن): «الشيخوخة».

(٥) في (ن) و(ق): «أجود»، وما في نسخة المتحف البريطاني يوافق ما في الأصل.

غير أنَّ اعتيادَ المُخامرة قبيح، وكُفْران النِّعْمة لؤمٌ صريح. فعُزِلَ، وولي القضاء مجير الدِّين، بعد استنزاله بالمصادرة عن ماله، على ما نذكره[1].

(١) ينظر: (ص١٦٥) من هذا الكتاب.

فصل

في عَوْدِ السُّلطان إلى بلد الكُرْج وفتحِه تِفْلِيْس وحصارِه لخِلاط أوَّل مرَّة، وغيرِ ذلك

قال: ركب السُّلطان بعد العيد لغزوةٍ أخرى في الكُرْج، يُبيِّض بها وَجْه الإيمان، ويُعَفِّر خدودَ عَبَدة الصُّلْبان. فعند وصوله إلى نهر أرس مَرِضْتُ مرضًا شديدًا، تعذَّرت معه الحركة، وأذن لصاحِبَي سُرْمارَى في العَوْد إلى بلدِهما، فسُيِّرْتُ معهما، وبَرَزَ الأمرُ إليهما بأنَّهما لا يفتحان كتابًا يَرِدُ عليهما من ملوك الشَّام والرُّوم والكُرْج إلا بحضوري ما دمتُ فيهم، وأن لا يحضر رسولٌ من هذه الجِهات إلا وأنا حاضر. فأقمتُ بها سبعة أشهر، لتعذُّر الوصول إلى مراكز الرَّايات السُّلطانية، وقد دوَّخ أعماقَ أَبْخاز.

ولما وصل السُّلطان إلى شاطئ أرس مُسِكَتْ لشلوة الكُرْجي، وهو أسيرٌ، كتبٌ أنفذها إلى أمراء أَبْخاز يحذِّرُهم، وبرحيل السُّلطان صوبهم يُنذرهم. فأمرَ السُّلطان به فوسِّط على شاطئ النهر[1].

وقاسى السُّلطان وعسكرُه من الثلوج ببلد الكُرْج شِدَّة عظيمة. ولمَّا وصل إلى قُرْب تِفْلِيْس جَرَّ العساكر إليها، متجرِّدة عن أثقالها، فوجدها منيعةً حصينة، قد بُني معظمُ سورِها على الجبال والشقفان[2]. فتهافتَ عوامُّها إلى مصرع البَوَار، تهافُتَ الفَرَاش في النَّار، فاستجرُّوهم إلى أن

---

(١) وسِّط؛ أي: قطع نصفين. «المعجم الوسيط» (ص١٠٧٤).

(٢) تنظر الحاشية رقم: ٦ (ص١١٠) من هذا الكتاب.

انفصلوا من جُدْران المدينة، فحملوا عليهم حَمْلةً كشفتهم عن رؤوسٍ بلا غلاصم[1]، وأيدٍ بلا معاصم، وتزاحموا[2] في العَوْد، وسَبَقهم إلى الباب غياثُ الدِّين، ومُلكت المدينة بهذه الحَمْلة، وتحكَّمتِ السُّيوف في أهلها، والأيدي النَّاهبة في أموالها. وقُتِلَ مَنْ بها من الكُرْج والأرمن، وتحصَّن الأجنادُ بالقلعة.

ومن صفة تِفْلِيْس أنَّها بُنيت على حافَةِ نهرٍ كبير بين جبلين[3] وأودية، والنهر يشق بين المدينة والقلعة، وهو نهرٌ عظيم لا يُخاض، وكان بينهما جسرُ خشبٍ، فأُحرق الجِسْر حين شوهد هولُ المَقام، وتكاثفَ عليه الزِّحام. ثم عَبَرَ السُّلطان النهر في نهارٍ واحد، فأحاط بالقلعة، فخرج رسولهم في طلبِ الأمان، فأجاب السُّلطان، وتسلَّمها بما فيها من الأموال المتوفِّرة، ثم رحل منها. ورَكَزَ شرفَ المُلك بها يُبلي بقايا الكُرْج بالبلايا، وغوارته[4] تضرب يَمْنةً ويَسْرة، تزيدهم حَسْرة بعد حسرة[5].

قال: ووصل السُّلطان إلى سُرْمارَى، وأنا بها، وأُنهيَ إليه أنَّ ثلاثة من أُسَراء الكُرْج قد تقرَّر فِداؤهم على عشرين ألف دينار، فأمرَ أن لا يُمكَّن [أحدٌ][6] من إطلاقهم، وقال: لو كنتُ أرغبُ في بيع عدوِّي لجمعتُ من الكُرْج أموالًا لا تأكلها النَّار. ورحل صوب كَرْمَان، ليكبِسَ

---

(١) الغلاصم جمع، مفردها غَلْصمة: وهي رأس الحلقوم. ينظر: «اللسان»: (غلصم).

(٢) في (ن): «وانزحموا».

(٣) في (ن): «جبال».

(٤) في الأصل: «وغوراته»، والمثبت من (ن)، وتنظر الحاشية رقم: ٥ (ص١٠٣) من هذا الكتاب.

(٥) ينظر: «الكامل» (١٢/ ٤٥٠ ـ ٤٥٣)، و«مفرج الكروب» (٤/ ١٨١ ـ ١٨٥).

(٦) ما بين حاصرتين من (ن).

بها براقَ الحاجب، فتعِبَ، ولم يبلغ مقصودَه، إذ كان براق مُحْترزًا.

وجرَّد السُّلطان خمسة آلاف ليُغيروا على بلد خِلاط، فعادوا بعد ثلاثة أيام بغارات ضاقتْ بها الطُّرق. ثم قصد السُّلطان خِلاط، فلمَّا وصلها ثارَ عليه العوام، فأقام بها[1] أربعين يومًا، ثم رجع[2].

قال: وقد كان صاحب أَرْزَن الرُّوم نَصَّر أحدَ ابنيه، وأنكحه مَلكة الكُرْج[3]. وحين مَلك السُّلطان تِفْلِيْس أحضر الصَّبي بين يديه، فأمَّنه وآواه، ومهَّد له ذَرَاه[4]، إلى أن نهض السُّلطان صوب خِلاط في هذه المرة[5]، استحوذ عليه الشَّيْطان فارتدَّ، وعاد إلى الكُرْج، وأخبرهم بقِلَّة مَنْ بتِفْلِيْس وضَعْفهم. فاغتنموا بُعْد السُّلطان وخِفَّة أصحابه بها، فساروا إليها، فأحرقوها، لعلمهم بأنهم يعجَزون عن حِفْظها. وكان شرفُ المُلك مقيمًا بكَنْجَة، فطيَّر كُتُبَه إلى السُّلطان، وهو محاصِرٌ خِلاط، فرجع على أنه يتدارَك الأمر، فلم يلحق ذلك.

وقد كانت [الأتراك][6] الإيوانية قد أوغروا صَدْر السُّلطان بإخافتهم الطرق، وأخذهم الغارات مما يتاخِمُهم من البلاد، وكان فيهم كثرة؛ طالما ركبوا في زُهاء عشرة آلاف فارس. فحين انصرفَ عن خِلاط سار إليهم، فشَنَّ عليهم غارة، ولم تخلُ من نِهاب نفوس، واختطافِ رؤوس، وساق مواشيهم إلى مُوْقان، فكان الخُمْس منها ثلاثين ألفًا[7].

---

(١) في (ن): «عليها»، وهي الأشبه.

(٢) ينظر: «الكامل» (١٢/ ٤٦٠ ـ ٤٦١).

(٣) ينظر: «الكامل» (١٢/ ٤١٦ ـ ٤١٧).

(٤) الذرا: الكنف. «المعجم الوسيط» (ص٣٣٥).

(٥) في (ن): «المدة»، وما في نسخة باريس والمتحف البريطاني وطبعة هوداس يوافق ما في الأصل.

(٦) ما بين حاصرتين من (ن).

(٧) ينظر: «الكامل» (١٢/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣).

ولما شَفى السُّلطان غيظه منهم، انفردَ في مئةٍ من خواصِّه إلى خُوَيّ، لاجتماعه بالملكة صاحبتِها. فلمَّا قاربَها أُعْلِمَ بأنَّ طائفةً من المماليك الأتابكية[1] نزولٌ بمرج خُوَيّ في أضعاف مَنْ كان مع السُّلطان، فلم يَرَ إذْ ذاك العَوْدَ وجهًا، فأقدم مُبادرًا، وساق إليهم مُخاطرًا، فلم يلبثوا له، وتبعهم السُّلطان، وجدَّ في الطلب حتى ضيَّق منافسهم، فوقفوا له، وطلبوا الأمان فأمَّنهم، وانخرطوا في سِلْك الخِدْمة. ولم يصلِ السُّلطان إلى كَنْجَة إلا بعد فراغ الكُرْج من إحراق تِفْلِيْس[2].

ولما فارقه شرفُ المُلك عند توجهه صوب خِلاط هذه المرَّة، قبض على القاضي مجير الدِّين عمر بن سَعْد الخُوَارَزْمي، وصادره [على][3] اثني عشر ألف دينار، زعمًا منه بأنه خان السُّلطان في أداء رسالته التي وُجِّه فيها.

قال: ووصل شمس الدِّين رسولُ المغرب[4] في سنة ثلاثٍ

---

(١) أي: أتباع زوج الملكة السابق الأتابك أزبك.

(٢) ينظر: «الكامل» (١٢/ ٤٦٩).

(٣) ما بين حاصرتين من (ن).

(٤) اكتفى النسوي بذكر الرسول، ولم يسمِّ لنا من أرسله، ولعله أحد سلاطين الموحِّدين؛ عبد الله بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، الملقب بالعادل، وقد ولي ما بين سنتي ٦٢١هـ ٦٢٤هـ، وكانت دولتهم في مرحلة ضعفها وقتئذٍ، والمعروف أن سلطانهم يخاطب بأمير المؤمنين. وأستبعد أن يكون رسولًا من قبل الخليفة العباسي، كما ذهب إلى ذلك محقق (ق) في تعليقه، لقول النسوي من بعد: إن هذا الرسول قطع البحر إلى الروم. ولا حاجة لرسول بغداد أن يركب البحر للوصول إلى سلاجقة الروم ثم إلى جلال الدين.
ثم ذكر النسوي في أصل هذا الكتاب (ص٢٢١) أن بلاده بالجهة القاصية، ولا توصف بغداد بذلك. ورسول بغداد يعبر عنه غالبًا برسول الديوان العزيز، كما سلف مرارًا في هذا الكتاب. ثم إنه سلك في عودته طريق الموصل لا طريق =

وعشرين وست مئة، لمَّا عاد السُّلطان إلى كَنْجَة في هذه المرَّة، وشَكَّ في صِدْقه إلى أن رَجَعَ رسولُ السُّلطان من الرُّوم، وأخبرنا بأنَّ هذا الرَّسول قد قطع البحر إلى الرُّوم، وهو حاضر، وتلقَّاه علاءُ الدِّين كَيْقُباذ؛ صاحبُ الرُّوم بنفسه[1]، وبُولغ في احترامِهِ وإعظامه إلى أنْ عَلِمَ أنَّه مبعوثٌ إلى السُّلطان لا إليهم. فأقام بكَنْجَة سنة أو أكثر، وحُمل إليه ما يقاربُ عشرة آلاف دينار، ففارق ولم يبق معه منها شيءٌ، بل كان استقرض من التُّجَّار جملة أخرى طائلة، واشترى بها الحَمْد والثَّناء. وطلبَ أن يُكتب له توقيعٌ بالجُبَّة[2] الزَّبدانية بدمشق، وزعم أنَّه كان وَرِثَها عن أسلافه، وقد غُصِبَتْ منه، وأُخذتْ ظُلْمًا. فأجابَ

= بغداد، والله أعلم. وينظر: «المذيل على الروضتين» (١/ ٨٦)، و«وفيات الأعيان» (٧/ ١٦ ـ ١٧)، و«سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ٣٤٠، ٣٤١ ـ ٣٤٢)، و«تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية» (ص٢٠ ـ ٢٢).

(١) هو: علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو بن قليج أرسلان، سلطان سلاجقة الروم في الأناضول، أخباره مبثوثة في تواريخ ذلك العصر، وأهمها «مرآة الزمان» لسبط ابن الجوزي، و«مفرج الكروب» لابن واصل الحموي، و«مختصر سلجوق نامة»، لمؤلف مجهول ـ وهو مختصر كتاب «الأوامر العلائية في الأمور العلائية» لابن البيبي ـ و«تاريخ الإسلام» للذهبي، ووفاته سنة ٦٣٤هـ، واستقصيت مصادر ترجمته في كتاب «المذيل على الروضتين» (٢/ ٤٠).

(٢) في (ن) و(ق): «بالجنة»، وهي تصحيف لطيف، وفي نسخة باريس: «بالجبة»، وهي توافق ما في الأصل، وقد جوِّدت فيه. وذكرها الشاعر فتيان الشاغوري في قوله:

يا جُبَّةَ الزَّبداني أنتِ مُسْفِرَةٌ عن وجهِ حُسْنٍ إذا وَجْهُ الزَّمان كلحْ

ووصفها ابن خلكان بقوله: هي أرض فيحاء، جميلة المنظر، تتراكم عليها الثلوج في زمن الشتاء، وتنبت أنواع الأزهار في زمن الربيع.

ينظر: «ديوان فتيان الشاغوري» (ص٩٤)، و«وفيات الأعيان» (٤/ ٢٤ ـ ٢٥)، وقد قرأها المحققان: يا جنة الزبداني! وورد البيت على الصواب في «نصرة الثائر على المثل السائر» (ص٢١٧).

السُّلطان إلى جميع ما سأل[1]، وقال له: عسكرُ أميرِ المؤمنين أضعافُ هذا العسكر، لِمَا في جيشه من الجُمُوع والرَّجَّالة، غير أن هؤلاء كلهم رجال الحرب. ورجَعَ رسولُ المغرب، فلمَّا وصل إلى المَوْصل دخلتْ عليه طائفة ليلًا، فأخرجوه ولم يَعُد، فتحقَّق أنَّه أُحدرَ إلى بغداد، ورُجِعَ بقُماشه وخيله إلى السُّلطان، وما تعرَّضوا لها، ولم يُدرَ عاقبة أمره.

(١) إنما سأله ذلك لأن بين السلطان جلال الدين والمعظم عيسى بن العادل؛ صاحب دمشق تحالفًا وثيقًا. ينظر: (ص١٥٩ ـ ١٦٠) من هذا الكتاب.

فصل

في ذِكْرِ عِمارة بَيْلَقَان وأَرْدُويل، ووصول خاموش بن الأتابَك إلى السُّلطان والرَّفيعة على الوزير التفرشي، وقَتْلِ الإسماعيلية بكَنْجَة أورخان

قال: لمَّا توجَّه السُّلطان إلى العراق في سنة أربع وعشرين [وست مئة][1]، وجد بَيْلَقَان وأردويل بحالٍ من الخراب لا تُرْجى عِمارتُهما، وما كان حَصَّل بهما عَلِيْق خيله، ورجعتِ الممتارةُ عنهما بأوعيةٍ خالية، فملَّكَهُما[2] شرفَ المُلك، علمًا بأنَّهما ما دامتا في جُمْلة الخاصِّ لا تزدادان[3] إلا خرابًا. فضربَ عليهما شرفُ المُلك في تلك السَّنة سُورين من آجُرّ، ترغيبًا للرَّعية في العَوْد إليهما، فعادتا إلى أحسنِ ما كانتا عليه قديمًا من حالِ العِمارة، وأثمرتا أموالًا يتضاءل مالُ كَنْجَة وتِبْرِيْز في جَنْبهما[4] قدرًا.

ونزل السُّلطان بظاهر بَيْلَقَان بعد سنةٍ أو أكثر، فرفع شرفُ المُلك على يدي إلى المواقفِ السُّلطانية رقعة، مضمونُها: أقلُّ المماليك يقبِّل الأرضَ لدى السَّرير الأعظم، ويُنْهي أنَّه يحمل إلى المطابخ والمخابز والإصْطَبْلات السَّعيدة من حاصِلِ بَيْلَقَان ما يأتي شرحُه: الغنم ألفُ

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة من عندي للإيضاح.

(٢) في (ن) و(ق): «فملكها»، وهو خطأ.

(٣) في (ن) و(ق): «لا تزداد»، وهو خطأ.

(٤) في الأصل: «جنبها»، وهو خطأ، والمثبت من (ن).

رأسٍ، الحِنْطة ألفُ مكُّوك[1]، الشَّعير ألفُ مَكُّوك ـ وكان أصلُ هذه الغنم ما غَنِمَه من التُّرْكمان الذين أغار عليهم بأرَّان، وساق غنمَهم إلى بَيْلَقَان ـ[2] قال: فوقف السُّلطان عليها، وما زاد على أن تبسَّم.

قال: ولم يخلف الأتابَك أزبك ولدًا إلا المَلِك خاموش، وكان قد وُلد أصمَّ أبكم، يفهم ويُستفهم منه بالإشارات[3]، ولا كلُّ أحدٍ يقدِرُ على[4] تفهيمه والاستفهام منه إلا شخصٌ واحد قد ربَّاه، وكان أبوه قد زوَّجه. فلمَّا وصل السُّلطان إلى كَنْجَة مُنْصرفَه من خِلاط قدم خاموش ـ وقد سَمَّوْه خاموشًا لأنه غيرُ قادرٍ على المنطق ـ وأحْضَرَ في جُمْلة تقاديمه[5] حِياصة[6] كيكاوس؛ ملك الفُرْس قديمًا، وكانت تحوي عِدَّة جواهر نفيسة لا تُقوَّم، من جُمْلتها قطعة بذخشاني[7] ممسوح مصفح طولاني على قدر كفّ، أفخر ما يكون من الجواهر وأبهاه، وقد نُقر فيها اسمُ كيكاوس، واسمُ جماعةٍ من الملوك بعده. وأضاف السُّلطان إليها قِطَعًا أخرى نفائس ممَّا كانت له، وغيَّر صياغتها[8]، وجعل الفَصَّ

---

(١) المكوك: اسم لمكيال، تنظر تقديراته في: «اللسان»: (مكك).

(٢) ما بين المعترضتين ليس في (ن) و(ق).

(٣) في (ن): «لا يفهم ولا يستفهم منه إلا بالإشارات».

(٤) «على»، ليس في (ن) و(ق).

(٥) تنظر الحاشية رقم: ٨ (ص١٣٢) من هذا الكتاب.

(٦) الحياصة: المِنْطقة، وهي حزام يشد في الوسط، ويكون من ذهب مرصع بالفصوص. ينظر: «صبح الأعشى» (٢/ ١٣٤)، و«المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب» (الحياصة).

(٧) في (ن): «بداخشاني»، وهو تحريف، وبذخشاني نسبة إلى بذخشان، وهي: بلدة في أعلى طخارستان، بينها وبين بلخ ثلاث عشرة مرحلة، في جبالها معدن اللازورد الذي يزوق ويعمل منه فصوص الخواتم، وفيها أيضًا معدن البجادي، وهو حجر كالياقوت. ينظر: «معجم البلدان» (١/ ٣٦٠).

(٨) في (ق): «صناعتها».

الكيكاوسي واسِطتَها. وكان يشدُّها[1] في الأعياد لا غير، إلى أنْ كَبَسَه التَّاتار بآمد في شوَّال سنة ثمانٍ وعشرين وست مئة[2]، فظفِرُوا بالحِياصة وسائر الجواهر، وحُملت إلى الخاقان بن جنكيزخان؛ ملكِ التُّرك[3].

وأقام المَلك خاموش في الخِدْمة مُديدة، فلم يُحط[4] بعنايةٍ إلى أن رثَّتْ حاله، وأعْوَلَ عِياله، ففارق السُّلطان من غير إذن إلى علاء الدِّين صاحبِ الإسماعيلية[5]، وساقه الموتُ إلى ألموت، فتوفِّيَ بها بعد شَهْر.

قال: وكان شرفُ الدِّين علي بن الفَضْل التفرشي؛ من رؤساء تفرش - وهي كُوْرة من كُوَر العراق - خَدَم في الدَّواوين، متنقلًا من رُتْبة إلى أخرى أعلى منها، إلى أن ولي استيفاء[6] العراق عند تمليك السُّلطان الكبير ولدَه غورسانجتي إقليم العراق[7]، وقد تُعُصِّب عليه ونُكب في أيَّام غياثِ الدِّين إلى أن طلعت رايات السُّلطان من الهِنْد، وصفا له مِلك العراق، بادر أكفاءه[8] إلى الخِدْمة، فاستوزرَه لجميعِ العراق، مُحَكَّمًا في

---

(١) في الأصل: «يشد»، والمثبت من (ن).

(٢) تنظر: (ص٢٠٤ - ٢٠٨) من هذا الكتاب.

(٣) هو: أوكتاي بن جنكيزخان، وقد ولي سنة ٦٢٦هـ حتى وفاته سنة ٦٣٩هـ، ينظر: «تاريخ جهانكشاي» (١/ ١٧٣ - ١٨٧).

(٤) في (ن): «فلم يحظ».

(٥) هو: علاء الدين محمد بن جلال الدين حسن، ولي بعد وفاة أبيه سنة ٦١٨هـ، وامتد حكمه حتى وفاته قتيلًا سنة ٦٥٣هـ، وولي بعده ابنه ركن الدين خورشاه، ينظر: «تاريخ جهانكشاي» (٢/ ٣٣٩ - ٣٤٥)، والحاشية رقم: ٤ (ص٥٨) من هذا الكتاب.

(٦) تنظر الحاشية رقم: ١ (ص١٤٢) من هذا الكتاب.

(٧) تنظر: (ص٧٠) من هذا الكتاب.

(٨) بادر: أسرع، سبق، وأكفاء جمع، مفردها كُفء: وهو النظير والمساوي. ينظر: «اللسان»: (بدر، كفأ). والمعنى: سبق نُظراءه إلى خدمة السلطان. وما في نسخة باريس يوافق ما في الأصل، بيد أن هوداس قرأها في طبعته: =

الرِّقاب والأموال، مُنْزِلًا حُكْمَه منزلة الأحكام السُّلطانية. فانبسطتْ يدُه وباعه، وتموَّجت بذخائر الأموال رِباعُه، وأخَذَ يقلعُ صدورَ العراق، ومَنْ كان يتوهَّم من جهته مُزاحمةً على ما تحت يدِه، ومنازعةً لِمَا هو بصددِه[1]، فنَكَبَ الصُّدور وأوغر الصُّدور. ولم يتولَّ حُكْم العراق بأسْرِها وزيرٌ قبله، بل كان لكلِّ مدينةٍ وزيرٌ يدبِّرُها بمفردها. فاتَّفق وزيرُ أصفهان قديمًا ومستوفيها وقاضيها، ووزير الرَّي ومستوفيها على الرَّفيعة[2] عليه، والوقيعة به، وتفريغ الخواطر من جهته. وواطأهم شرفُ المُلك على أن يساعِدَهم ليحُطَّه عمَّا ناله من المنزلةِ المَحْسُودة، إذ كان قليلَ الاحتفالِ به[3]، لم يَتْبَعْه في جميعِ أغراضِه وأهوائه[4]، بخلافِ سائر وزراء الأطراف.

فأمر السُّلطان أن يعقد شرفُ المُلك لهم مجلسًا، تُسْمع فيه رفايعهم بحضرةِ سائر أرباب المناصب بالدِّيوان، وجلس السلطان ينظر إليهم من شُبَّاك بحيث يسمع مقالاتِهم.

فلما أحسَّ شرفُ الدِّين بأنَّ شرفَ المُلك مواطئهم على ما اتَّفقوا من الرَّفيعة، أرضى السُّلطان سرًّا بمئة ألف دينار، يحمِلها إلى الخِزانة على أن لا يقبل قولَهم فيه، وعلى أنَّ كلامه[5] يُسْمع فيما يرفع عليهم

= «بادرًا كفاه»، فوهم. وغيَّرها محقق (ق) إلى: «بادر كفاه»، فوهم كذلك، وتابعه على وهمه محقق (ن)!

(١) في (ن): «بصدره»، وهو تحريف.

(٢) الرفيعة: ما يرفع على الرجل من قضية ويبلغها. ينظر: «اللسان»: (رفع).

(٣) «به»، ليس في (ن) و(ق)، وما في نسخة المتحف البريطاني يوافق ما في الأصل.

(٤) في الأصل ونسخة باريس وطبعة هوداس: «وأهويته»، وهو تحريف، والمثبت من (ن)؛ لأن الأهوية جمع هواء. أما الأهواء فجمع هوى، وهو المراد هنا. ينظر: «اللسان»: (هوا).

(٥) في (ن) و(ق): «كلامهم»، وهو خطأ، وما في نسخة لينينغراد يوافق ما في الأصل.

من المعاملات العتيقة. وكان السَّفير بينهما في ذلك ملكُ الخواصّ تاجُ الدِّين قليج، فرضي السُّلطان بذلك، وأولئك لا يدرون.

قال: وكنتُ قد حضرتُ المجلس أسمع رفايعهم، فكان بين كلامهم وكلام شرفِ الدِّين في التوجيه من البُعْد ما بين الثَّرى والثُّريا، إذ كان شرفُ الدِّين في الكفاية فريدَ عصره، ووحيدَ دهره. فقام عن المجلس مستمرًّا على ما كان له من الجاه والحُكْم بعامَّة مدن العراق. وكاد[1] شرفُ المُلك يموت كَمَدًا، وسائرُ الصُّدور قد أقيموا بالتَّوكيل، يُطالب كلُّ واحدٍ منهم بعشرين ألف دينار، وثلاثين ألف دينار. ولمَّا عَزَمَ شرف الدِّين على العَوْد إلى بيتِ عمله[2]، لم يَرَ أن يترك شرفَ المُلك بغيظه، فاستحلفه على الاعتناءِ به، على أن يحمِلَ إلى خِزانته عشرين ألف دينار. فحملها في مُدَّة سنة[3]، وما غيَّرت شيئًا من قِلَّة اعتنائه، وترصُّدِه للإيقاع به في سائرِ أيامه[4]، ولم يألُ جُهْدًا في قَلْعِه بأصوله، وردِّه إلى خُموله، وكفاه الله ما كان ينويه إلى أن قُتِلَ بغيظه فيه.

قال: ولمَّا كان السُّلطان بالهند قاصِرَ اليدِ[5] عن مقابلة الخِدْمة بالإحسان، كان يطيِّبُ قلبَ من ترضيه خِدْمتُه باللِّسان، فوَعَدَ كلَّ مَنْ معه من الأمراء بإقطاعٍ إذا ملك العراق وخُراسان. فلمَّا تملكها وفى بما وعد، وأقطع أورخان ما كان قد تبقى من أَرْماق[6] خُراسان. فكان نائِبُه يتعرَّض إلى ما يتاخِمُها من بلاد الإسماعيلية، مثل: تُون وقاين وقُهِسْتان، بالنَّهْب والقَتْل، فورد منهم شخصٌ يلقَّب بالكمال ـ وقد ناب عن صاحبهم زمانًا

---

(١) في (ن): «وكان»، وهو تحريف.

(٢) في (ق): «علمه»، وهو تحريف.

(٣) «سنة»، ليست في (ن).

(٤) في (ن) و(ق): «أوقاته».

(٥) في (ن): «اليدين»، وما في نسخة المتحف البريطاني يوافق ما في الأصل.

(٦) تنظر الحاشية برقم: ٤ (ص١٠٣) من هذا الكتاب.

ببلاده الشَّامية ـ رسولًا إلى السُّلطان، وهو بخُوَيّ، يشكو نُوَّاب أورخان، وتطاولهم إلى تُخوم أرضهم. فأمر شرفَ المُلك أن يقابل بينه وبين أورخان، ويقطع الشَّكوى. فلمَّا سمع أورخان كلام الكمال، وكان يتضمَّن نوعًا من التهديد، جَذَبَ من خُفَّيْهِ وحِياصته[1] وكمرانه[2] عِدَّة سكاكين، ورماها بين يديه، وقال: هذه سكاكيننا، ولنا من السُّيوف ما هو أمضى منها حدًّا، وأعلى يدًا، وليس لكم منها شيء. وعاد الرَّسول بظُلامةٍ ما أُنْصِفَتْ، وحاجةٍ ما أُسعفت.

فلمَّا عاد السُّلطان إلى كَنْجَة ونَبَ بأورخان ثلاثة من الفدائية، فقتلوه بظاهرها[3]، ودخلوا المدينة والسَّكاكين بأيديهم، ينادون بشعار علاء الدِّين[4]، ويقولون: نحن قرابين المَوْلى علاء الدِّين[5]. إلى أن وصلوا إلى بابِ شرفِ المُلك، دخلوا دار الدِّيوان، فلم يجدوه بها، وكان حينئذٍ بباب دار السَّلطنة بالقصر. فجرحوا فَرَّاشًا له وخرجوا منادِين بشِعارهم، فرجمتهم العوام من السطوح إلى أن رَضُّوهم، وهم يقولون إلى آخر النَّفَس: نحن قرابين المولى علاء الدِّين.

وقد كان وصل بدرُ الدِّين أحمد؛ رسولُ ألموت إلى بَيْلَقَان، قاصدًا باب السلطان، فلما سمع بالحادثة تحيَّر في أمره، فلا يدري أيقدُمُ

---

(١) تنظر الحاشية رقم: ٦ (ص١٦٩) من هذا الكتاب.

(٢) في (ن) و(ق): «كمراته»، وهو تصحيف، وما في نسخة المتحف البريطاني يوافق ما في الأصل. والكمران: حزام بحلق وإبزيم يشد على الوسط، يوضع فيه ما يُحتاج إليه، ينظر: «كتاب الروضتين» (١/ ٣٨٩، ٢/ ٤٠)، و«المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب» (كمر).

(٣) وذلك سنة ٦٢٤هـ، ينظر: «الكامل» (١٢/ ٤٧٠).

(٤) تنظر الحاشية رقم: ٥ (ص١٧٠) من هذا الكتاب.

(٥) «ويقولون: نحن قرابين المولى علاء الدين»، ليس في (ن) و(ق)، وما في نسخة المتحف البريطاني يوافق ما في الأصل.

أم يرجع. وورد كتابُه على شرفِ المُلك يستشيره في أمره، فاستبشرَ[1] بمَقْدَمِه لرُعْب داخَله من طلب الفدائية دارَه، وأراد تمهيد قاعدة[2] معه تؤمِّنه في الأجل عن مثل ما تمَّ على أورخان من القِتْلة الفظيعة، والفَتْكة الشَّنيعة. فكتبَ إليه يحثُّه على إيراده، ويُمَنِّيه قضاءَ[3] أشغاله[4] على وَفْق مُرَاده[5]. فورد[6]، وتشمَّر شرفُ المُلك عن ساق الجِدِّ والاجتهاد في الحاجة، فقضى الأشغال فوق اقتراحه، وكان قُصْوى مرادِهم إزالة التعرُّض عن بلادهم. وكانوا قد استولوا على دَامَغان في زمن التَّاتار، حين خَلت عمَّن يحميها، والسُّلطان مطالبهم بتسليمها. فتقرَّر الأمر على استمرارها في أيديهم، على أن يحملوا إلى الخِزانة السُّلطانية كلَّ سنةٍ[7] ثلاثين ألف دينار. وكُتِبَ لهم بها توقيع.

وركبوا صوبَ أَذْرَبِيجان، وبدرُ الدِّين أحمد المذكور؛ رسولُ ألموت في صُحْبة شرفِ المُلك، يحضُر خاصَّ مجلسه، وعامَّ سِماطه، وبَسَطَ شرفُ المُلك[8] له أسبابَ انبساطه. فلما وصلوا إلى مَرْج سَرَاه[9]، وقد

---

(١) في (ن) و(ق): «فاستسر»، وما في نسخة المتحف البريطاني يوافق ما في الأصل، بيد أن محقق (ن) قرأها: «باستبشر»!

(٢) في (ن) و(ق): قاعد، وهو تحريف، وما في نسخة المتحف البريطاني يوافق ما في الأصل.

(٣) في (ن) و(ق): «قضى»!

(٤) في (ن) و(ق): «شغله».

(٥) في (ن) و(ق): «المراد».

(٦) من هنا إلى قوله: «فوق اقتراحه»، ليس في (ن) و(ق)، وما في نسخة المتحف البريطاني يوافق ما في الأصل.

(٧) كل سنة، ليس في (ن) و(ق)، وما في نسخة المتحف البريطاني يوافق ما في الأصل.

(٨) في الأصل: «شرف الدين»، وهو سبق قلم، والمثبت من (ن).

(٩) في (ن): «سَرَاو»، وهي كذلك في «معجم البلدان» (٢/ ٢٠٤)، وفي نسخة =

حَصَلَ الاسترسال، قال في بعض مجالس الشُّرْب، وقد أخذتِ الكؤوس منه مأخذها: إنَّ لنا في عسكركم هذا جماعةً من الفدائية، وقد تمكَّنوا فصاروا كالواحد من غِلْمانكم، فمنهم من خَدَم إصْطَبْلك، ومنهم من خدم عند مقدَّم جاويشية[1] السُّلطان. فألحَّ شرفُ المُلك عليه أن يُحْضِرَهم ليُبْصِرَهم، وأعطاه مِنْديله علامةً للأمان لهم. فأحضر المذكورُ خمسةً من الفدائية، فلمَّا وقفوا، وكان الواحد منهم هنديًّا وقحًا، جعل يقول لشرفِ الملك: كنتُ قد تمكنتُ منك يوم كذا في منزل كذا، إلا أنني كنت أنتظر ورود الأمر بإمضاء العزيمة فيك. فرمى شرفُ المُلك حين سمع كلامه الفَرَجية[2] عن ظهره، وقعد بين أيديهم بالقميص، وقال: ما سببُ ذلك؟ وماذا يريد مني علاء الدِّين؟ وما الذي صَدَرَ عنِّي من الذنب والتقصير ليَعْطَشَ إلى دمي؟ وأنا مملوكُه كما أنا مملوكُ السُّلطان، وها أنا بين أيديكم، فافعلوا ما شئتم. وبالغ حتى جاوز في التذلل حَدَّ الاقتصاد.

وبلغ السُّلطانَ ذلك، فغضبَ له، وأنكر عليه تذلُّلَه، وسيَّر إليه من خواصِّه من ألزمه بإحراق الفدائية الخمسة على باب خيمته، فاستعفى من ذلك، فلم يُعفَ. فأمر على كُرْهٍ منه، فأُوقدت على باب خيمته نارٌ عظيمة، ورُميَ أولئك الخمسة فيها، فكانوا يُحذفون[3] وهم يقولون:

= باريس: «سراه»، وهي توافق ما في الأصل.

(١) في الأصل: «جاوشة»، والمثبت من (ن). والجاويشية جمع، مفردها الجاويش: وهم من جنود الحرس، يمتازون بالشجاعة، وكان من عملهم أن ينشدوا أمام السلطان في مواكبه وحفله. ينظر: «صبح الأعشى» (٤/٤٨، ٢٣٩)، و«تكملة المعاجم العربية» (٢/١٣٢).

(٢) الفرجية: ثوب فضفاض، مفتوح من الأمام، يعمل من الجوخ، وله كمان واسعان يتجاوزان قليلًا أطراف الأصابع. «المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب»: (الفرجية).

(٣) في (ن): «يحترقون».

نحن قرابين المولى علاء الدِّين. إلى أن فارقتِ الأشباحَ[1] الأرواح، وصاروا رمادًا تَذْروه الرِّياح. وقتل السُّلطان كمال الدِّين؛ مقدَّم الجاويشية، لاستخدامه الفدائي، إذ كان أَوْلى من يقدِّم الاحتراز، ويعمل بالاحتياط.

ورحل من هناك صوبَ العراق، وتخلَّف شرفُ المُلك بأَذْرَبِيْجان، وتخلَّفْتُ معه. فبينا نحن ببَرْذَعَة إذ ورد رسولٌ من ألموت على شرفِ المُلك يقول: إنك قد أحرقتَ خمسةً من الفدائية، فإن أحببتَ سلامتك فأدِّ عن كلِّ واحدٍ منهم عشرة آلاف دينار دِيَةً. فهاله ما سَمِعَ وأكْمَدَه، وأضْعَفَ عن كلِّ شيء قلبَه ويدَه، فخصَّ هذا الرَّسول عن أمثاله بإنعام وافر، وتشريفٍ فاخر. وأمرني، فكتبتُ لهم توقيعًا ديوانيًّا بإسقاط عشرة آلاف دينار مستمرَّةٍ في كلِّ سنة، ممَّا تقرَّر حملُها إلى الخِزانة السُّلطانية، وهي ثلاثون ألف دينار. وعَلَّمَ شرفُ المُلك علامته على التَّوقيع.

قال: واتَّفق بعد ذلك أن وصلتْ للإسماعيلية قافلةٌ كبيرة من صوبِ الشَّام، فيها نيِّفٌ وسبعون رجلًا، فسيَّر إليهم شرفُ المُلك مَنْ قتلهم وأخَذَ أموالهم. وجاء رسولُ صاحبِ ألموت مطالبًا بذلك.

قال: فانظر إلى بُعْدِ ما بين حالتي هذا الوزير؛ تذلله للفدائية، وإقدامه على هذه القضية، حِرْصًا على المال، فلم يتمَّ له. فسُبْحان من جَعَل الفكر هاديًا ومُضِلًّا، وقَسَمَ العقل مُكْثِرًا ومُقِلًّا.

(١) «الأشباح»، ليس في (ن)، وما في (ق) يوافق ما في الأصل.

فصل

في مسير السُّلطان إلى العراق في سنة أربعٍ وعشرين وست مئة والتقائه التَّاتار بظاهر أَصْفَهان

لـمَّا وصل السُّلطان إلى سَرَاه[1]، وجرى ما ذكرناه من إحراق الفدائية الخمسة[2] سار صوبَ تِبْرِيْز، وأقام بها مُديدة استجمامًا. فورد الخبرُ من خُراسان بأنَّ التَّاتار على أُهْبة العُبور[3]، فضمَّ السُّلطان أذياله، وجَمَع أطرافه، ورأى البِدَار إلى أصفهان والتقاءَهم بها أصوب، ومن الاحتياط والحَزْم أقرب، لِمَا فيها من عُدَّة وعديد، ورجالٍ يموجون في بحارٍ من حديد. فوصلها، وجرَّد أربعة آلاف فارسٍ صوبَ الرَّي ودَامَغان برسم اليَزَك[4]، فكانتِ الأخبارُ تَرِدُ من جهتهم يومًا بعد يوم، فهم يتأخَّرون والتَّاتار تتقدَّم، إلى أن عادوا إلى السُّلطان سالمين، وأحضروا معهم مَنْ أعلمَ السُّلطان بما في عسكر الملاعين من مَرَدَة العفاريت، وعُتاة الطَّواغيت.

ونزل التَّاتار شرقيَّ أصفهان، على مسيرة يوم بقرية تُسمَّى السِّيْن. وكان المنجِّمون أشاروا على السُّلطان بمُصَابرتهم ثلاثة أيام والتقائهم في الرَّابع. فلَزِمَ المكان يرتقِبُ اليومَ الموعود، والمِيْقات المضروب.

---

(١) تنظر الحاشية رقم: ٩ (ص١٧٤) من هذا الكتاب.

(٢) تنظر: (ص ١٧٥ ـ ١٧٦) من هذا الكتاب.

(٣) أي: عبور نهر جيحون.

(٤) تنظر الحاشية رقم: ٤ (ص١٣١) من هذا الكتاب.

قال: وممَّا يدُلُّ على قوَّة قلب السُّلطان في الأمور الفادحة[1]، وقِلَّة مبالاته بالخُطوب الكالحة، أنَّ جماعة الخانات والأمراء لمَّا سمعوا بقُرْب العدوِّ انزعجوا لذلك، وقصدوا بابه، فجلس[2] ساعة حتى أَذِنَ لهم في الدُّخول. فلمَّا وقفوا بين يديه، وهو واقفٌ في صحن الدَّار، أخذ يتكلم زمانًا فيما ليس يتعلَّق بالتَّاتار، استحقارًا بهم، وإظهارًا للجماعة بأنَّ الأمر ليس بأمر، والحادثَ ليس بِنُكْر[3]، تسكينًا لقلوبهم الخافقة، وتقوية لنفوسهم الفارقة[4]. وطاولَ في مُجاذبة أطرافِ المُحادثة، إلى أنْ أجلسهم وشاوَرَهم فيما يقعُ عليه الاتِّفاق من ترتيب المصافِّ، فكانت زُبْدَة المشورة أنَّه استحلفهم على أن لا يهربوا، ولا يختاروا الحياة على الموت. ثم حَلَف لهم بمثلِ ما حلفوا له، تبرُّعًا منه بذلك من غير استدعاء، على أنَّه يُقاتل[5] مُسْتقتلًا[6]. وعيَّن لهم يومَ المصافِّ، وأحضر قاضي أصفهان ورئيسها، وأمَرَهم باستعراض الرَّجالة في السِّلاح. وعامَّة أصفهان لا تُقاس بعامَّة سائر البُلْدان في هذا الباب، إذ كانوا يبرُزون إلى ظاهرها في الأعياد والنَّيارز[7]، في أصباغٍ مختلفة كأنَّها زهر الرَّبيع.

---

(١) في (ق): «القادحة»، وهو تصحيف.

(٢) في (ن) و(ق): «فجلسوا».

(٣) النُّكر: الأمر الشديد. «اللسان»: (نكر).

(٤) الفارقة: الخائفة، من الفَرَق الخوف. ينظر: «اللسان»: (فرق).

(٥) «يقاتل»، ليس في (ن).

(٦) في الأصل ونسخة لينينغراد وطبعة هوداس: «مستقلًا»، وهو تحريف، والمثبت من (ن) و(ق). يقال: استقتل؛ أي: استمات في القتال، وجدَّ فيه. ينظر: «اللسان»: (قتل).

(٧) النيارز جمع، مفردها النَّوروز أو النيروز: بالفارسية اليوم الجديد، وهو أول يوم من السنة الشمسية الإيرانية، ويوافق اليوم الحادي والعشرين من شهر آذار (مارس) من السنة الميلادية، وهو من أكبر أعيادهم. «المعجم الوسيط» (ص١٠٠٣).

فلمَّا رأى الملاعين أنَّ السُّلطان أبطأ في الخروج، ظنُّوا أنه امتلأ رُعْبًا، وضَعُفَ قلبًا، وجَنَحَ إلى المُطاولة عن المصاولة، فجرَّدوا[1] ألفي فارس إلى الجبال بلادِ اللُّرّ[2]، ليجمعوا من الغارات ما يقُوتُهم مُدَّة الحصار، فدَوَّخوا[3] الجبالَ وتوسَّطوها. واختار السُّلطان من عسكره زُهاء ثلاثة آلاف، فأخذوا عليهم المضايق، وأرسلوا عليهم الصَّواعق والبوارق، وعادوا وأحضروا معهم أربع مئة أسير، ما بين مأمورٍ وأمير. فسَلَّم السُّلطان جماعة منهم إلى القاضي والرَّئيس، كي يُقتلوا في شوارع المدينة، تَضْرِيةً للعوام[4]. وضربَ رِقاب الباقين بيده في صحن الدَّار، وجُرُّوا إلى ظاهر المدينة، وتُركت جُثَثُهُم الخبيثة بالعَرَاء، تتجاذبُها الكِلاب.

وخرج السُّلطان في اليوم الموعود للمصافِّ، فرتَّب الجيوش، فلما تراءى الجَمْعان خَذَله أخوه غياثُ الدِّين في ذلك الوقت، وفارقه بعسكره وطائفةٍ من عسكر السلطان مقدَّمهم جهان بهلوان إيلجي، مغتنمًا فُرْصة للانفلات عند[5] اشتغال السُّلطان عن طلبه، وتتبُّعِه في مَهْرَبه، خاسرًا فوز الدَّارين. وتغافلَ السُّلطان عنه شُغْلًا بالبازل القَرْم عن الثِّنْي[6]، وبالعُقاب المنقضِّ عن الكُرْكِي.

---

(١) في (ن): «جردوا»، وفي (ق): «جرد».

(٢) اللُّرّ: جيل من الأكراد في جبال أصبهان وخوزستان، وتلك النواحي تعرف بهم. «معجم البلدان» (٥/١٦).

(٣) في (ن) و(ق): «فدخلوا»، وهو تحريف. يقال دوَّخ البلادَ: إذا سار فيها حتى عرفها، ولم تخف عليه طرقها. ينظر: «اللسان»: (دوخ).

(٤) من الضَّراوة، وهي الدُّربة والعادة. ينظر: «اللسان»: (ضرا).

(٥) في (ن) و(ق): «الانفلات عن».

(٦) في (ن) و(ق): «المثنى»، وهو تحريف، وما في نسخة المتحف البريطاني يوافق ما في الأصل. والثني من النوق التي وضعت بطنين، وثِنْيُها ولدُها، =

ووقف التَّاتار حِذاء السُّلطان على رَسْمهم أطلابًا[1] متفرِّقة مترادفة، وأمرَ السُّلطان لمَّا حاذاهم رَجَّالة أصفهان بالعَوْد، إذ أعجبَتْه كثرتُه بالعَدَد[2] استحقارًا واستضعافًا، وقد رأى عسكرَه بالنسبة إليهم أضعافًا. وتباعَدَ ما بين ميمنة السُّلطان ومَيْسرته حتى لم تعرفِ الواحدةُ منهما ما حالُ أختها. فالتقَوْا، وحملتْ آخرَ النَّهار ميمنةُ السُّلطان على ميسرة التَّاتار، فكسرتهم، ورَكِبُوا أكتافَهم يقتلونهم، وتبعوهم إلى تُخوم خُراسان، وعندهم أنَّ ميسرة السُّلطان فعلت بمن كان حِذَاءها مثلَ فعلها. ونزل السُّلطان، لمَّا رأى انهزامهم، عند الغروب على حافَةِ جُرْف، فأتاه بعضُ أمرائه، وقال: قد تمنينا دَهْرًا أن نُرزقَ فيهم يومًا أبيضَ[3]، يذهبُ فيه غيظُ قلوبنا، ويُطْفِئ حَرَّ صدورِنا[4]، فلما سَمَح الدَّهر بالمأمول نُجْلِي عن الماء ونحن ظِمَاء! وفي هذه الليلة تقطع التَّاتار مسيرة يومين، فنندَمُ على فَوَاتهم حيث لا يُغْني النَّدَم.

فركبَ السُّلطان، وكان التَّاتار لمَّا شاهدوا السَّواد الأعظم، جَرَّدت نُخَبَ[5] شجعانِهم للكمين وراء تَلٍّ، فلمَّا عَبَرَ السُّلطان الجُرْف خرج الكمين من ميسرته كالنَّار تَسْتعر، لا تُبْقي ولا تَذَر، فضربوا المَيْسرة على

= أما البازل فهو البعير إذا استكمل السنة الثامنة، وطعن في التاسعة، وانشق نابه. القرم: الفحل الذي يترك من الركوب والعمل. ينظر: «اللسان»: (بزل، ثني، قرم).

(١) أطلاب جمع، مفردها طُلْب: وهي من لغة الكرد، وتعني: الكتيبة، قلَّ عددها أو كثر، يقودها رئيس أعلى. ينظر: «تكملة المعاجم العربية» (٧/ ٦٣).

(٢) في (ن) و(ق): «وبالعدو»، وإخالها تحريفًا.

(٣) في (ن): «أن نرزق مثل هذا اليوم الأبيض»، وما في نسخة المتحف البريطاني يوافق ما في الأصل.

(٤) في (ن) و(ق): «نذهب.. نطفئ».

(٥) في (ن) و(ق): «تجردت نجب»، وهو تصحيف.

القلب، فلم تكن إلا حملةٌ واحدةٌ حتى زَلَّتِ الأقدام عن مقارِّها، وتهاوتِ الرِّقاب، وتساقطتِ الألوية، وفارتْ ينابيعُ الدِّماء، ونَبَتَ الخاناتُ والأمراء أصحابُ الميسرة، وفاءَ بالأيْمان حتى قُتلوا، فلم يَسْلم منهم إلا ثلاثة. وأَسَرَ صاحبَ يَزْد واحدٌ من المُرْتدَّة[1]، فأعطاه صَدْرًا من المال كان في يده، فأطلقه، ووقَعَ بالليل في بئرٍ، فمات.

وقد علم النَّاس يومئذٍ مكان أورخان؛ الذي قتله الإسماعيلية بكَنْجَة[2]، من ميسرة السُّلطان، إذ لم يُرَ لغيره من الخانات أثرٌ مشكور، ولا مقامٌ محمود، وكانت الميسرة مُدَّة حياته منصورة.

ووقف السُّلطان في القلب، وقد تبدَّدَ نِظامُه، وتفرَّدَت عن الحُماة أعلامُه، وأحاط العدوُّ به من كلِّ صوب، فصار المَخْلَصُ من كَثْرة الأخلاط، أضيقَ من سَمِّ الخِيَاط، ولم يبقَ معه إلا أربعةَ عَشَرَ رجلًا من خواصِّ مماليكه. والتفتَ إذ ذاك، وإذا بحامِلِ سَنْجَقه[3] قد ولَّى منهزمًا، فلحِقَه وطعنه، وفتح لنفسه ولمن معه من خواصِّه بحملةٍ على التَّاتار، أفرَجَتْ عن الطَّريق، وخَلَّصَتْ من المضيق. ولمَّا عاين اللعين تاينال ما قد جرى منه، أعجبتْه بسالتُه، فحرَّك المِقْرَعة[4] وراءه، وقال: سَلِمْتَ حيثُ سُقْتَ، فإنَّك رجلُ زمانِك، وكَبْشُ[5] أقرانِك. حكى ذلك أميرٌ من أمراء التَّاتار فارقهم إلى السُّلطان.

ثم إنَّ القلب والميسرة تفرَّقا في الأقطار، فمنهم من وقع إلى

---

(١) تنظر الحاشية رقم: ٥ (ص٨٦) من هذا الكتاب.

(٢) تنظر: (ص١٧٣) من هذا الكتاب.

(٣) السَّنْجَق: لفظ تركي معناه: الرمح، والمراد به هنا الراية؛ لأنها تجعل في أعلاه، وحامله يسمى السنجقدار. ينظر: «صبح الأعشى» (٥/٤٥٨).

(٤) المِقْرَعة: خشبة يضرب بها. «تكملة المعاجم العربية» (٨/٢٣٩).

(٥) تنظر الحاشية رقم: ٩ (ص١٤٣) من هذا الكتاب.

فارس، ومنهم من طرحَتْه الجَفْلة إلى كَرْمان، ومنهم من امتدَّ في رَكْضَتِه إلى أَذْرَبِيجان، ومنهم من أقعده عَدَمُ الدَّواب، وتَلَفُ المراكب والأسباب، فدخل أصفهان. وعادتْ ميمنة السُّلطان بعد يومين من جهة قاشان، معتقِدِين أنَّ السُّلطان[1] بأصْفَهان، وأنَّ الميسرة[2] والقلب أيضًا فائزان. فلما عَلِمَتْ بصورة الحال حَذَتْ[3] حذو الآخرين في التفرُّق[4] والتَّسَحُّبِ أشتاتًا. فلم يُسْمع بمثله مصافّ عجيبًا، لانهزام كلا العَسْكرين، وتفاني أمرائهما، ورَكْضِ الجَفلة ببقاياهما[5] إلى أُخْريات ديارِهما، وأقاصي أقطارِهما.

وخَفِيَ خبرُ السُّلطان ثمانية أيام، فلم يُدْرَ أحيٌّ فيُنْتَظر عَوْدُه، أم لا فيُنْظر فيمن يقومُ بالأمر بعدَه؟ وهمَّتْ عامَّة أصفهان بمدِّ الأيدي إلى عورات النِّساء الخُوَارَزْمية وأموالهم[6]، فاستمهلهم القاضي إلى العيد، ريثما يتحقَّق حال السُّلطان.

وكان المصافُّ في الثاني والعشرين من رمضان سنة خمسٍ وعشرين وست مئة.

وقد كان الأتابَك يغان طايسي[7] لم يخرج من أصفهان يوم

---

(١) في (ن) و(ق): «الميسرة»، وما في نسخة المتحف البريطاني يوافق ما في الأصل.

(٢) في (ن) و(ق): «وأنهم»، وما في نسخة المتحف البريطاني يوافق ما في الأصل.

(٣) «حذت»، ليس في النسخ الخطية خلا نسخة المتحف البريطاني.

(٤) في نسخة باريس: «حذو الآخرين»، قرأها هوداس في طبعته: «جدوا الآخرين»، فغيَّرها محقق (ق): «جد الآخرون»، وتابعه على ذلك محقق (ن)!

(٥) في الأصل: «ببقائهما»، والمثبت من (ن).

(٦) في نسخة باريس وطبعة هوداس: «وأموالهم»، وهي توافق ما في الأصل. غيَّرها محقق (ق) إلى: «وأموالهن»، وتابعه على ذلك محقق (ن)!

(٧) تنظر الحاشية رقم: ٥ (ص١٤٦) من هذا الكتاب.

المصافٌ لمرضه، فاتَّفق القاضي ومَنْ تخلَّف بها من أرباب الدَّوْلة، على أنَّهم إنْ صلوا صلاة العيد ولم يظهرِ السُّلطان أن يُجْلسوه على السَّرير؛ إذ كان فيه من أسباب الرِّياسة، وأدوات السِّياسة، ما استمالتِ القلوبَ إليه، وجَمَعَتِ الأهواءَ عليه. فلمَّا خرج النَّاس يوم العيد إلى المُصلَّى، وَصَلَ السُّلطان، وحضر الصَّلاة، واعتدُّوا بعَوْده عيدًا، وظنُّوا أنَّهم أُنْشِئُوا خَلْقًا جديدًا[1]. وأقام بها عِدَّة أيام إلى أن تراجعت فِرَقٌ من عساكره المتفرِّقة، وجازى السُّلطان أمراء ميمنته بمزيد[2] الرَّواتب والمَرَاتب، وسار بهم مشرِّقًا نحو الرَّي، ليزيد التَّاتار نُفورًا وتبعيدًا. وجَرَّد إلى خُراسان سَراياه، يريد بذلك انتشارَ صِيْت القُوَّة، وبُعْدَ سُمْعةِ القُدْرة، وهيهات، أوِرْدًا[3] وقد نَضَبَ الماء؟ وشَيْمًا وقد أَصْحَتِ السَّماء[4]؟ وأما الملاعين فقد عادوا من أَصْفهان خائفين، وأنهم مع انتصارهم في آخرِ النَّهار قد نالت منهم السُّيوف ما لم تَنَلْه من المُسْلمين، فنكَصُوا على أعقابهم ملعونين[5]، ولم يَخْلُصْ منهم إلى ما وراء جَيْحون إلا قليل[6].

(١) ينظر: «الكامل» (١٢/ ٤٧٦ ـ ٤٧٧)، و«تاريخ جهانكشاي» (٢/ ٧٠ ـ ٧٢).

(٢) في (ن) و(ق): «بجزيل».

(٣) الوِرْد: ورود القوم الماء. «اللسان»: (ورد).

(٤) قرأها محقق (ق): «أوردًا وقد يصب الماء وشمًا. وقد أصبحت السماء وقيرة»! فحرَّف وصحَّف ما شاء له التصحيف والتحريف، وتابعه محقق (ن) في أوهامه. والشَّيْم من شام السحاب والبرق نظر إليه أين يقصد، وأين يمطر. وأصحت السماء: انقشع عنها الغيم. ينظر: «اللسان»: (شيم، صحا).

(٥) في (ن) و(ق): «مغلوبين».

(٦) في هامش الأصل: «بلغ عرضًا».

فصل

في ذِكْرِ سببِ الوَحْشَة بين السُّلطان وأخيه غياث الدِّين وما آلَ إليه أمرُه

سببُها أنَّ غياث الدِّين قَتَلَ ابنَ صاحب هَرَاة، وكان في صُحْبة جلال الدِّين ومنادمته ومن خواصِّه، لمُلاحاةٍ جرت بينهما في مجلس الشَّراب، فلمَّا قام تبعه غياثُ الدِّين، فقتله في داره. وحزن السُّلطان عليه أشدَّ حُزْن، وجَزِعَ لموته جزعًا خرق فيه النَّاموس، وأظهر عليه من القلق ما لم يُظهر الوالدُ على ولده. وراسل غياثَ الدِّين مُغاضبًا، [وقال][1]: إنَّك قد حلفتَ أن تكون صديقًا لصديقي، وعدوًّا لعدوِّي، وهذا المقتولُ أصدقُ أصدقائي، وأحبُّ أوليائي، وكنت أنسى الهمَّ عند لقائه، وأرى السُّرور في بقائه، وقد قتلتَه ظُلْمًا، فما بقيتْ لك الآن في ذِمَّتي يمين، وأنا مع ذلك لا أَحْكُمُ في القضية إلا بالشَّرْع. فحاكِمْ أخاه إلى القاضي، فإنْ شاء اقتصَّ، وإن شاء عفا.

فأظلمَ على غياث الدِّين بهذه الرِّسالة ضوءُ النَّهار، واستخشن بعدها جانب القَرَار. ثم أمر السُّلطان بأن يمضوا بجِنازة المقتول على بابه كرَّتين، تشنيعًا عليه. فصار كالمُحارَب[2] يُصبح خائفًا، ويُمْسي مرعوبًا[3]، إلى أنْ وقف السُّلطان حِذاء التَّاتار بظاهر أصفهان، اغتنم

---

(١) ما بين حاصرتين من (ن).

(٢) في (ن): «فصار كالذي ارتكب حوبًا». والحَوْب: الإثم. «اللسان»: (حوب).

(٣) في (ن): «مذعورًا».

اشتغاله، فنجا برأسه ولم ينجُ. فإنَّه مضى من هناك إلى خُوْزِسْتان، وأرسلَ كريمَ الشَّرف[1] وزيرَه إلى الدِّيوان العزيز[2]، مُعْلِمًا بمفارقته أخاه، ومذكِّرًا بأنَّه[3]: قد جاور الممالك الدِّيوانية زمانًا بالعراق، فأحسن الجِوَار، فلم يقصدها يومًا بهَتْك حُرْمة، وإذالة[4] حِشْمة، إلى أن طلع أخوه من الهِنْد، فرَفَعَ الحِجاب، ورفض الآداب، وشَنَّ الغارات عليها، فقلبها بَطْنًا لظهر. فلو أُعِيْنَ في الوقت على استرجاع ما غُصِب عليه لوُجِدَ في الخِدْمة أطوعَ من النَّعل للابسه، والطِّرْفِ[5] الذَّلول لفارسِه. فأُعِيْدَ رسولُه بوعدٍ جميل، وحظٍّ من الإنعامِ جزيل، وأُصْحِبَ بثلاثين ألف دينارٍ إنعامًا متعجَّلًا[6].

وتسحَّب من هناك إلى ألموت، لمَّا بلغه عودُ التَّاتار، وظهورُ السُّلطان، رُعْبًا لم يَرَ معه أرضًا تَمْنع، ولا عَوْنًا يَدْفع. وأقام بها إلى أنْ وصل السُّلطان إلى الرَّي، مقتفيًا آثارَ التَّاتار بعد الوَقْعة على ما سبق[7]، ففرَّق إذ ذاك عساكرَه[8] محيطةً[9] بتُخُوم ألموت من حدود الرَّي إلى أَبْخاز، فصار غياثُ الدِّين بها كالمخنوق سُدَّت عليه المنافس.

---

(١) في (ن) و(ق): «الشرق»، وهو تحريف.

(٢) يعني: ديوان الخلافة في بغداد.

(٣) في (ن) و(ق): «أيامه»، وهو تحريف.

(٤) في (ن) و(ق): «إزالة»، وهو تحريف، وتنظر الحاشية رقم: ٦ (ص٦٢) من هذا الكتاب.

(٥) الطِّرف: من الخيل الكريم العتيق. «اللسان»: (طرف).

(٦) في (ن) و(ق): «مستعجلًا».

(٧) تنظر: (ص١٨٣) من هذا الكتاب.

(٨) «عساكره»، ليس في (ن)، وما في نسخة باريس وطبعة هوداس يوافق ما في الأصل.

(٩) «محيطة»، ليس في (ق).

ثم ورد رسولٌ من علاء الدِّين؛ صاحبِ ألموت على السُّلطان في التماس الأمان لغياث الدِّين، ليعود إلى الخِدْمة. فأجاب السُّلطانُ إلى ما سألَ من الأمان، وأكَّد قوله بالأَيْمان، وأَصْحَبَ رسولَ ألموت مَنْ يستردُّ غياثَ الدِّين إلى الخِدْمة، وشَكَرَ علاءَ الدِّين على ما ضَمِنَ له من إصلاح ذاتِ البَيْن. وقد كان يخاطبه بالجانبِ الشَّريف، فخاطبه إذ ذاك بالمجلس الشَّريف، تحريضًا له على إتمامِ ما نوى إتمامَه، وإسراجِ ما تولَّى إلجامَه[1].

فحين وصلت الرُّسل إليه نَدِمَ غياثُ الدِّين على ما نواه من العَوْد، ورأى هَيَمَانَه على وجهه في الأقطار أقربَ إلى السَّلامة. فخرج، وأعانه صاحبُ ألموت على الخروج، فوقعتْ عليه طائفةٌ من العساكر المركوزة[2] حولَ ألموت، فلحِقُوه ببعض حدودِ هَمَذَان، وكادوا يُمْسِكُونه، فنجا غياثُ الدِّين إلى كَرْمان، وبها نائِبُه الحاجب بُرَاق.

فسار إليه طمعًا في وفائه، فأوَّلُ قبيحٍ عامَلَه به أنه تزوَّج بوالدته على كُرْهٍ منه ومنها، ثم شَنَّع عليهما بعد حين أنهما أرادا أن يَسْقِياه سُمًّا، فقتلها، وقتل معها الوزير كريم الشَّرف[3]، وجهان بهلوان إيلجي، وحَبَسَ غياثَ الدِّين ببعض القلاع.

واختلفتِ الأقاويلُ في خاتمة أمره، فقيل: إنَّ بُراقًا قتله بعد حين. وقيل: إنَّه تخلَّص من الحَبْس إلى أَصْفَهان، وأنَّ جماعةً من نساء أهلِ القلعة رَثَيْنَ له، فاتَّفقنَ على تخليصه، فجَمَعْنَ الحِبال، وأدْلينَه من القلعة، وقُتل بأصفهان بأمر السُّلطان.

قال: وقد كان صاحبُ ألموت، لمَّا كان السُّلطان بالرَّي في آثار

---

(١) وينظر كذلك: «الكامل» (١٢/ ٤٧٥ ـ ٤٧٦).

(٢) في الأصل: «المذكورة»، والمثبت من (ن).

(٣) في (ن) و(ق): «الشرق»، وهو تحريف.

التَّاتار، أنفذ تسعة من الفدائية، تقرُّبًا إلى السُّلطان، ليُجَهِّزَهم إلى من شاء من أعدائِه، فيقتلوهم. فردَّهم، وقال: ليس يَخفى عليك وعلى غيرك عدوَّنا، فإنْ شئتَ أن تفعل شيئًا، فافعلْ، ولا حاجة إلى التَّعيين، ونحن - إنْ شاء الله تعالى - ما نُحْوِجُك إلى هذه الكُلْفة. فلمَّا خرج غياثُ الدِّين، عقيبَ عَوْدهم من ألموت، مُزاحَ العِلَّة بقَدْرِ الكِفاية من الدَّواب والأسلحة، استوحَشَ السُّلطان من علاء الدِّين لتجهيزه إيَّاه، ورجوعِهِ عمَّا كان قد ضَمِنَ له من رَدِّه وتولِّاه، واستمرَّتِ الوَحْشة إلى أن وجَّهني إليه في سنة ستٍ وعشرين وست مئة، في معاتباتٍ ستأتي[1].

(١) طوى أبو شامة ذكر سفارة النسوي إلى ألموت وما وقع له فيها، لخروجها عن مقاصده في اختصاره، واكتفى بالإشارة إليها هنا، وبما سيأتي (ص١٩٤) من هذا الكتاب.
ثم إن النسوي قال في هذا الموضع إنه توجه إلى ألموت سنة ٦٢٦هـ، وذكر فيما بعد أنه في طريقه إلى ألموت دخل أصبهان في ٢٨ رمضان سنة ٦٢٧هـ، ثم سار منها إلى قزوين، ثم دخل ألموت. تنظر: (ص٣٣٧ - ٣٤٤) من (ق).

فصل

فيما فعله الحاجبُ علي الأشرفي ببلادِ أَذْرَبِيْجان وأَخْذِ السُّلطان خِلاط

كان المذكور نائبَ الملك الأشرف أبي الفتح موسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب[1] ببلاد خِلاط، فكاتبتْه الملكة بنت طغرل؛ زوجة جلال الدِّين، لمَّا خافت من شرفِ المُلك، لمَّا أوقع بينها وبين السلطان، ونَسَبَ إليها أنَّها مساعِدَةٌ لباقي المماليك الأتابكية في النُّهوض إلى رَدِّ المملكة إليهم، وإقامة ولدٍ للملك خاموش صغير. فجاء الحاجب واستصحبها إلى خلاط، كما سبق ذِكْرُه[2].

فانزعج لذلك شرفُ الملك، فسار نحو أَرَّان، وهي مثارُ الأموال، ومُحْتَشَدُ التُّرْكُمان، فأقام بمُوْقان، وفرَّق عُمَّاله في قبائلهم لجِباية الحقوق، فجارُوا عليهم، فضجُّوا، وقالوا: نحمل ما علينا إلى الخِزانة. فرجعوا ووقعوا فيهم عند شرفِ المُلك، فركب شرفُ المُلك من مُوْقان، وكَبَسَ حِلَّة التُّرْكُمان، وساق مواشيهم إلى بَيْلَقَان، وكانت زُهاء ثلاثين ألفَ رأس.

ثم تعرَّض لأذى الملكة بنت الأتابك بهلوان؛ صاحبة نَخْجُوان، وأراد إقامة مملوكٍ لها مقامها، فلم يتمَّ له ذلك. ثم رحل صوب قلعة شَمِيْران، فنزل من عملها بقريةٍ تُسمَّى جورش[3] ـ وكانت القلعة للملك

---

(١) تنظر الحاشية رقم: ٣ (ص١٥٧) من هذا الكتاب.

(٢) تنظر: (ص ١٥٧ ـ ١٥٨) من هذا الكتاب.

(٣) في (ن): «حورش».

الأشرف، تسلَّمَها نُوَّابُه ممن كان بها مُسْتَحْفَظًا[1] من قِبَلِ الأتابَك، قبل أنْ يملكَ السُّلطان أَذْرَبِيْجان ـ فتحصَّن أهلُ جورش لمَّا نزل شرفُ المُلك بهم بقُليعة لهم بُنيت على تلٍّ لدفع أذى غِلْمان العسكر، وكانوا قد انتشروا في البيوت، فحزَّ أهلُ الضَّيْعة رأسَ غلامٍ من الحاشية. وبلغ شرفَ المُلك ذلك، فاستشاط غضبًا، وقضى من جسارتهم[2] عليه عَجَبًا، وآلى أن لا يرحلَ[3] حتى يُخرجهم، فيذيقهم حرَّ الإنكار. فلمَّا أصبح، وأحاط العسكر بالتَّلِّ، وأُخذت النُّقوب من كلِّ جانب، وضجَّتِ الرَّعية يستغيثون، فلا يُغيث، وهو يسمع صياحهم بالأمان الأمان، بأُذُنٍ صمَّاء متغافلة، فإذا بأصواتِ الكُوسات[4] والنَّقارات[5]، وإذا بأعلامٍ صُفْر وراءها أعلامٌ حُمْر، وإذا بالخيلِ أثَرْن نَقْعًا، فوَسَطْنَ جَمْعًا[6]، فعجَّلوه عن إنذار أصحابه، وترتيب أطلابه[7]، فانهزم شرفُ المُلك وعسكرُه، وترك معسكرَه بالأموالِ يفيض. وكانت هذه الكَبْسة من الحاجب عليّ الأشرفي سنة أربعٍ وعشرين وست مئة.

---

(١) المستحفظ: آمر الحصن. «تكملة المعاجم العربية» (٣/٢٤٦).

(٢) في (ن) و(ق): «تجاسرهم»، ولا تصح.

(٣) ما في نسخة باريس وطبعة هوداس، وكذلك نسخة المتحف البريطاني يوافق ما في الأصل. وآلى: «أقْسَمَ»، لم تستقم قراءتها لمحقق (ق) فحذفها، وغيَّر العبارة إلى: «وألا يرحل»، وتابعه على خطئه محقق (ن). وينظر: «المعجم الوسيط» (ص٤٥).

(٤) الكوسات: صنوجات من نحاس شبه الترس الصغير، يُدق بأحدهما على الآخر بإيقاع مخصوص، ويتولى ذلك الكوسي. ينظر: «صبح الأعشى» (٤/ ٩، ١٣).

(٥) النقارات: دُفُوف كبيرة من نحاس تحمل على البغال. ينظر: «تكملة المعاجم العربية» (١٠/ ٢٨٩).

(٦) اقتباس من قوله تعالى: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ [العاديات: ٤ ـ ٥].

(٧) تنظر الحاشية رقم: ١ (ص١٨٠) من هذا الكتاب.

قال: وأوَّل من وصل إلينا[1] من عسكر الشام فخرُ الدِّين؛ شام حلب[2]، وحسام الدِّين خضر؛ صاحب سُرْمارَى، وكان قد نزع يدَه من الطَّاعة حين امتدَّت رايات السُّلطان صوب العراق، محتجًّا بعجزه عن القيام بتكاليفِ شرف المُلك. وقد ظَفِرَ المذكور في هذه الكَبْسَة بآلاتِ مجلس شرف المُلك، ومصاغِهِ الذَّهبية والفِضِّيَّة.

وامتدَّ الوَجِيْف[3] بشرف المُلك والطلبُ وراءه إلى مَرَنْد، فبات بها، ثم رحل عنها صوب تِبْرِيْز. فاستولى الحاجب على خُوَيّ ونَخْجُوان ومَرَنْد. ثم خرج شرفُ المُلك من تِبْرِيْز إلى أَرَّان، فجبى الأموال، وجمع الرِّجال. وكان قد قام بعضُ الغِلْمان الأتابكية، واستحلف أهل بلاد قَبَّان على إظهار شعار الدَّوْلة الأتابكية، ويدعوهم إلى ابنِ الملك خاموش، فلم يزل به شرفُ المُلك حتى أرضاه، ورَدَّه إلى الطَّاعة، وأعطاه أُرْمِيَة.

ثم ساق خلفَ الحاجب عليّ، [فكسَرَ عسكرَه.

وكان السُّلطان قد ساق إلى بلاد خِلاط، فوصل إلى طوغطاب[4]، وقد أخلاها أهلُها، وأقام بها عشرة أيام. والغوارة[5] تضرب يمينًا وشمالًا، وتطأ سهولًا وجبالًا. ووصلت طائفة منهم إلى أَرْزَن الرُّوم، فساقت الغارات من بابها. وورد على السُّلطان أيام مُقامه بطوغطاب][6]

---

(١) في (ن): «إليها»، وهو تحريف.

(٢) وهي كذلك في نسخة باريس وطبعة هوداس، وعنها أخذ محقق (ق)، وقال في حاشيته: كذا في الأصل، ولعلها نائب حلب. فسارع محقق (ن) إلى إثبات ما اقترحه في المتن، مغفلًا ذكر فروق النسخ كعادته! وأما قوله: شام حلب، فهو تقييدٌ لعسكر الشام كيلا يسبق إلى الذهن أنهم عسكر دمشق، والله أعلم.

(٣) الوجيف، من الوَجْف: سرعة السير. «اللسان»: (وجف).

(٤) ذكرها ياقوت برسم: طُوغات. ينظر: «معجم البلدان» (٤/ ٥٠).

(٥) تنظر الحاشية رقم: ٥ (ص١٠٣) من هذا الكتاب.

(٦) ما بين حاصرتين طمسٌ في الأصل بمقدار أربعة أسطر، استعنت على جلائه =

كتابٌ من علاء الدِّين صاحبِ الرُّوم[1]، يُغريه بمعاداة بني أيوب، ويَعِدُه المساعدة عليهم.

فسيَّر أثقاله صوبَ خِلاط على طريق قاقِزُوان، وتقدَّم إلى الخانات والأمراء بالمسير معها على طمأنينة، وذلك لمَّا قضى وطَرَه من تفريق الكُرْج، وبثِّ سوادهم، وإلجائهم إلى أقاصي بلادِهم. ثم لحقهم السُّلطان بعد أن أقضى أشغال ما وراءه من البلاد، فأقام بعسكره على مسيرة يوم من خِلاط. فأتاه رسولٌ من عز الدِّين أيبك؛ نائبِ الملك الأشرف بها، بعد قَبْضِه على الحاجب علي، يبذُلُ الطَّاعة، ويطلبُ استعْطافَه ومُلاطفته، فلم يَزِدْ على جوابِ مُغالِطٍ مُدافع، وعمَّا عَزَم عليه غيرُ راجع[2].

ورحل السُّلطان، فنزلَ على خِلاط، وحاصَرَها، ونَصَب عليها اثني عشر مَنْجَنِيْقًا، كانتِ العَمَّالة منها ثمانية. ووردت رُسُلُ الدِّيوان[3] إليه بالخِلَع، وطلبوا منه أن يرجع عن حصار خِلاط، فما رَجَع. وكان أهل خِلاط قد كفُّوا عن الشَّتيمة أيَّام حضور الرُّسُل، حتى إذا تحقَّقوا أنَّهم ما شُفِّعوا، وحان للرُّسُل أن يرجعوا، استأنفوا فيها كلَّ معنًى غريب، ولفظٍ عجيب.

= بما ورد في (ن)، مستلهمًا منهج أبي شامة في اختصاره بما لاح لي من أثارة حروفه.

(١) هو: كيقباذ بن كيخسرو بن قليج أرسلان، تنظر الحاشية رقم: ١ (ص١٦٦) من هذا الكتاب.

(٢) في (ن): وكان في جملة ما قال: إنك إن أردت مرضاتي فابعث إلي الحاجب عليًّا. فلما وصل الرسول بهذا الجواب قُتل الحاجب علي.
قلت: وينظر في قتله وأسبابه كذلك: «الكامل» (١٢/ ٤٨٥ ـ ٤٨٦)، و«مرآة الزمان» (٢٢/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨).

(٣) أي: ديوان الخلافة ببغداد.

وطالتْ مُدَّة الحِصار، وتَلِفَتِ الأنفسُ بالغلاء، حتى أُكِلَ بها الكلاب والسَّنانير، وذلَّتِ الدَّراهم والدَّنانير. ثم استولى عليها[1]، ونَهَبَ ثلاثة أيام، واستخرجوا دفائنِ أهلها وخباياهم بالمعاصير[2]. ونزلَ مجيرُ الدِّين وتقيُّ الدِّين ابنا العادل[3]، وطلبا الأمان لعز الدِّين أيبك، فأمَّنه، ونزل ثاني يوم نزولهما، فأبى السُّلطان أن يمكِّنَه من تقبيل يدِه، استخفافًا به، وأجابَ بعد مراجعاتٍ أن يمكِّنَه من تقبيلِ رِجْله. ثم قيَّده وحبسه بقلعةِ دزَّمار، ثم قُتِلَ في حَبْسه، لمَّا كان قد أوغر صَدْر السُّلطان بتصريحه بالشَّتْم، وضَرْبِه نوبة ذي القرنين، محاكاةً له، وتشبُّهًا به، إذ كان يضرِبُها اقتداءً بوالده[4]. ثم جاءت رسلُ الدِّيوان تطلبُ إطلاق ابني العادل، فأُطلق أحدُهما، وبقي الآخر[5].

(١) وذلك في أواخر سنة ٦٢٦هـ، كما في (ن)، وذكر ابن الأثير في «كامله» (١٢/ ٤٨٨) أنه استولى عليها يوم الأحد ٢٨ جمادى الأولى سنة ٦٢٧هـ.

(٢) تنظر الحاشية رقم: ٥ (ص١١٩) من هذا الكتاب.

(٣) مجير الدين هو: يعقوب بن الملك العادل، توفي سنة ٦٥٤هـ بدمشق، ودفن بمقبرة والده العادل بالمدرسة العادلية، تنظر ترجمته في: «المذيل على الروضتين» (٢/ ١١٦)، وذكرت ثمة مصادر ترجمته.
وتقي الدين هو: عباس بن الملك العادل، أصغر أولاده، وآخرهم وفاة سنة ٦٦٩هـ، ينظر: «المذيل على الروضتين» (١/ ٣٠٧)، و«ذيل مرآة الزمان» (٢/ ٤٦٠)، و«تاريخ الإسلام» (١٥/ ١٦٧)، و«شفاء القلوب» (ص٣٢٧).

(٤) تنظر: (ص٦٣) من هذا الكتاب.

(٥) أطلق تقي الدين، وبقي مجير الدين بن العادل، كما سيأتي (ص١٩٥) من هذا الكتاب، وينظر: «الكامل» (١٢/ ٤٨٧ ـ ٤٨٨)، و«مفرج الكروب» (٤/ ٢٩٤ ـ ٢٩٧).

فصل

في سَيْرِ السُّلطان إلى الرُّوم ومصافِّه بها وانهزامِهِ من عَسْكر الشَّام والرُّوم ثم كَبْسَةِ التَّاتار له بمُوْقان

كان ملكُ الرُّوم قد أرسل إلى السُّلطان ليكون مساعدًا له[1]، فما أقبلَ عليه، فمالَ إلى الملك الأشرف، وأرسل إليه مع كمال الدِّين كامياز[2] يقول له: ليس [لنا الآن][3] إلا اتِّفاقُ الكلمتين، والذَّبُّ عن الدَّوْلتين. فاتَّفقا، وسار السُّلطان إليهما، فالتقَوْا، فانكسَرَ عسكرُ السُّلطان، وقُتِلَ منهم وأُسِر، ووقع خَلْق في شقيفٍ[4] متهافتين من حَرِّ الطَّلَب، ورَكْضِ الأتراك والعَرَب. وقذفتِ الجَفْلة بالسُّلطان إلى خِلاط، فاستصحبَ ما أمكنه من الخزائن، وأحرق الباقي لقِلَّة الظَّهْر وضيقِ الوقت. وأغذَّ السَّيْر إلى أَذْرَبِيجان[5]، فأقام بخُوَي. وأمَّا وجوه التُّرْك

---

(١) تنظر: (ص١٩٠ ـ ١٩١) من هذا الكتاب.

(٢) في (ن): «كامياس»، وفي طبعة هوداس و(ق): «كامياز»، وكلاهما تحريف، والصواب ما في الأصل. وكمال الدين كامياز هذا هو من كبار أمراء السلطان علاء الدين كيقباذ، قتل سنة ٦٣٥هـ، وأخباره مبثوثة في كتاب «مختصر سلجوق نامة». تنظر: منه (ص٢٢٠ ـ ٢٢٤، ٢٣٦ ـ ٢٣٩، ٢٥٨).

(٣) ما بين حاصرتين من (ن).

(٤) تنظر الحاشية رقم: ٦ (ص١١٠) من هذا الكتاب.

(٥) ينظر: «الكامل» (١٢/ ٤٨٩ ـ ٤٩٠)، و«مرآة الزمان» (٢٢/ ٣٠٣ ـ ٣٠٥)، و«مختصر سلجوق نامة» (ص٢٠٥ ـ ٢١٤).

والخانات فامتدَّ بهم الوَجِيْفُ[1] إلى مُوْقان، ولم يعرِّجوا على السُّلطان.

وأمَّا الملكُ الأشرف فودَّع ملكَ الرُّوم، وسار إلى خِلاط، وأنفذ إلى شرفِ المُلك يطلبُ منه إصلاحَ ذاتِ البَيْن، ويَجْمَعُ الكلمة بين السُّلطان وبينه وبين صاحبِ الرُّوم. فحلفَ السُّلطان للملك الأشرف، وامتنع من الحَلِفِ لملك الرُّوم علاء الدِّين، إلى أن تواترتِ الأخبار بوصول التَّاتار إلى العراق، فحلفَ لملك الرُّوم أيضًا بكَفِّ الأذى عن بلاده[2].

قال المنشئ: وكنتُ قد مضيتُ إلى ألموت رسولًا، وجئتُ بالمال الذي عليهم من الإتاوة. وورد الخبرُ بوصولِ التَّاتار إلى أَسْفَرَايين، وهي كُوْرَةٌ من كُوَرِ خُراسان. وكان الملاعين لمَّا بلغهم عَوْدُ السُّلطان من الرُّوم بجَمْعٍ مفرَّق، وشَمْلٍ ممزَّق، اغتنموا ضَعْفه، وطلبوه، وهجموا الرَّيَّ ليلًا. وورد عليَّ الخبرُ بذلك وأنا بقَزْوِين، فاستظلمتُ ضوءَ النَّهار، وقمتُ من الحياة على شَفَا جُرُفٍ هار[3]، فخاطرتُ في قطع الطَّريق، ووصلت إلى تِبْرِيْز، والسُّلطان بها، والشَّمْس التَّكْرِيتي؛ رسولُ الملك الأشرف عنده، فأحضرتُ رسولَ ألموت والمالَ بحضور التَّكْريتي، فرأى وسَمِعَ ما جرى.

قال: وكان السُّلطان يعتقد أنَّ التَّاتار يشتِّي بالعراق، ولا يتعدَّى إلى أَذْرَبِيْجان إلا في الرَّبيع، ففاجأه خبرُ حركتهم بعد عودِهِ من الرُّوم قبل رَمِّ[4] الشَّعْث، ورأب الصَّدْع، وأَسْوِ ما فشا في عسكره من كُلُوم

---

(١) تنظر الحاشية رقم: ٣ (ص١٩٠) من هذا الكتاب.

(٢) ينظر: «الكامل» (١٢/ ٤٩١).

(٣) اقتباس من قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ﴾ [التوبة: ١٠٩].

(٤) كذا في الأصل، وهو كذلك في نسختَيْ باريس ولينينغراد وطبعة هوداس، وفي (ن): «لمِّ»، وهو الأصح.

الكَسْرة[1]. فرحل من تِبْرِيْز إلى مُوْقان، إذ كانت عساكره بها متفرِّقة في مشاتيها، فودَّع التَّكْرِيتي، وأصحبَه رسولًا من جهته. وأعْجَلَتْه الحادثة عن أن ينظر في أمر حُرَمِهِ وأعزَّته، فيسِيْرُ بهم[2] إلى بعض قلاعه الحصينة، فخلَّفها بتِبْرِيْز، مقدِّرًا أنَّ يومه ذلك آخرُ عهدِهِ بهم. وخلَّف شرفَ المُلك بتِبْرِيْز، وسار فيمن معه من خواصِّه متوجِّهًا إلى مُوْقان، حاثًّا في السَّيْر ليجمع بها متفرِّق عساكرِه، ولم يستصحبْ يومه ذاك من أبناء جِنْسي غيري. وكان مجيرُ الدِّين يعقوب بن الملك العادل يلازمه في الطَّريق، ويكلِّمُه، فرأيتُه يأنسُ به، وإذا غاب عنه تتحدَّر الدُّموع على خَدَّيه، لِمَا يتوهَّمُه من زوال مُلكه، ولمفارقته الأهلَ والأعِزَّة على يأسٍ من الاجتماع بهم، وتركِهِ إيَّاهم بالعَرَاء عُرْضة للأعداء.

ووصل مُوْقان، وأرسل في جَمْعِ عساكره، فهجَمَ التَّاتار عليه قبل اجتماعهم، فانتقض نَظْمُ ذلك التَّقدير، وانحلَّ فَتْلُ ذلك التَّدْبير، ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١]، وذلك بقُرْب قلعة شيركيوت[3] من عَمَل مُوْقان. وكان قد اشتغل بالصَّيْد، وهو في زُهاء ألفِ فارسٍ من خواصِّه، وكان معه بعضُ التَّاتار أسيرًا، فسيَّرَني به إلى القلعة لأُسَلِّمَه إلى متوليها يحتفظ به. ففعلتُ، وهَجَمَ الليل، فبتُّ بها، فلما أصبحتُ قصدتُ المخيَّم، فوجدتُ الخِيام عنهم خالية، والأمتعة مطروحة، والفهود مربوطة، والبُزاة على القفافيز[4] مشدودة.

---

(١) أَسْوُ الجُرْحِ: مداواته. والكُلوم جمع، مفردها كَلْم: الجرح. «اللسان»: (أسا، كلم).

(٢) في (ن): «فيسيرها»، وهو الأشبه.

(٣) في (ن) و(ق): «شيركبوت»، بالباء قبل الواو، ولم أقف عليها.

(٤) القفافيز، جمع، مفردها قفاز: كف من حديد يغطي الساعد، يلبسه البيزار؛ أي: حامل البازي. ينظر: «تكملة المعاجم العربية» (٨/ ٣٤٠)، و«المصباح المنير» (ص١٩٥).

كأنْ لم يكُنْ بينَ الحَجُونِ إلى الصَّفا أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكَّة سامِرُ[1]

فعلمتُ أنَّ المحذور قد وقع، وأن السُّلطان قد كُبِسَ ليلًا، ولستُ أعلم بسلامتِه. فضاقتْ عليَّ الأرضُ بما رَحُبَتْ، وتحقَّقْتُ أنَّ طائفة من التاتار التي كَبَسَتِ السُّلطان قُدَّامي، ومعظمُ عسكرِهِم ورائي. فجئتُ إلى ظاهر بَيْلَقَان، فأُخبرتُ أنَّ شرفَ المُلك بها، ومعه حُرَمُ السُّلطان وخزائِنُه، فلم أر الاجتماع به، احترازًا من نُشْبة تُورِثُ نَدَمًا. وانتهيتُ إلى كَنْجَة، ووصل التَّاتار إليها ثاني يوم وصولي، فأقمتُ بكَنْجَة ثلاثة أشهر، ولم يمكن الوصولُ إلى السُّلطان، وهو بماهان[2]، إذ كانت أَرَّان تموجُ بالتَّاتار موجًا، وكان أهلُ كَنْجة قد ظهر فيهم أمارات الشَّرِّ، فلمَّا خرجتُ منها قُتِلَ مَنْ بها من الغُرَباء، وحُملت رؤوسهم إلى التَّاتار، وأظهروا العِصْيان[3].

(١) بيت قديم من الأبيات السائرة، ينسب إلى رجل من جُرْهم قاله حين أزاحت خزاعة جرهمًا عن مكة المكرمة، واختلف في اسمه، فقيل: عمرو بن الحارث بن مُضاض الجُرْهمي، وقيل: الحارث بن مُضاض الجرهمي، وقيل: مُضاض بن عمرو الجرهمي، ويليه قوله:

بلى نحن كُنَّا أهلَها فأبادَنا صروفُ الليالي والجُدودُ العواثِرُ

ينظر: «اللسان»: (حجن)، و«المعمَّرون والوصايا» (ص٨)، و«معجم البلدان» (٢/ ٢٢٥)، و«التذكرة الحمدونية» (٦/ ٤٣).

(٢) في الأصل: «بهامان»، وهو تحريف، والمثبت من (ن).

(٣) في الأصل: «بلغ عرضًا».

فصل

في حال السُّلطان بعد الكَبْسَةِ المذكورة وقَتْلِهِ لوزيره شَرَفِ المُلك

أرسل مجيرَ الدِّين إلى أخيه الملك الأشرف[1] يُعْلمه أنَّ الذي حَدَثَ من حادثة التَّاتار ليس مما يختصُّ به، فإنَّ الشَّرَّ قد طار شَرَارُه، والبلاءَ قد تضرَّمت نارُه، وليس يردُّهم إلا اجتماعُ الأمة واتِّفاق الكلمة. وهيهات، هل مِنْ راق، وقد بلغتِ التَّراقي[2]، وظنَّ أنَّه الفِراق، والتفَّتِ السَّاق بالسَّاق[3]؟ ومن العجائبِ انتصارُه بقلبٍ جَرَحَه بصوارمِهِ، واستظهارُه بجناحٍ بتَّ[4] بيدِه مصفوفَ قوادِمِه!

وساق السُّلطان إلى نهر أرس، وأوْهَمَ التَّاتار أنَّه قطع النهر صوب كَنْجَة، وعَطَفَ عَطْفةً إلى أَذْرَبِيجان، فأقام [بماهان][5]؛ وهي فضاءٌ كثيرة الوَحْش من أنواع الصَّيْد، فشتَّى بها. فلمَّا تقضَّى الشِّتاء جاءَه الخبر أنَّ التَّاتار قد رَكِبُوا لقَصْده، وأُشير عليه بالعَوْد إلى أَرَّان، إذ كانتِ العساكرُ متحصِّنة بجبالها وآجامها، ولكثرة التُّرْكمان بها.

---

(١) في الأصل: «أرسل مجير الدين إلى الملك الأشرف إلى أخيه يعلمه»، والمثبت من (ن).

(٢) في الأصل: «التراق»، والمثبت من (ن).

(٣) اقتباس من قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ۝٢٦ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ۝٢٧ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ۝٢٨ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ [القيامة: ٢٦ ـ ٢٩].

(٤) بت الشيء: قطعه قطعًا مستأصلًا. «اللسان»: (بتت).

(٥) ما بين حاصرتين من (ن).

فرحل صوبَ أَرَّان، فلمَّا قارَبَ جِيْزَان، وكان شرفُ المُلك قد عَمَرَ قلعتَها حين فرَّق بيوتَ السُّلطان وخزائِنَه في قلاع حسام الدِّين قليج أرسلان ـ وهو أكبرُ أمراء التُّركمان بأَرَّان ـ واختار لحُرَمِه منها قلعة سِنْد سُوراخ. فلما فرَغَ خاطِرُه من جهة أولئك تسحَّبَ صوب جِيْزَان، فَعَمَرَها، وجاهر بالعِصْيان، واعتقد عند هُجوم التَّاتار وكَبْسِهم السُّلطان بمُوْقان بأنَّ تلك الجَفْلة تنتهي بالسُّلطان إلى بلادِ الهند، وأنَّ الوَقْعة تحول بينه وبين الجُنْد.

فرأى مكاتبة المُلوك وإصلاحَ حالِهِ مُهمًّا[1]، على أنْ يملكَ أَرَّان وأَذْرَبِيجان لنفسه، ثم يُقيم الخُطبة بها لهم. فكاتَبَ علاءَ الدِّين كَيْقُباذ، والملكَ الأشرف، باذلًا لهما حُسْن الطاعة، وناعتًا سُلطانه في كُتُبه بالمَخْذول الظَّالم. فوقَعَ بعضُ كُتُبه بيد السُّلطان. وانضاف إلى ذلك قَبْضُه على كلِّ مَنْ عَبَرَ بحدود قلعته من أصحاب السُّلطان في تلك الجَفَلات، ووَضْعُه عليهم المعاصير[2] حتى فرَغَت أكياسُهم، وظهر إفلاسهم.

وكاتَبَ حسامَ الدِّين قليج أرسلان يأمره بالاحتراز على ما عنده مِنْ حُرَمِ السُّلطان وخزائنه، وأن السُّلطان إن حَضَرَ بنفسه لا يُسَلِّمُها إليه.

فلمَّا قارَبَ السُّلطان قلعته راسله في النُّزول، مستبطئًا له، متغافلًا عمَّا كان من سيئاته. فنزل للوقت، والكَفَنُ على رقبته، ولو ثَبَتَ تلك الليلة كان السُّلطان يرحلُ بُكْرةَ غدٍ لعلمه بأنَّ التَّاتار طالبةٌ [له][3].

فلما قارَبَ السُّلطان قلعة جاربيرد؛ وهي من مُضافات أَرَّان، عَزَم على أن يحبس شرفَ المُلك بها، فركب إليها لينظر في حالها، وعَلِمَ أنَّ شرف المُلك لا يتخلَّف عنه. فلما صَعِدَ القلعة صعد معه شرفُ الملك، واجتمع السُّلطان بواليها، وهو شيخٌ تركيٌّ ظالم وشرير. وتقدَّم إليه سِرًّا

---

(١) في (ن): «معهم».

(٢) تنظر الحاشية رقم: ٥ (ص١١٩) من هذا الكتاب.

(٣) ما بين حاصرتين من (ن).

بأنَّه إذا نزل يمنعُ شرفَ المُلك من النُّزول، ويحبِسُه بها ويقيِّدُه. وكان يخشى أنَّه إن لم يحبِسْه أنْ[1] يفارِقَه إلى بعض الجهات، لِمَا عنده من التوهُّم، فيثيرُ فِتْنة، وكان يقول: نَحْبِسُه إلى أنْ يفرُغَ الخاطر ممَّا دَهَمَ من أمر التَّاتار، ثم نخرجه، فنفوِّض إليه الوِزَارة من غير تقريرِ عُشْر البلاد، بل نقرِّر باسمه كلَّ شهر ألفَ دينار أُسْوة بوزير الخليفة، ولا نطلق يدَه في الإطلاقات. فحُبِسَ بها، وكَثُرت شكاوى النَّاس من ظُلْم والي القلعة، فخاف، فتواطأ مع شرفِ المُلك أن يُظْلقه، ويتوازرا على الخِلاف، ويصالحا الكُرْج. وبلغ السُّلطان ذلك، فأرسل إلى الوالي ابنَه، وكان من جُمْلة بَهْلوانية[2] السُّلطان، يقبِّح له فِعْله، وأنَّ الأمر ليس كما وَقَعَ له من تغيُّر السُّلطان عليه. فرجع الغلام، وأخبر أنَّ أباه قد عاد عمَّا كان نواه. فقال السُّلطان: مِصْدَاق هذا الحديث أن يبعث إليَّ برأس شرفِ المُلك. ووجَّه صُحْبة ابنِ الوالي خمسةً من السِّلاح دارية[3]، فأهلكوه.

قال: وحدَّثني فرَّاشٌ له كان يخدِمُه أيَّام حبسه، قال: لمَّا دخلوا عليه، وعَلِمَ أنَّهم قاتلوه، استمهلهم ريثما يتوضَّأ، فيُصَلِّي رَكْعتين. قال: فسخَّنْتُ له ماء، ولم يَهُن عليه أن يغتسل بماءٍ بارد، على عِلْمه أنَّه بعد ساعةٍ هالك. فاغتسل، وصلى رَكْعتين، ثم قرأ جُزْءًا من القرآن، ثم أَذِنَ لهم في الدُّخول، وقال: هذا جزاءُ من يعتمد على قول الكَفَرة. فقالوا

---

(١) «أن»، ليس في (ن) و(ق).

(٢) البهلوان: كلمة فارسية تعني: مصارع، مبارز. ينظر: «تكملة المعاجم العربية» (١/ ٤٦٨).

(٣) السلاح دار: لقب على الذي يحمل سلاح السلطان، ويتولى أمر السلاح خاناه، وهو مركب من لفظين، أحدهما عربي وهو السلاح، والثاني فارسي وهو دار، ومعناه ممسك، ويكون المعنى: ممسك السلاح. ينظر: «صبح الأعشى» (٥/ ٤٦٢).

له: ماذا تختار من[1] الخَنْق أو[2] السَّيْف؟ فقال: السَّيف أَوْلى. فقالوا: إنَّ المُلوك لا تُقتل بالسَّيف، والخنق أهونُ عليك. فقال: شأنكم وما تريدون. فخنقوه وخرجوا حتى يَبْرُدَ، ثم يدخلوا فيقطعوا رأسه، ويحملوه إلى السُّلطان. فلمَّا دخلوا عليه وجدوه جالسًا وقد أفاق، فضربوا عنقه، وانتقل إلى جوار ربِّه. ومحا السَّيف ذنوبًا، وكَشَط من الزَّلَّات ما كان مكتوبًا[3]، فزال طَوْدُ المُلك بزواله، وزال عن مَرَاسِيْه بزِلْزاله.

وكان جَوَادًا كريمًا، مُحترمًا للعلماء والزُّهَّاد، رقيقَ القلب، يبكي بكاء شديدًا إذا وُعِظ أو قُرئ القرآن. وقد كَثُرَ[4] في زمانه الإدرارات حتى كادت تستغرق أموالَ الدِّيوان، لولا أن السُّلطان جذب عِنانه في ذلك في آخرِ عهده.

ومن عاداتهم إمضاءُ الإدرارات القديمة حتى إدراراتِ أعدائهم، ولا يرَوْنَ قَطْعَها إلا بِدْعة مُنْكرة. فكانت إدرارات محمود بن سُبُكْتِكِين[5]، ومَنْ بعده من بني سَلْجُوق جاريةً إلى زمان السُّلطان، يتوارثها النَّاس بناءً على ما أسَّسُوه، وسَقْيًا لِمَا غَرَسوه.

---

(١) وهي كذلك في نسخ المتحف البريطاني وباريس ولينينغراد وطبعة هوداس، حذفها محقق (ق)، وتابعه على حذفها محقق (ن)!

(٢) في الأصل: «و»، والمثبت من (ن).

(٣) في هامش الأصل بخطِّ ابنِ العلائي: حاشية، مظالم العباد لا يمحوها السيف.

(٤) وكذلك هي في نسخة باريس وطبعة هوداس، غيَّرها محقق (ق) إلى: كثرت، وتابعه محقق (ن).

(٥) ولقبه يمين الدولة، وهو من عظماء الفاتحين في تاريخ الإسلام، ولي غزنة بعد وفاة أبيه سبكتكين سنة ٣٨٧هـ، وتوسع في فتوحاته حتى ضمت دولته عند وفاته سنة ٤٢١هـ معظم إيران وبلاد ما وراء النهر وشمالي الهند. ولمحمد بن =

فكان[1] ما جدَّد شرفُ المُلك في زمانه يزداد على إدرارات المتقدِّمين. وقد أتاه الشيخ الفقيه زين الدِّين أبو حامد القَزْوِيني، وهو بَيْلَقَان، فوعظه بكلماتٍ أبكته، ثم قال له: قد وَلَدَتْ لي بنتُ إمام الدِّين المعروف برافعان[2] ـ وكان أفقه أهلِ العراق ـ ثلاثَ بناتٍ وابنين، وقد بلغوا النِّكاح، وليس عندي شيءٌ من المال أجهِّزُهم به. فأطلقَ لكلِّ بنتٍ على مال الدِّيوان بقَزْوين مئتي دينار، وكتب لابنَيْه توقيعًا بمئة دينار إدرارًا، يتناولانها كلَّ سنة. فلمَّا رأى الشيخ سَعَة الصَّدْر وسهولة الأمر، قال: فما ذنبُ الشَّيخين الوالد والوالدة؟ فكتبَ لهما بمئة دينارٍ أخرى إدرارًا.

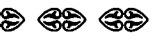

= عبد الجبار العُتْبي، المتوفى سنة ٤٢٧هـ كتاب «اليميني»، وهو في سيرته وأخباره، طبع غير مرة، وينظر في ترجمته: «وفيات الأعيان» (٥/ ١٧٥ ـ ١٨٢)، و«سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٤٨٣ ـ ٤٩٥).

(١) في (ن) و(ق): «فكاد»، وما في نسختَيْ المتحف البريطاني ولينينغراد يوافق الأصل.

(٢) إمام الدين هو: عمدة المحققين، وشيخ الشافعية الجليل أبو القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي القزويني، ويعرف في بلاده بإمام الدين رافعان، ورافعان بالعجمي مثل الرافعي بالعربي، له مصنفات عدة، من أشهرها «كتاب التدوين في ذكر أهل العلم بقزوين»، والشرح الكبير، المسمى «الفتح العزيز في شرح الوجيز»، شرح فيه كتاب «الوجيز» للغزالي. ولد سنة ٥٥٥هـ، وتوفي سنة ٦٢٣هـ، وكان السلطان جلال الدين قد قبل يده بعد فتحه تفليس إجلالًا له، تنظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٢٢/ ٢٥٢ ـ ٢٥٥)، و«طبقات الشافعية» للسبكي (٨/ ٢٨١ ـ ٢٩٣).

فصل

فيما جرى للسُّلطان بعد ذلك إلى أن مات

سار السُّلطان إلى كَنْجَة، فمَلَكها ثانيًا، وقتل رؤوس الفِتْنة بها، وأقام بها سبعةَ عشرَ يومًا. وأجمعوا على الاستنجاد بالملك الأشرف موسى على التَّاتار. فسار إلى خِلاط من طريق كيلكون، والغارات تقلِبُ بلاد الكُرْج، والسُّلطان يتابع رُسُله إلى الأشرف مستنجدًا، والعقل يُنْكر ذلك، فالمُسْتعين بذي ثار كالمستجير من الرَّمضاء بالنَّار. فتوجَّه الأشرفُ إلى مِصْر، وأقام بها، ولم يمكِّنوا رُسُلَ السُّلطان من المُضي، وكُتُبُ الأشرف ترِدُ عليهم: بأنَّنا واصلون بعسكر مِصْر خِدْمة للسُّلطان.

مـــواعـــيـــدٌ كـــمـــا لاح سَـرَابُ الـمَـهْـمَـهِ الـقَـفْـرِ[1]
فـــمـــن يـــومٍ إلـــى يـــومٍ ومـــن شـــهـــرٍ إلـــى شـــهـــرِ

ثم ورَدَ عليه كتابٌ من مختصِّ الدِّين؛ أكبرِ رُسُله الموجَّهين إلى الأشرف يُوئِسُه من إنجاده، ويقطعُ رجاءَه من إسعاده، وأنَّه لا يرجِعُ من مِصْر إلا بعد انفصال أمرِ السُّلطان مع التَّاتار على إحدى الحالتين، فلينظرِ السُّلطانُ في شُغْله، غيرَ منتظرٍ جوابَ رُسُله.

قال المُنْشئ: فأرْسَلني إلى الملك المُظَفَّر شِهاب الدِّين غازي بن العادل[2]، يستحضِرُه بنفسه وعسكره، ومَنْ حوله من الملوك مثل صاحبَيْ

---

(١) المهمه: الفلاة، لا ماء بها ولا أنيس. «اللسان»: (مهه).

(٢) هو: من ملوك الأيوبيين، وأخباره مبثوثة في تواريخ ذلك العصر، أهمها «مرآة الزمان» لسبط ابن الجوزي، و«مفرج الكروب»، لابن واصل الحموي، وكانت =

آمِد ومارِدِين، وقال: عند حضورِهم لا حاجةَ إلى المَلك الأشرف. وقال لي: قل للمَلك المظفَّر: هلمَّ إليَّ مساعدًا، فإنْ نَصَرَني الله عليهم مَلَّكتكَ من البلاد ما ترى خِلاط ونواحيها في قُبالتها نَزْرًا.

هذه كانت رسالتُه، والخاناتُ والأمراء حضورٌ، ولمَّا خلا المجلس، قال لي: نحن ما نشُكُّ في أنَّ هؤلاء أبدًا لا يُنْجدونا، ولا يختارون ظهورَنا على مُزاحِم، فلا تنفع الشَّكوى إلى غيرِ راحِم، غيرَ أنِّي أفعلُ هذا لأجلِ النَّاس، وتطييب قلوبِ العساكر. فذكَرَ أنَّه رَجَعَ من عندهم بغيرِ فائدة.

ووقعتْ بطاقةٌ من خِلاط إلى مَيَّافارِقِين مُخْبرة بأنَّ التَّاتار قد عبروا على بركري[1]، كاشِفين أخبارَ السُّلطان، سالكين آثارَه، فقال لي الملك المُظَفَّر: الرَّأي أنْ تقيمَ عندي. فأَبَيْتُ، وقلتُ له عند الوداع: لا بُدَّ من إحدى الحالتين، إما للسُّلطان أو عليه، وأيًّا ما كانت تُعْقِبُكُم نَدَامة، وتُورِثُكُم مَلامة. قال: كيف ذاك؟ قلتُ: إنْ كانت للسُّلطان، وقد قعدْتُم عن نُصْرته، فلو بذلتم خزائنَ الأرض في طلب مرضاتِه لم ينفع، وإن كانت عليه فستذكرونَه حين تُبلون بمجاورة التَّاتار. قال: كلامٌ لا أشكُّ في صِحَّته، لكني محكومٌ عليَّ؛ يعني: من جهة إخوته[2].

وكان السُّلطان قد نزل ببلد حاني، فجِئْتُه بها، فاستحضَرَ الخانات

= وفاته سنة ٦٤٥هـ، وتنظر ترجمته في: «مرآة الزمان» (٢٢/٤٠٣ ـ ٤٠٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٢٢/١٣٣ ـ ١٣٤)، و«شفاء القلوب في مناقب بني أيوب» (ص٣٢٢ ـ ٣٢٤).

(١) في الأصل: «بيكري»، وهو تحريف، والمثبت من (ن). وبركري على الطريق بين خوي وخلاط، ينظر: «سفرنامة» (ص٣٩).

(٢) أي: الكامل محمد والأشرف موسى، وكان الكامل هو سلطان البيت الأيوبي، لا يبرم أمر دون موافقته، ينظر: «مفرج الكروب» (٣/٢٦٩).

والأمراء، واستعادَ جوابَ الرِّسالة، فقرأتُ عليهم آياتِ اليأس، وأخبرتُهم أنَّهم يضربون في حديدٍ بارد، فما من مُنْجِدٍ ولا مساعد. فاتَّفقوا على أنَّهم يتركون أثقالهم بدِيار بَكْر، ويتجرَّدُون خِفافًا بالأعِزَّة من نسائهم وأولادهم إلى أَصْفهان. فورَدَ رسولُ صاحبِ آمِد يُطْمع السُّلطان في مِلك بلاد الرُّوم، فعطَفَ صوبَ آمِد، ونزل بقُرْبها، فكان مَثَلُه كالغريقِ يتعلَّق بما تَصِلُ إليه يدُه. وشرب تلك الليلة، فَسَكِرَ فناله[1] من سُكْر خُماره دُوارُ الرَّأس وتقطُّعُ الأنفاس، فلا صحوَ إلا إذا نَفَخَ إسرافيل في الصُّور، وبُعثر مَنْ في القُبور.

وأتاه وَهْنًا[2] من الليل شخصٌ تُرْكماني، وقال: إنِّي رأيتُ في منزلتك التي كنتَ بها أمسِ نازلًا عسكرًا، زِيُّهم غيرُ زِيِّ عسكرك، بخيلٍ أكثرُها شُهْب. فكذَّبه، وقال: هذه حيلةٌ ممَّن لا يختار توسُّطنا في هذه البلاد. وقضى بنشوتِهِ ناشئة اللَّيل[3] إلى قريب الفجر، وأحاط التَّاتار به وبعَسْكره مُصْبِحين، فتفرَّقوا أيدي سبأ في الأقطار.

وكنتُ قد سهرتُ تلك الليلة للكتابة، وغَلَبني النَّوم في آخرها، فلم أشعُرْ إلا بالغلام يقول: قُمْ فقد قامتِ القِيامة. فلمَّا استويتُ على الفرس رأيتُ أطلابَ[4] التَّاتار قد أحاطت بخركاه[5] السُّلطان، وهو نائمٌ سكران، فوصل طائفةٌ من عسكره، فكَشَفَهم عن الخركاه، ودخل بعضُ الخواصِّ، فأخذ بيده فأخرجَه، وعليه طاقيةٌ بيضاء، وأركبه الفرس فَسَاق. ولم يذكر ذلك الوقت إلا زوجتَه ملكة فارس بنت الأتابَك سَعْد،

---

(١) في الأصل: «فيا له»، وضبب فوقها، والمثبت من (ن).

(٢) الوهن: نحو نصف الليل. «اللسان»: (وهن).

(٣) ناشئة الليل: أوله. «اللسان»: (نشأ).

(٤) تنظر الحاشية رقم: ١ (ص١٨٠) من هذا الكتاب.

(٥) تنظر الحاشية رقم: ٢ (ص٦٢) من هذا الكتاب.

فأمر أمير شِكَار[1] بالمسير في خِدْمتها إلى حيثُ ترميها الجَفْلة.

فلما رأى أنَّ أطلابَ التَّاتار تتبعه مُجِدَّة في الطلب، أمر أُرخان أن يفارِقَه بمن معه من العَسْكر، ليتبَّع التَّاتار سوادَه، ويخْلُصَ هو بمُفْرده، ففعل. قال: وقد أخطأ في ذلك، فإنَّ أرخان لمَّا فارقه انضوى إليه خَلْقٌ، ووصل إلى إرْبِل، ومعه أربعةُ آلافِ فارس، وساق إلى أَصْفهان، ومَلَكها زمانًا إلى أن قصدَها التاتار. قال: وأرخان إلى سنتنا هذه سنةِ تسعٍ وثلاثين وست مئة[2] باقٍ محبوسٌ بفارس.

وحدَّثني غيرُ واحدٍ ممَّن كان مع السُّلطان، أنَّ السُّلطان لمَّا فارق أرخان ساق إلى باشورة[3] آمِد، والطَّلبُ وراءَه. وكانت آمِد قد تشوَّشت، فظنَّ أهلُها أنَّ الخُوَارَزْمية أرادوا الغَدْر بهم، فردُّوه. فلما أَيِسَ من الدُّخول إليها تياسَرَ[4] [عنها][5]، وانضوى إليه زُهاء مئةِ نَفْس، ثم رَمَتْه الجَفْلة بهم إلى حدودِ جزيرةٍ، وبها الدَّرْبَنْدَات المنيعة، وكانوا يمانعونَه في العُبور، ووقفتِ الطَّمَّاعة[6] في المضايق، فقيل له: إنَّ أسلمَ الطُّرُق اليوم طريقٌ سلكه التَّاتار إلينا. فرجع، ووصل إلى قرية من قرى مَيَّافارِقِين، فنزل ببدَرها، وسُيِّبت الخيلُ لتستوفيَ شِبَعَها. ثم ركب، فأقام بالبَيْدر يسترُه الليل حتى طلع عليه التَّاتار عند الفجر،

---

(١) أمير شكار: لقب على الذي يتحدث على الجوارح من الطيور وغيرها وسائر أمور الصيد، وهو مركب من لفظين: أحدهما عربي وهو أمير، والثاني فارسي وهو شكار، ومعناه: الصيد، فيكون المراد أمير الصيد. «صبح الأعشى» (٥/ ٤٦١).

(٢) يستفاد من هذا الخبر معرفة سنة تأليف النسوي كتابه.

(٣) تنظر الحاشية رقم: ٣ (ص١١٩) من هذا الكتاب.

(٤) تنظر الحاشية رقم: ٤ (ص٨٠) من هذا الكتاب.

(٥) ما بين حاصرتين من (ن).

(٦) الطماعة جمع، مفردها طمَّاع. «تكملة المعاجم العربية» (٧/ ٨٠).

فركب للوقت، وعُوجل أكثرُ الجماعة عن الرُّكوب، فقُتلوا. وأخبرَهم مَنْ أُسِرَ من رُفقائه أنَّ هذا هو السُّلطان.

فجدُّوا إذ ذاك في طلبه، وساقَ وراءَه خمسة عشر فارسًا منهم، ولحقه فارسان منهم، فقَتَلَهما، وأيِسَ الباقون من الظَّفَرِ به، فرجعوا. ثم صَعِدَ الجبل، وكان الأكراد يحفظون الطرق لسُحْتٍ يجمعونه، فأخذوه، وسَلَبوه كعادتهم بسائر مَنْ ظَفِرُوا به. فحين همُّوا بقَتْله، قال لكبيرهم سِرًّا: إنِّي أنا السُّلطان، فلا تعجلْ في أمري، ولك الخِيار في إحضاري عند الملك المُظَفَّر شهابِ الدِّين فيُغْنِيك، أو إيصالي إلى بعض بلادي، فتصير مَلِكًا. فرغب الرَّجل في إيصاله إلى بلاده، ومشى به إلى عَشِيْرته وحِلَّتِه، فتركه عند امرأته، ومضى بنفسِهِ إلى الجبل لإحضارِ خيله.

فبينا الرَّجل غائبٌ إذ وافى شخصٌ كُرْدي من السَّفِلة والأراذل، وبيده حربة، فقال للمرأة: ما هذا الخُوَارَزْمي؟ وهلَّا تقتلونه؟ فقالت: لا سبيلَ إلى ذلك، وقد أمَّنه زوجي، وعرفَ أنَّه السُّلطان. فقال الكُرْدي: كيف تصدِّقونه أنَّه السُّلطان؟ وقد قُتِلَ لي بخِلاط أخٌ خيرٌ منه. فضربَه بالحَرْبة ضربة أغنتْ عن الثانية، وألحقتْه بالنفوس الفانية. فكم في أقاليم الأرض له من وقائع فات فيها أنيابَ المنايا، وتخلَّصَ من أَشْدَاق البلايا، حتى إذا حُمَّ القضاء كان هلاكُ الأسد الغالب على أيدي الثَّعالب[1].

وبعثَ الملكُ المُظَفَّر إلى ذلك الجبل بعد مُدَّة، وجمع سَلَبَ

---

(١) وينظر في خبر مقتله كذلك: «مرآة الزمان» (٢٢/ ٣١١ ـ ٣١٢)، ويبدو أن بعض معاصري جلال الدين لم يدروا بما آل إليه أمره بعد هزيمته من التاتار، ولم يدروا بمقتله على يد رجل كردي، فقد ذكر ابن الأثير، وهو المتتبع لأخباره، أن جلال الدين إلى آخر سنة ٦٢٨هـ لم يظهر له خبر، وكذلك إلى سلخ صفر سنة ٦٢٩هـ لم نقف له على حال، والله المستعان. وختم بذلك تاريخه العظيم، ينظر: «الكامل» (١٢/ ٥٠٤)، و«مفرج الكروب» (٤/ ٣٢٣).

السُّلطان، والفرسَ الذي كان تحته، والسَّرْج والسَّيف المشهور، والعُوذة[1] التي كان يشدُّها في وسط شَعْره. فلمَّا حضرتْ شَهِدَ كلُّ مَنْ حضر مِنْ خواصِّه الذين كانوا معه في تلك الأيام بأنَّ هذا سَلَبُه. وبَعَثَ، فأُحضرتْ عِظامُه ودُفنت.

قال: وكان أسمر قصيرًا، تركيَّ الشَّارة والعبارة، وكان يتكلم بالفارسية أيضًا. وكان شُجاعًا حليمًا، لا غضوبًا ولا شتَّامًا، وَقُورًا لا يضحك إلا تبسُّمًا. وكان يكتبُ إلى الخليفة مبدأ طلوعِه من الهند، والوَحْشة قائمة، حذوًا على منوال أبيه: خادمه المطواع مَنْكَبُرْتي ابن السلطان محمد.

ولمَّا خُلعت عليه خِلْعة السَّلطنة بخِلاط كتب إليه: عبده. وكان يكتب إلى علاء الدِّين كَيْقُباذ وملوك مصر والشام أجمع: اسمه واسم أبيه منعوتًا بالسُّلطان. ولم يكتب شيئًا مما جرت به العادة: من خادمه أو محبه. وكانت علامته على تواقيعه: النُّصْرة من الله وحده. فإذا كاتبَ بدرَ الدِّين؛ صاحب المَوْصل[2]، وأشباهه يعلِّم هذه العلامة بأحسن خط. وكان يشُقُّ قلم العلامة شِقَّين لتجيء غليظة.

وقد خاطبوه من الخليفة مبدأ طلوعه من الهند: الجناب العالي[3] الخاقاني. ولم يزل يقترحُ عليهم خِطابه بالسُّلطان، فلم يُجَبْ إلى ذلك،

---

(١) في (ن) و(ق): «العودة»، وهو تصحيف. والعوذة: التميمة. ينظر: «المعجم الوسيط» (ص٦٦٧).

(٢) هو: بدر الدين لؤلؤ، من كبار مماليك بيت زنكي، استولى على حكم الموصل بعد وفاة القاهر عز الدين مسعود صاحبها سنة ٦١٥هـ، وصاية لولديه وباسمهما، وظل يحكمها حتى وفاته سنة ٦٥٧هـ، ينظر: «الكامل» (١٢/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٢٣/ ٣٥٦ ـ ٣٥٨)، و«المذيل على الروضتين» (١/ ٣٠٠، ٢/ ١٣٧).

(٣) في (ن): «الرفيع».

إذ لم تجر العادةُ مع من تقدَّمه من كبار الملوك. فلمَّا كَثُرَ إلحاحُه خاطبوه حين حُملت إليه خِلَعُ السَّلْطنة: بالجناب العالي الشَّاهِنْشاهي[1].

وكانت واقعتُه في منتصف شوَّال سنة ثمانٍ وعشرين وستِّ مئة.

قال: وكان والدُه السُّلطان الكبير مدفونًا بالجزيرة على ما سبق ذكره[2]، فسنح لجلال الدِّين، وهو محاصرٌ خِلاط[3]، أن يبنيَ له مدرسة بأَصْفهان، فينقلَ إليها تابوته من الجزيرة. فسيَّر مقرَّب الدِّين، أمير مهتران[4]؛ وكان مقدَّم الفَرَّاشية إلى أصفهان ـ وهو الذي تولَّى غُسْل السُّلطان الكبير ـ ليبني بها مدرسة، فيها قُبَّة للتَّابوت. وكاتَبَ عمَّته شاه خاتون بنت تُكُش[5]؛ وهي صاحبة سارية من أعمال مازَنْدَرَان بأنْ تركب بنفسِها وبمن بمازَنْدَرَان من الملوك والأمراء والصُّدور، فتنقل التابوت من الجزيرة إلى قلعة أَرْدَهْن؛ وهي أحصن قلاعِ الأرض، إلى أن يتمَّ عِمارةَ المدرسة بأصفهان، فيُنْقل إليها.

قال: ولعَمْري كنتُ أكتبُ هذا التوقيع كارهًا، ولآرائهم مُسَفِّهًا، إذ كنتُ أعرف أن جُثَّته ـ برَّدها الله بالنَّسيم ـ ما سَلِمَتْ من إحراق التَّاتار إلا لتعذُّرِ الوصول إليها. ولقد أحرقوا عِظام كلِّ سُلْطانٍ مدفون بأيِّ أرضٍ كان، معتقدين بأنَّهم بنو أبٍ يجمعهم أصلٌ واحد، حتى إنَّ عظام يمين الدَّوْلة محمود بن سُبُكْتِكِين[6] ـ رحمة الله عليه ـ قد أُخرجتْ من قبره بغَزْنة، فأُحرقت. وكان الأمرُ كما خمَّنته، فإنَّ التَّاتار لما فَرَغَت

(١) في الأصل: «الشاهنشاني»، والمثبت من (ن).
(٢) ينظر: (ص٩٨) من هذا الكتاب.
(٣) ينظر: (ص١٩١) من هذا الكتاب.
(٤) في (ن): «مهتر مهتران».
(٥) في الأصل: «شنكش»، والمثبت من (ن).
(٦) تنظر الحاشية رقم: ٥ (ص٢٠٠) من هذا الكتاب.

من جلال الدِّين بحدودِ آمِد كما مضى، حاصرتِ القلعة المذكورة، فأخرجتِ الجُثَّة، وسُيِّرت إلى الخاقان[1]، فأحرَقَها.

هذا آخرُ ما اخترتُه من هذا الكتاب
وإلى الله تعالى المصيرُ والمآب.

(١) تنظر الحاشية رقم: ٣ (ص١٧٠) من هذا الكتاب.

[مُذَيَّل أبي شامة على نُزْهة المُقْلتين][1]

وقال العمادُ الكاتب[2] في آخر كتاب «الوزراء السَّلجوقية»[3]: واستولى الخَطَّائي على بلادِ ما وراء النَّهر، وحَصَلَ المسلمون معه تحت القَهْر، واستُشْهِدَ على يده الإمام حسامُ الدِّين بن البُرْهان بن مازة ببُخارى[4]، وكان في علم الشَّريعة لا يُجارى ولا يُبارى. واستمرَّتْ مملكة

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة من عندي للإيضاح.

(٢) هو: محمد بن محمد بن حامد الأصبهاني، من كبار الكتاب في عصره، ولي ديوان الإنشاء للسلطانين نور الدين وصلاح الدين. ولد سنة ٥١٩هـ/ ١٢٠١م بأصبهان، وقدم دمشق سنة ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م، وتوفي فيها سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م، وله مؤلفات عدة، منها «البرق الشامي»، و«خريدة القصر وجريدة العصر». تنظر ترجمته في: «مرآة الزمان» (٢٢/ ١١٩ ـ ١٢٢)، و«وفيات الأعيان» (٥/ ١٤٧ ـ ١٥٣)، و«سير أعلام النبلاء» (٢١/ ٣٤٥ ـ ٣٥٠)، واستقصيتُ مصادر ترجمته في كتاب «المذيل على الروضتين» (١/ ١١٢ ـ ١١٣).

(٣) هو: كتاب «نُصْرة الفَترة وعُصْرة الفِطرة في أخبار الوزراء السلجوقية»، كما سماه أبو شامة في «كتاب الروضتين» (١/ ٤٢٠)، ولما يصل إلينا. واختصره الفتح بن علي بن محمد البُنْداري الأصفهاني، وسمَّاه «زبدة النصرة ونخبة العصرة»، وطبع هذا المختصر غير ما مرة بعنوان: «تاريخ دولة آل سلجوق».

(٤) هو: الإمام حسام الدين عمر بن عبد العزيز بن عمر بن مازة، برهان الأئمة، المعروف بالصدر الشهيد، ولد سنة ٤٨٣هـ، واستشهد سنة ٥٣٦هـ، وله «الفتاوى الصغرى»، و«الفتاوى الكبرى»، و«الجامع الصغير المطوَّل»، تنظر ترجمته في: «الجواهر المضية» (٢/ ٦٤٩ ـ ٦٥٠)، وتنظر أخبار وقعة استيلاء الخطا على ما وراء النهر، وانهزام السلطان سنجر منهم في: «الكامل» (١١/ ٨١ ـ ٨٦).

الخطائية فيما وراء النَّهر إلى هذا العَصْر، والولاة مُسْلمون من قِبَلِ الكُفْر[1].

ونقلتُ من خَطِّ قِوَام الدِّين الفَتْح بن علي بن محمد البُنْداري الأصفهاني[2]، قال: وتمادَتْ مُدَّتُهم في تلك البلاد، واستيلاؤهم بها على العِباد، إلى أنْ قيَّض الله تعالى استئصالهم على يدِ السُّلطان السَّعيد علاءِ الدُّنيا والدِّين محمد خُوَارَزْم شاه ابن السُّلطان تُكُش بن أيل أرسلان بن أَتْسِز بن محمد، رحمه الله ورضي عنه. فإنَّه جرَّد عزيمته لقَطْع شأفتهم، وقَلْع أرومتهم، واعتنى بشنِّ الغارات عليهم، والمواظبةِ على الرَّكضات إليهم، حتى أخرجَهم من ما وراء النَّهر، وصبَّ عليهم سِياط القَسْر والقَهْر. ثم توغَّل ديارَهم، وجاسَ بلادَهم حتى قَلَعهم، بتأييد الله، أجمعين. ولم يبقَ من الخطائية نافِخُ ضَرَمَة[3] في الأرَضين، وذلك بعد سنة ستٍّ مئة[4].

ثم شَرَعَ في قَهْرِ جنسٍ آخر من كُفَّار التُّرْك، وهم التَّتارية، ومماليكُهم تنتهي إلى آخر بلادِ الصِّين. فلم يزل عليهم ظافِرَ الجُنْد، منصورَ الجدِّ، متوغِّلًا مسيرةَ خمسة أشهر في بلادهم، باسطًا يد السَّبْي والنَّهْب في ذراريِّهم ونسائهم، وطِرَافهم وتِلادِهم، إلى أنِ اجتمعوا

---

(١) «تاريخ دولة آل سلجوق» (ص٢٥٤ ـ ٢٥٥).

(٢) لم أقف على سنة ولادته ووفاته، ويستفاد من مقدمات الكتب التي اختصرها أنه قدم من أصفهان إلى دمشق، واتصل بصاحبها الملك المعظم عيسى بن العادل، وترجم له ملحمة «الشاهنامة»، واختصر له بعض كتب العماد الكاتب، منها كذلك «البرق الشامي»، اختصره سنة ٦٢٢هـ، وسماه «سنا البرق الشامي». ينظر: «سنا البرق الشامي» (٤١ ـ ٤٢، ٥٠ ـ ٥١).

(٣) الضَّرَمة: النار؛ أي: لم يبق بها أحد، وهذا يقال عند المبالغة في الهلاك لأن الكبير والصغير ينفخان النار. ينظر: «اللسان»: (ضرم).

(٤) ذكر ابن الأثير أن ابتداء قتال السلطان علاء الدين محمد بن تكش للخطا كان في سنة ٦٠٤هـ، ينظر: «الكامل» (١٢/٢٥٩ ـ ٢٦٠).

واحتشدوا وخرجوا، فأحْجَمَ عنهم السُّلطان، فاستَوْلَوْا على جميع بلادِ ما وراء النَّهر. ثم دخلوا إلى بلاد خُرَاسان، فخرَّبوا رِباعها، وأخذوا قِلاعها، وسَبَوْا نساءَها، وقتلوا رجالها، ونهبوا ذخائِرَها وأموالها. فلم يَقْدِرِ السُّلطان على مقاومتهم، فانحاز إلى بلاد الجبل، فتتبَّعوا أثرَه إلى حدودِ أَصْفهان، وأخذوا الرَّي وقَزْوين وهَمَذَان، وقَتلوا من كان في هذه البلاد، وما تاخَمَها من الأَغْوَار والأَنْجَاد.

وكان ابتداءُ دخولِهم إلى بلاد خُراسان في أوائل سنة سبع عشرة وستِّ مئة، وجرى منهم على المُسْلمين من القتل والأَسْر والقَهْر ما لم يُعهد مثلُه، ولم يُرْوَ ذِكْرُه أبدَ الدَّهر. وطالتْ مُدَّة عَيْثهم في بلادِ الإسلام، مستمرِّين فيها على وتيرةٍ واحدة، في سَفْكِ الدِّماء، وشَنِّ الغارات ثلاثة أعوام، إلى أن خرجوا من طريق أَذْرَبِيْجان، مخرِّبين البلاد، سافكين دِماء العباد. فتوغَّلوا منها إلى بلاد اللَّان، ومنها إلى أرض قفجاق، ثم عادوا من تلك الطريق إلى بلادهم. والله تعالى يكفي المُسْلمين شَرَّ مَعَادِهم.

قال: ولا يُمْكن شرحُ معرَّتهم، وذِكْرُ ما جرى على الإسلام من مضرَّتهم إلا في مجلَّداتٍ طِوال[1].

قلتُ: ثم إنَّهم عادوا، وجرى ما تقدَّم شَرْحُه. ثم تجمَّعوا في عالمٍ عظيم، وقهروا مملكة بلاد الرُّوم، واستولَوْا على الرُّها، ثم نزلوا على بغداد، والخليفة بها يومئذٍ المستعصم بن المستنصر بن [الظاهر بن][2] الناصر بن المستضيء[3]، فاستولَوْا في المحرَّم أوَّل سنة

---

(١) «تاريخ دولة آل سلجوق» (ص٢٥٥ ـ ٢٥٦).

(٢) ما بين حاصرتين من «المذيل على الروضتين» (٢/١٢٣).

(٣) ولد سنة ٦٠٩هـ، واستخلف سنة ٦٤٠هـ بعد وفاة أبيه المستنصر بالله، وأخباره مبثوثة في تواريخ ذلك العصر، وتنظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٢٣/ ١٧٤ ـ ١٨٤).

ستٍّ وخمسين وستِّ مئة على بغداد وأعمالها، وقتلوا ونهبوا، وفعلوا بها ما جَرَتْ به عادتُهم. واستولَوْا على الخليفة وأهله، ووجوه دولته بمكيدةٍ دُبِّرت مع وزير بغداد[1]، فمن أحسن ما تُمثِّل به في ذلك قول سِبْط ابن التَّعاويذي البغدادي في غيرِ هذه الواقعة المذكورة:

بادَتْ وأهلوها معًا فبيوتُهُمْ ببقاءِ مولانا الوزيرِ خَرَابُ[2]

ثم قتلوا الخليفة وجماعتَه والوزيرَ المذكور[3]. ثم تقدَّموا فأخذوا مُدن بلاد الجزيرة وما يتاخِمُها، ثم قطعوا الفُرات، واستولَوْا على أعمالِ حلب، قَتْلًا وأَسْرًا ونَهْبًا وتخريبًا، ونزلوا على حلب في ثاني صفر سنة ثمانٍ وخمسين وست مئة، واستولَوْا عليها بعد سبعة أيام في تاسعِ صفر. وأمَّنوهم ثم غدروا بهم، فقتلوا ونهبوا، وسَبَوْا وخرَّبوا[4]. وشرعوا في نُقوبِ تأخذ في قلعتها، فاستولَوْا عليها سريعًا، وخرَّبوها.

ووصل الخبرُ إلى دمشق، فانزعج أهلُها، وهرب سُلْطانُها يومئذٍ، وهو النَّاصر بن العزيز بن الظَّاهر بن صلاح الدِّين يوسف بن أيوب[5]

---

(١) هو: مؤيد الدين محمد بن علي ابن العلقمي، وأخباره مبثوثة في تواريخ ذلك العصر، من أهمها «تاريخ مختصر الدول» لابن العبري، و«الحوادث الجامعة»، المنسوب خطأ لابن الفوطي، وتنظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٢٣/ ٣٦١ ـ ٣٦٢).

(٢) «ديوان سبط ابن التعاويذي» (ص٤٨).

(٣) كذا قال أبو شامة، والصواب أن التاتار أمنوه، لتعاونه معهم، ثم فوَّضوا إليه أمر بغداد مع أمراء آخرين، ولم تطل مدته في منصبه ذاك حيث توفي بعد سقوط بغداد بنحو ثلاثة أشهر، ينظر: «الحوادث الجامعة» (ص١٥٨ ـ ١٦٠)، و«سير أعلام النبلاء» (٢٣/ ٣٦٢).

(٤) «المذيل على الروضتين» (٢/ ١٣٩).

(٥) ولد سنة ٦٢٧هـ، وولي حلب سنة ٦٣٤هـ بعد وفاة أبيه العزيز محمد، واستولى على دمشق سنة ٦٤٨هـ، وجعلها دار ملكه، وأخباره مبثوثة في تواريخ ذلك العصر. وقد هام على وجهه هربًا من التاتار، فأسروه، ثم قتلوه =

وعساكره، والقادرون من أهل البلد في زمن البردِ الشَّديد، في كانون. وكان وقت خروجهم في الأمطار والثلوج والأَهْوِية العاصفة، وما لا يمكن وصفه، وبقي الأقلُّ منهم[1]. فاجتمع أكابرُها، ودَبَّروا الأمر في مكاتبةِ ملك التَّاتار، وأَخْذِ الأمان منه لدمشق، فتمَّ ذلك بفَضْل الله تعالى[2]. غيرَ أنَّ عساكرهم لمَّا قَدِمَتْ عاثتْ في أطرافِ المَرْج، فقتلتْ مَنْ كان قد تجمَّع به من أهله وغيرهم. وتقدَّموا إلى بلاد حَوْران، ففعلوا فيها مثلَ ذلك. ثم إلى بلادِ نابُلُس، واستاقوا من الأَسْرى والغنائم من البقر والغنم والأسلاب شيئًا كثيرًا، وحملوه إلى دمشق، فاشتري من الأُسارى خَلْقٌ كثيرٌ، وأطلقوا[3].

وكنتُ لمَّا أُخِذَتْ بغداد نظمتُ أبياتًا، منها:

إنَّ أَخْذَ التَّاتارِ بغدادَ قد ها ... نَ على النَّاسِ فيه شُرْبُ الحِمامِ
لم يُعَنْ أَهْلُها وللكُفْرِ أعوا ... نٌ عليهمْ يا ضيعةَ الإسلامِ
فانْقَضَتْ دولةُ الخلافةِ منها ... صارَ مُسْتَعْصِمٌ بغيرِ اعتصامِ
وتعدَّوْا نهرَ الفُرَات إلى الشَّا ... مِ فزَلَّتْ مواطِئُ الأقدامِ
حلبٌ بعدَها أُبِيْحَتْ بعاميـ ... ـنِ وَهَجَّ الورى بغيرِ احتشامِ
ضاقتِ الأرضُ أين يُذْهَبُ والكُفْـ ... ـرُ لهُ صَوْلةٌ بها كلَّ عامِ
رَبِّ سَلِّمْ وصُنْ وعافِ بقايا ... المُدْنِ يا ذا الجلالِ والإكرامِ
فحنانًا على الحِجازِ ومِصْرٍ ... وسلامًا على بلاد الشَّامِ[4]

= في ٢٠ شوال سنة ٦٥٨هـ عقب هزيمتهم في عين جالوت. ينظر: «تاريخ مختصر الدول» لابن العبري (ص٢٨٠ ـ ٢٨١)، وتنظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٢٣/ ٢٠٤ ـ ٢٠٦)، واستقصيت مصادر ترجمته في «المذيل على الروضتين» (٢/ ١٦١).

(١) «المذيل على الروضتين» (٢/ ١٣٨، ١٣٩).

(٢) «المذيل على الروضتين» (٢/ ١٣٩ ـ ١٤٠).

(٣) «المذيل على الروضتين» (٢/ ١٤١).

(٤) وأورد أبو شامة أبياتًا منها كذلك في «المذيل على الروضتين» (٢/ ١١٥).

وفي يوم الاثنين السَّابع والعشرين من جُمادى الأولى سنة ثمانٍ وخمسين وستِّ مئة طِيْفَ بدمشق برأسٍ مقطوع مرفوعٍ على رُمْحٍ قصير، زعموا أنَّه رأسُ الكامل محمد بن شِهاب الدِّين غازيّ ابن الملكِ العادل أبي بكر بن أيوب؛ صاحبِ مَيَّافارِقِين.

وكان التَّاتار حاصروه بها قريبًا من عامين، ولم يزل ظاهرًا عليهم إلى أنْ فني أهلُ البلد لفَناء زادهم، فأخذوه، وقُطع رأسُه، وحُمل إلى البلاد، فطيف به بأسواقِ دمشق، ثم عُلِّق خارج باب الفراديس على النَّهر. ثم وقع من الاتِّفاق العجيب أن دُفِنَ في مسجد الرَّأس؛ داخل بابِ الفراديس العتيق، شرقيِّ المِحْراب، في أصل الجِدار. وفي المسجد المذكور غربيِّ المِحْراب طاقةٌ يُقال: إنَّ رأسَ الحُسين بن علي، رضي الله عنهما، دُفن بها، ثم نُقِل منها. فقلتُ في ذلك:

ابـنُ غـازٍ غـزا وجـاهَـدَ قـومًـا ... أتْخَنُوا في العراقِ والمَشْرِقَيْنِ
ظـاهـرًا غـالـبًـا ومـاتَ شـهـيـدًا ... بـعـد صَـبْـرٍ عـلـيـهـمُ عـامـيـنِ
لـم يَـشِـنْـهُ أنْ طِـيْـفَ بـالـرَّأسِ منهُ ... فـلـهُ أُسـوةٌ بـرأسِ الـحُـسـيـنِ
وافَقَ السِّبْطَ في الشَّهادة والحَمْـ ... ـلِ لـقـد حـازَ أَجْـرَهُ مـرَّتـيـنِ
جَمَعَ اللَّهُ حُسْنَ ذَيْنِ الشَّهِيْدَيـ ... ـن على قُبْحِ ذَيْنِكَ الفِعْلـيـنِ
ثم واروا في مَشْهَدِ الرَّأس ذاك الرَّ ... أسَ فاستعجبوا من الحالَتَيْنِ
وارتـجـوا أنَّـه يـجـيءُ لـدى البَعْـ ... ـثِ رفيقَ الحُسَين في الحُسْنَيينِ[1]

ثم لَطَفَ الله تعالى، فخرج العَسْكر المِصْري مع مَلِكهم التُّركي[2] في خَلْقٍ عظيم، فالتقَوْا بعسكر التَّاتار بأرضِ الشَّام، عند عين الجالوت

---

(١) «المذيل على الروضتين» (٢/ ١٤٢ ـ ١٤٣).

(٢) هو: السلطان قطز بن عبد الله المعزي، ولي سلطنة مصر سنة ٦٥٧هـ، وأخباره مبثوثة في تواريخ ذلك العصر، من أهمها كتاب «السلوك» للمقريزي (ج١/ ق٢/ ٤١٧) وما بعدها، وتنظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٢٣/ ٢٠٠ ـ ٢٠١)، واستقصيت مصادر ترجمته في «المذيل على الروضتين» (٢/ ١٥٥).

وما قاربها، فهزَمَهم المسلمون، وقتلوهم وأخذوهم، وقتلوا مَلكهم[1] وأسروا ابنه، وذلك يوم الجُمُعة الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وست مئة. ووصل الخبرُ إلى مَنْ بدمشق من نُوَّاب التَّاتار، فانهزموا ليلًا، ولم يشعرِ النَّاس بهم بسببِ هزيمتهم، ثم عَلِمُوا، فتبعوهم ينهبونهم، ويقتلون من ظَفِرُوا به منهم[2]. وكان ذلك فَتْحًا مُبينًا، ونَصْرًا عزيزًا، نَشَأ به الإسلامُ نَشْأً جديدًا.

فكان من عجائبِ ما قدَّره الله تعالى أنَّهم كُسروا وأُهلكوا بأبناءِ جِنْسِهم من التُّرك، وقلتُ في ذلك:

غَلَبَ التَّاتار على البلادِ فجاءَهُمْ ... مِنْ مِصْرَ تُرْكِيٌّ يجودُ بِنَفْسِهِ
بالشَّام أَهْلَكَهُمْ وبدَّدَ شَمْلَهُمْ ... ولكلِّ شيءٍ آفةٌ مِنْ جِنْسِهِ[3]

وقلتُ أيضًا[4]:

جاءَتْهُمُ مِنْ تُرْكِ مِصْـ ... ـرَ عساكرٌ مثلَ المَطَرْ
ولكلِّ شيءٍ آفةٌ ... مِنْ جِنْسِهِ حتى التَّتَرْ
قُتِلُوا وبُدِّدَ شَمْلُهم ... بالشَّام في هذا عِبَرْ
مِنْ بعدِ ما قَهَرُوا العِبا ... دَ مساعدًا لهمُ القَدَرْ
وتخاذلتْ هِمَمُ المُلو ... كِ فما نُحِسُّ لها خَبَرْ
والمُسْلمون استسلموا ... وتيقَّنُوا أنْ لا وَزَرْ
وأتاهُمُ نصرٌ عزيـ ... ـزٌ مثلَ لَمْحٍ بالبَصَرْ
ما كان مِنْ أحدٍ توهُّـ ... ـمُهُ ولا مَلكٍ نَصَرْ

---

(١) هو: كَتْبُغا، وكان قائد جيش التاتار. ينظر: «المذيل على الروضتين» (٢/ ١٤٩).

(٢) «المذيل على الروضتين» (٢/ ١٤٩ ـ ١٥٠).

(٣) «المذيل على الروضتين» (٢/ ١٥٠ ـ ١٥١).

(٤) لعل أبا شامة أثبت هذه الأبيات في هامش أصله، فاستدركها الناسخ في نهاية الورقة الأخيرة، فرأيت نقلها إلى هنا، وهو حاقُّ موضعها، والله أعلم.

لـكـنَّ بـالـمَـلـكِ الـمُـظَـفَّـ ـرِ وَحْـدَهُ كـان الـظَّـفَـرْ
والـحـمـدُ لـلَّـهِ اعْـتَـلـى دِيْـنُ الإلـهِ وَظَـهَـرْ

ثم قُتِلَ رَحِمَهُ اللَّهُ بعد هذه الكَسْرة التي عَظُمَ وَقْعُها، وعمَّ نَفْعُها، بنحوٍ من شهرين[1].

ثم إنَّ التَّاتار المُنهزمين تجمَّعوا، وهمُّوا بالرُّجوع إلى بلاد الشَّام، فكُسِرُوا كسرةً أخرى عظيمة بأرض حِمْص في أوَّل سنة تسعٍ وخمسين وستِّ مئة، وذلك أيضًا يوم الجمعة خامس محرَّم[2]. وقُدِمَ برؤوسِ طائفةٍ منهم، وطِيْفَ بها في أسواق دمشق[3]. فذلُّوا بعد هاتين الكَسْرتين، وطَمِعَ المسلمون فيهم، وانتقل إليهم ما كان عند المُسْلمين من الخوفِ منهم[4].

ثم مات مَلِكُهم الأكبر، وغَلَبَ على بلادهم منهم الملك بَرَكة، وكان قد أسلم، فشدَّ من دين الإسلام، وكَسَرَ مَنْ خالفه من كَفَرَة التَّاتار مرارًا، ولا تزال تَرِدُ إلينا من أخباره معهم ما يَسُرُّ سَمْعُه، ويعمُّ نفعُه، والله تعالى يؤيِّدُه، وينصر به المؤمنين، وجميعَ مَنْ يوافقه من ملوكِ المُسْلمين.

(١) قتل مظفر الدين قُطُز يوم السبت ١٥ ذي القعدة سنة ٦٥٨هـ، ينظر: «السلوك» (ج١/ق٢/ ٤٣٥).

(٢) «المذيل على الروضتين» (٢/ ١٥٨).

(٣) «المذيل على الروضتين» (٢/ ١٥٩).

(٤) وكذلك ذكر ابن واصل أن هيبة التتر لم تزل في القلوب عظيمة إلى أن كسرهم قطز، ثم كسروا ثانية بحمص، ثم توالت هزائمهم. ينظر: «مفرج الكروب» (٤/ ٣٢٤).

والحمد لله رب العالمين

وصلواته وسلامه على سيِّد المُرْسَلين محمد

وآله وصَحْبه أجمعين

وحَسْبُنا الله ونِعْمَ الوكيل[1].

(١) **في ختام النسخة**: وقد نجز كتابة في ثامن عشر شهر شوال المبارك سنة أربع وثلاثين وسبع مئة، على يد الفقير إلى الله تعالى أحمد بن حسن؛ نزيل بيت المقدس الشريف، تقبل الله تعالى منه صالح العمل. ثم ختمت النسخة: ومنه الطلب. قال المؤلف: وقلتُ أيضًا. ثم أورد أبو شامة أبياتًا من نظمه، وضعتها في حاق موضعها. تنظر الحاشية رقم: ٤ (ص٢١٦) من هذا الكتاب.

ثم كتب في هامشها: بلغ مقابلة على أصله بخط مؤلفه رَحِمَهُ اللَّهُ. كتبه ابن العلائي.

* **قال إبراهيم عفا الله عنه**: وكان الفراغ من تحقيقه والتعليق عليه ظهر يوم السبت السابع عشر من ذي الحجة سنة ألف وأربع مئة وخمس وثلاثين من هجرة المصطفى ﷺ، الموافق للحادي عشر من تشرين الأول سنة ألفين وأربع عشرة للميلاد، على تصدُّع في الإلف، وتشتتٍ في البال، وجوًى في القلب، والحمد لله على كلِّ حال.

الفهارس العامة

- فهرس الأعلام.
- فهرس الأماكن.
- فهرس المصطلحات.
- فهرس الموضوعات.
- مصادر التحقيق ومراجعه.

فهرس الأعلام[1]

- إبراهيم بن علي، أبو إسحاق الشيرازي: (١٢٤)
- أبو بكر بن أيوب، الملك العادل: ١٩٢
- أبو الفتح؛ رئيس نشجوان: ١١٩
- أحمد، بدر الدين؛ رسول صاحب ألموت: ١٧٣
- أحمد بن المستضيء بأمر الله، الناصر لدين الله: (١٢٤)
- اختيار الدين؛ أستاذ دار السلطان جلال الدين: ١٣٠
- اختيار الدين؛ أمير آخورية السلطان علاء الدين محمد بن تكش: ٩٧
- اختيار الدين = زنكي بن محمد بن حمزة
- أربز بن سعد الدين الحاجب: ٧٤
- أرخان؛ أحد مقدمي عسكر السلطان جلال الدين: ٢٠٥
- أرسلان بن عبد الله، أبو الحارث البساسيري: (٥٧)
- أزبك بن محمد بن إيلدكز؛ صاحب أذربيجان: (٦٠)، ٦١، ١٢٣، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٩، ١٨٩
- أزلاغ شاه، قطب الدين بن السلطان علاء الدين محمد بن تكش: ٦٩، ٧٥، ٨٧، ٨٩، ٩٨، ١١٣، ١١٤، ١١٦، ١١٧
- الأشرف = موسى بن العادل أبي بكر ابن أيوب
- أغلمش الأتابكي: ٦٠
- افتخار جهان؛ أخو برهان الدين محمد بن أحمد بن عبد العزيز صدر جهان: ٨٤
- أق شاه بن السلطان علاء الدين محمد ابن تكش: ٨٩، ٩٨، ١١٦
- ألبي خان؛ أحد مقدمي عسكر غياث الدين بير شاه: ١٢٤
- ألتون خان: ٥٣، ٥٤، ٥٥

(١) لم أثبت في هذا الفهرس المواضع التي ذكر فيها السلطانان علاء الدين محمد ابن تكش، وابنه جلال الدين منكبرتي، والمنشئ شهاب الدين محمد بن أحمد ابن علي النسوي، لأن عليهم مدار هذا الكتاب، ثم إني ميزت الصفحة التي فيها ترجمة العلم المذكور بوضع رقمها ما بين قوسين.

- إمام الدين = عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني
- أمين الدين الدهستاني؛ وزير دهستان: ٦٩
- أوبزخان؛ ابن أخي السلطان علاء الدين محمد بن تكش: ٦٤
- أوحد الدين؛ أخو جلال الدين شيخ الإسلام بسمرقند: ٦٨
- أورخان؛ صاحب كنجة: ١٥٦، ١٦٨، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٨١
- أوكتاي بن جنكيزخان: ٨٧، ١٢٤، ١٧٠، ٢٠٩
- أياز، جهان بهلوان الطشتدار: ٦٥، ٦٦، ٧٤
- أيبك عز الدين؛ نائب الملك الأشرف موسى بن العادل بخلاط: ١٩١، ١٩٢
- أي جيجاك؛ أم السلطان جلال الدين: ٨٥، ١٢٨
- إيتانج خان، بدر الدين: ١١٩، ١٢٠
- أيل أرسلان بن أتسز؛ والد تكش: ٧٣
- إيلتمش، شمس الدين: ١٣٤، ١٣٥
- إيلجي، جهان بهلوان: ١٧٩، ١٨٦
- بدر الدين = إيتانج خان
- بدر الدين العميد؛ النائب بأترار: ٨١
- بدر الدين = لؤلؤ؛ صاحب الموصل
- بدر الدين هلال؛ أحد خدام تركان خاتون: ٨٥
- براق الحاجب؛ النائب بكرمان: ١٣٥، ١٦٤، ١٨٦
- بركة؛ خان تاتار القبجاق: ٢١٧
- برهان الدين = محمد بن أحمد بن عبد العزيز البخاري، صدر جهان
- البساسيري = أرسلان بن عبد الله
- بلكاخان، تاج الدين؛ صاحب أترار: ٦٤، ٦٥
- بنت الأتابك بهلوان؛ أخت أزبك بن محمد، صاحبة نخجوان: ١٢٤، ١٨٨
- بنت الأتابك سعد بن زنكي، ملكة فارس: ١٣٥، ٢٠٤
- بنت أمين ملك، وأمين ملك؛ من قواد السلطان جلال الدين: ١٣٢
- بنت طغرل بن أرسلان السلجوقي؛ صاحبة خوي: ١٤٨، ١٥٧، ١٦٥، ١٨٨
- بيرشاه غياث الدين بن السلطان علاء الدين محمد بن تكش: ٦٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٣، ١٢٤، ١٣١، ١٣٣، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٦، ١٦٣، ١٧٠، ١٧٩، ١٨٤، ١٨٦، ١٨٧
- تاج الدين = بلكاخان
- تاج الدين؛ صاحب بلخ: ٦٤
- تاج الدين بن أبي سعد بن عمران الخيوقي: ١٠٥
- تاج الدين = عمر البسطامي
- تاج الدين = قليج؛ ملك الخواص
- تاينال؛ أحد مقدمي التاتار: ١٨١
- تركان خاتون؛ والدة السلطان علاء الدين محمد بن تكش: ٦٧، ٦٩، ٧٥، ٨٢، ٨٣، ٨٥، ٨٧، ٨٨، ١٣٨

- تركان سلطان؛ بنت السلطان علاء الدين محمد بن تكش: ٨٧
- التفرشي = علي بن الفضل، شرف الدين
- تقجار؛ صهر جنكيزخان: ١٠٣، ١٠٥، ١٠٨
- تقي الدين = عباس بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب
- تكش بن أيل أرسلان؛ والد السلطان علاء الدين محمد: ٦٤، ٧٣، ٨٨
- تولي خان بن جنكيزخان: ١٢٥
- أم جلال الدين = أي جيجاك
- جلال الدين = الحسن بن محمد بن الحسن؛ صاحب الإسماعيلية
- جلال الدين؛ شيخ الإسلام بسمرقند: ٦٨
- جمال الدين القمي؛ نائب الأتابك أزبك بن محمد بكنجة: ١٥٦
- الجندي = صدر الدين؛ قاضي العسكر بنيسابور
- جنكيزخان: (٥٤)، ٥٥، ٥٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٦، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٨، ١١٤، ١١٨، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٤٠
- جهان بهلوان = أياز
- جهان بهلوان = إيلجي
- جهان بهلوان؛ نائب السلطان جلال الدين بالهند: ١٣٥
- أبو حامد القزويني، زين الدين الفقيه؛ صهر إمام الدين عبد الكريم بن محمد الرافعي: ٢٠١
- حبش؛ أحد المتعاونين مع التاتار: ١٠٧
- حسام الدين خضر؛ صاحب سرمارى: ١٥٢، ١٥٣، ١٦٢، ١٩٠
- حسام الدين = عمر بن عبد العزيز بن عمر بن مازة الصدر الشهيد
- حسام الدين = قليج أرسلان
- حسن تاج الدين؛ أحد أمراء السلطان علاء الدين محمد بن تكش: ٩٧
- الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ: ١١٧
- الحسن قرلق، وفاء ملك؛ نائب السلطان جلال الدين ببلاد الغور وغزنة: ١٣٥
- الحسن بن محمد بن الحسن جلال الدين؛ صاحب الإسماعيلية: (٥٨)
- الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ: ١١٧، ٢١٥
- الخارجي = أرسلان بن عبد الله، أبو الحارث البساسيري
- الخاقان = أوكتاي بن جنكيزخان
- خاموش بن الأتابك أزبك بن محمد: ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٨٨، ١٩٠
- خان جنكشي؛ والد تركان خاتون: ٨٨
- خان سلطان؛ ابنة السلطان علاء الدين محمد بن تكش: ٨٦، ١٠١

- خداوند جهان = أم غياث الدين بيرشاه
- خداوند جهان = تركان خاتون
- خواجه جهان = علي بن أبي القاسم الجندي، شرف الملك؛ وزير السلطان جلال الدين
- دانشمند الحاجب: ٨٢، ٨٣، ٨٧
- دوشي خان بن جنكيزخان: ٥٤، ٥٦، ٨٦، ٨٧، ١٤٠، ١٤١
- رافعان = عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني
- ربيب الدين = أبو القاسم بن علي
- رسول صاحب آمد: ٢٠٤
- رسول علاء الدين محمد بن الحسن صاحب ألموت: ١٧٦، ١٨٦، ١٩٤
- ركن الدين = غورسانجتي بن السلطان علاء الدين محمد بن تكش
- ركن الدين المغيثي؛ قاضي نيسابور: ٧٣، ٧٤
- زنكي بن محمد بن حمزة، اختيار الدين؛ صاحب نسا: ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٩
- زين الدين = أبو حامد القزويني الفقيه
- زين الكحال السمرقندي: ٨٧
- سام بن محمد بن مسعود، علاء الدين؛ صاحب باميان: ٦٣، (٦٤)، ٨٤
- سبطي بهادر؛ أحد قادة التاتار المغرِّبة: ١٢٣
- سبط ابن التعاويذي = محمد بن عبيد الله بن عبد الله، أبو الفتح الشاعر
- سديد بن محمد، علاء الدين الخياطي؛ محتسب خوارزم: (١٤٠)
- سعد بن زنكي الأتابك، مظفر الدين؛ صاحب فارس: ٦٠، ٦١، ١٢٤، ١٣٥
- أبو سعد بن عمران، شهاب الدين الخيوقي: ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٥، ١١٠
- سنجر؛ صاحب بخارى: ٦٤
- السهروردي = عمر بن محمد بن عبد الله، شهاب الدين
- شاه خاتون بنت تكش؛ عمة السلطان جلال الدين: ٢٠٨
- شرف الدين أزدره؛ صاحب سرمارى: ١٥٢، ١٥٣، ١٦٢
- شرف الدين = علي بن الفضل التفرسي الوزير
- شرف الملك = علي بن أبي القاسم الجندي، خواجه جهان
- شقيقة غياث الدين بيرشاه: ١٤٧
- شلوة؛ من شطار الكرج: ١٥١، ١٦٢
- الشمس التكريتي؛ رسول الملك الأشرف موسى بن العادل: ١٩٤، ١٩٥
- شمس الدين = إيلتمش
- شمس الدين بن جلال الدين شيخ الإسلام بسمرقند: ٦٨
- شمس الدين؛ رسول المغرب: ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧
- شمس الدين الطغرائي التبريزي: ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٨، ١٥٩

- شمس الملك شهاب الدين الهروي؛ وزير السلطان جلال الدين: ١٣٣، ١٤٣
- شهاب الدين الخيوقي = أبو عمران بن سعد
- شهاب الدين = شمس الملك الهروي
- شهاب الدين = عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي
- شهاب الدين = محمد بن سام، أبو المظفر الغوري
- الشيرازي = إبراهيم بن علي، أبو إسحاق
- صاحب آمد = مسعود بن محمود بن محمد بن قرا رسلان بن أرتق
- صاحب أرزن الروم = طغرل شاه بن قلج أرسلان بن مسعود السلجوقي، مغيث الدين
- صاحب الإسماعيلية = الحسن بن محمد بن الحسن، جلال الدين
- صاحب الإسماعيلية = صاحب ألموت
- صاحب ألموت = محمد بن الحسن ابن محمد بن الحسن، علاء الدين
- صاحب بلخ: ٨٤
- صاحب ترمذ: ٨٤
- صاحب جبل الجودي: ١٣١
- صاحب قيالق: ٥٥
- صاحب ماردين = ناصر الدين الأرتقي
- ابن صاحب هراة: ١٨٤
- صبور خان = عمر خان ابن صاحب يازر
- صدر جهان = محمد بن أحمد بن عبد العزيز البخاري، برهان الدين
- صدر جهان = مسعود بن صالح الفراوي، مجد الدين
- صدر الدين الجندي؛ قاضي العسكر بنيسابور: ٧٣، ٧٤
- صدر الدين العلوي المراغي: ١٥٥
- الصفي الأقرع؛ وزير السلطان علاء الدين محمد بن تكش ببلاد الترك: ٨١
- ضياء الملك النسوي = محمد بن مودود، علاء الدين
- طغرل بن أرسلان السلجوقي: (٦٣)، ٨٤، ١٤٨
- ابن طغرل بن أرسلان السلجوقي: ٦٣
- طغرل شاه بن قلج أرسلان بن مسعود السلجوقي، مغيث الدين؛ صاحب أرزن الروم: ١٦٤
- طغرل، عز الدين؛ من خواص السلطان علاء الدين محمد بن تكش: ٧٥
- طغرلبك بن ميكائيل بن سلجوق: ٥٨
- ظهير الدين = مسعود بن المنور الشاشي
- العباس بن عبد المطلب، رضي الله عنه: ٥٩
- عباس بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، تقي الدين: ١٩٢
- عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي القزويني، إمام الدين رافعان: (٢٠١)

- عثمان؛ صاحب سمرقند: ٦٤، ٨٦
- عز الدين = أيبك؛ نائب الملك الأشرف موسى بن العادل بخلاط
- عز الدين القزويني القاضي: ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠
- علاء الدولة الأتابك؛ صاحب يزد: ١٣٥، ١٨١
- علاء الدولة، الشريف العلوي؛ رئيس همذان: ١٢٣
- علاء الدين = سام بن محمد بن مسعود؛ صاحب باميان
- علاء الدين = سديد بن محمد الخياطي؛ محتسب خوارزم
- علاء الدين صاحب قندز: ٩١
- علاء الدين = كيقباذ بن كيخسرو؛ سلطان سلاجقة الروم
- علاء الدين = محمد بن الحسن جلال الدين بن محمد بن الحسن؛ صاحب ألموت
- علاء الدين = محمد بن مودود النسوي، ضياء الملك
- علي الحاجب الأشرفي؛ نائب الملك الأشرف موسى بن العادل بخلاط: ١٥٧، ١٥٨، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١
- علي بن الفضل التفرشي، شرف الدين؛ الوزير: ١٦٨، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢
- علي بن أبي القاسم الجندي، فخر الدين، شرف الملك؛ وزير السلطان جلال الدين: ١٤٢، ١٤٣، ١٤٧، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٨، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠
- عماد الدين الكاتب = محمد بن محمد ابن حامد الأصبهاني
- عماد الدين؛ وزير ركن الدين غورسانجتي: ٩٤، ٩٦
- عمة جنكيزخان: ٥٤
- عمر البسطامي، تاج الدين: ٩٥
- عمر خان ابن صاحب يازر، صبور خان: ٨٤
- عمر بن سعد الخوارزمي، مجير الدين القاضي: ٥٧، ٥٩، ٦٨، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٥
- عمر بن عبد العزيز بن عمر بن مازة، حسام الدين، الصدر الشهيد: (٢١٠)
- عمر بن محمد بن عبد الله، شهاب الدين السهروردي: (٥٨)، ٥٩، ٦٢
- عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب، الملك المعظم: ١٤٧، (١٥٩)، ١٦٠
- غازي بن العادل أبي بكر بن أيوب، الملك المظفر شهاب الدين: (٢٠٢)، ٢٠٣، ٢٠٦
- غورسانجتي ركن الدين بن السلطان علاء الدين محمد بن تكش: ٦٩، ٧٠، ٩٤، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣

- أم غياث الدين بيرشاه: ١٣٦، ١٣٨
- غياث الدين = بيرشاه بن السلطان علاء الدين محمد بن تكش
- غياث الدين = محمد بن سام الغوري
- الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني، قوام الدين: (٢١١)
- فخر الدين؛ مقدم عسكر حلب: ١٩٠
- فرن خان بن أمين ملك: ١٣٣
- القائم بأمر الله عبد الله بن القادر بالله أحمد، الخليفة العباسي: ٥٧
- أبو القاسم بن علي، ربيب الدين؛ وزير الأتابك أزبك بن محمد: ٦٠، ٦١، ١٥٧
- قاضي دمشق؛ رسول الملك المعظم عيسى بن العادل: ١٥٩
- قباجة، ناصر الدين؛ مملوك السلطان شهاب الدين الغوري في الهند: (١٣٢)، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٤٣
- القصة دار = نجيب الدين الشهرستاني؛ وزير جند
- قطب الدين = أزلاغ شاه
- قطز بن عبد الله المعزي؛ ثاني سلاطين المماليك في مصر: (٢١٥)، ٢١٧
- قليج أرسلان، حسام الدين؛ أكبر أمراء التركمان بأران: ١٩٨
- قليج، تاج الدين؛ ملك الخواص: ١٧٢
- قوام الدين الحدادي القاضي؛ ابن أخت شمس الدين الطغرائي: ١٥٨
- قوام الدين = الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني
- الكافي؛ نائب الوزير شرف الملك: ١٥٦
- كامیار، كمال الدين؛ من كبار أمراء السلطان علاء الدين كيقباذ بن كيخسرو: (١٩٣)
- كتبغا؛ قائد التاتار في معركة عين جالوت: ٢١٥
- كريم الدين الطيفوري؛ والٍ بناحية من خوارزم: ٧٥
- كريم الشرف؛ وزير غياث الدين بيرشاه: ١٨٥، ١٨٦
- كشلوخان: ٥٥، ٥٦
- كماخي شاه؛ أصغر أولاد السلطان علاء الدين محمد بن تكش: ٨٦
- الكمال؛ رسول صاحب ألموت: ١٧٢، ١٧٣
- كمال الدين؛ مستوفي أذربيجان: ١٥٨
- كمال الدين؛ مقدم الجاويشية: ١٧٥، ١٧٦
- كمال الدين = كامیار
- كمال الدين = محمد آي أبه القزويني
- كيقباذ بن كيخسرو، علاء الدين؛ سلطان سلاجقة الروم: ١٤٧، (١٦٦)، ١٩١، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٨، ٢٠٧
- كيكاوس؛ ملك الفرس: ١٦٩
- لؤلؤ، بدر الدين؛ صاحب الموصل: (٢٠٧)
- مجد الدين = محمد بن صالح الفراوي، صدر جهان

- مجير الدين = عمر بن سعد الخوارزمي القاضي
- مجير الدين = يعقوب بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب
- محمد بن أحمد بن عبد العزيز البخاري، برهان الدين، صدر جهان؛ رئيس الحنفية: (٦٦)، ٧٥، ٨٤
- محمد آي أبه القزويني، كمال الدين؛ أحد المتعاونين مع التاتار: ١٢٢
- محمد بن بيشتكين، نصرة الدين؛ من أصحاب أزبك بن محمد: ٦٠
- محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن، علاء الدين؛ صاحب ألموت: (١٧٠)، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٦، ١٨٦، ١٨٧
- محمد بن سام، شهاب الدين الغوري: (٦٤)
- محمد بن سام، غياث الدين الغوري: (٦٣)، ٦٤، ٨٤
- محمد بن صالح، ناصر الدين، نظام الملك؛ وزير السلطان علاء الدين محمد بن تكش: ٦٤، ٦٧، ٦٨، ٧٢، ٧٥، ٧٦، ٨٧، ٨٨
- محمد بن عبيد الله بن عبد الله، سبط ابن التعاويذي، أبو الفتح الشاعر: ٢١٣
- محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، الملك الكامل: ١٤٧
- محمد بن علي ابن العلقمي، مؤيد الدين؛ وزير بغداد: (٢١٣)
- محمد بن غازي بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، الملك الكامل: ٢١٥
- محمد بن لز، نصرة الدين؛ صاحب زوزن: ٧١
- محمد بن محمد بن حامد الأصبهاني، عماد الدين الكاتب: (٢١٠)
- محمد بن مودود، علاء الدين، ضياء الملك النسوي: ١٢٩
- محمود الخوارزمي؛ رسول جنكيزخان: ٧٧، ٧٨
- محمود بن سبكتكين، يمين الدولة: ٢٠٠، ٢٠٨
- مختص الدين، رسول السلطان جلال الدين: ٢٠٢
- المستعصم بن المستنصر بن الظاهر بن الناصر؛ الخليفة العباسي: (٢١٢)
- مسعود بن صالح الفراوي، مجد الدين، صدر جهان: ٦٧، ٦٨
- مسعود بن محمود بن محمد بن قرا رسلان بن أرتق؛ صاحب آمد: ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤
- مسعود بن المنور الشاشي، ظهير الدين: ٦٥
- مظفر الدين = سعد بن زنكي الأتابك
- مظفر الدين = قطز بن عبد الله المعزي
- مقرب الدين أمير مهتران؛ مقدم الفراشية بأصبهان: ٢٠٨
- الملك الأشرف = موسى بن العادل أبي بكر بن أيوب
- ابن الملك خاموش: ١٨٨، ١٩٠
- ملك الروم = كيقباذ بن كيخسرو، علاء الدين؛ سلطان سلاجقة الروم
- الملك العادل = أبو بكر بن أيوب

- الملك الكامل = محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب
- الملك الكامل = محمد بن غازي بن العادل أبي بكر بن أيوب
- الملك المظفر = غازي بن العادل أبي بكر بن أيوب، شهاب الدين
- الملك الناصر = يوسف بن محمد العزيز بن الظاهر غازي بن صلاح الدين بن أيوب
- ملكة خوي = بنت طغرل بن أرسلان السلجوقي
- ملكة فارس = بنت الأتابك سعد بن زنكي
- ملكة الكرج: ١٦٤
- منصور؛ قاضي أترار: ٨١
- موسى بن العادل أبي بكر بن أيوب، الملك الأشرف: ١٥٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩١، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٢، ٢٠٣
- مؤيد الملك، قوام الدين؛ صاحب كرمان: ٧١، ٧٢، ١١٧
- نائب قباجة: ١٣٢
- الناصر لدين الله = أحمد بن المستضيء بأمر الله
- ناصر الدين = قباجة
- ناصر الدين = محمد بن صالح، نظام الملك
- ناصر الدين الأرتقي؛ صاحب ماردين: ٢٠٢، ٢٠٣
- نجيب الدين الشهرستاني، القصة دار؛ وزير جند: ١٤٢
- نصرة الدين = محمد بن بيشتكين
- نصرة الدين = محمد بن لز
- نظام الدين السمعاني؛ من رؤساء مرو: ١٠٩، ١١١
- نظام الدين ابن أخي شمس الدين الطغرائي؛ رئيس تبريز: ١٤٨، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٩
- نظام الملك = محمد بن صالح، ناصر الدين
- هندو خان؛ أخو عمر خان بن صاحب يازر: ٨٤
- والي قلعة جاربيرد: ١٩٩
- وزير بغداد = محمد بن علي ابن العلقمي، مؤيد الدين
- وفاء ملك = الحسن قرلق
- ولد تاج الدين صاحب ترمذ: ٦٤
- يعقوب بن العادل أبي بكر بن أيوب، مجير الدين: ١٩٢، ١٩٥، ١٩٧
- يغان طايسي الأتابك: ١٤٦، ١٨٢
- يمه نوين، أحد قادة التاتار المغرِّبة: ١٢٣
- ينال خان؛ صاحب أترار: ٧٨، ٧٩، ٨١، ٩٠
- يوسف بن محمد العزيز بن الظاهر غازي بن صلاح الدين بن أيوب، الملك الناصر: (٢١٣)

فهرس الأماكن

- آمـــد: ١٧٠، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦
- أبخاز: ١٥٢، ١٥٣، ١٦٢، ١٨٥
- أبيورد: ١٢٠
- أترار: ٦٤، ٧٨، ٨٠، ٨١، ٩٠
- أبدخوذ: ٩٠
- أخلاط = خلاط
- أذربيجان: ٥٣، ٦٠، ٦١، ١٠٩، ١٢٣، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٠، ١٥٨، ١٧٤، ١٧٦، ١٨٢، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٧، ١٩٨، ٢١٢
- أران: ٥٣، ٦٠، ٦١، ١٠٩، ١٥٦، ١٦٩، ١٨٨، ١٩٠، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨
- إربل: ١٥٤، ٢٠٥
- أردويل: ١٦٨
- أرزن الروم: ١٦٤، ١٩٠
- أرغون: ٥٤
- أرمية: ١٥٧، ١٩٠
- أستراباذ: ٩٧، ١٢٠
- الأستندار: ٩٦
- أستواء: ١١٦
- أسداباذ: ٦٢
- أسفرايين: ١٩٤
- أصفهان: ٦٠، ١٢١، ١٢٣، ١٢٤، ١٣٥، ١٧١، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٦، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٨، ٢١٢
- ألموت: ١٧٠، ١٧٣، ١٧٦، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٩٤
- أوجان: ١٤٨
- باب الفراديس (دمشق): ٢١٥
- باميان: ٥٢، ٦٤، ٦٩، ٨٤، ١٠٩
- بحر القلزم: ٩٤
- بخارى: ٦٤، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٩٠، ١١٩، ١٢٠، ١٤٣، ٢١٠
- برذعة: ١٥٦، ١٧٦
- بركري: ٢٠٣
- بست: ٦٩، ١١٨
- بسطام: ٩٥
- بغداد: ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٢، ١٢٤، ١٤٦، ١٥٤، ١٦٧، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤
- بلاد الترك: ٥١، ٥٧، ٦٠، ٧٧، ٨٠، ٨١
- بلاد الجزيرة (الفراتية): ٢١٣

- بلاد الغور = الغور
- بلاد قبان = قبان
- بلاد قفجاق: ٩٣، ٢١٢
- بلاد اللان = اللان
- بلاد اللر: ١٧٩
- بلاساغون: ٥٥، ٥٦
- بلخ: ٦٤، ٨٤
- بلد الجبل: ٩٦
- بيلقان: ١٥٦، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٣، ١٨٨، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٠١
- تبريز: ١٤٨، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٨، ١٧٧، ١٩٠، ١٩٤، ١٩٥
- ترمذ: ٦٤، ٨٤
- تفرش: ١٧٠
- تفليس: ١٢٩، ١٤٨، ١٥٢، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥
- تكياباذ: ٦٩
- تون: ١٧٢
- جامع الشافعية (خوارزم): ١٠٢
- الجبة الزبدانية (ظاهر دمشق): ١٦٦
- جبل الجودي: ١٣١
- جرجان: ١٢٠
- جزدير: ١٢٧
- الجزيرة (في بحر قزوين): ٩٤، ٩٧، ٩٨، ١١٣، ١٤٠، ٢٠٨
- جَنْد: ٧٣، ١٤٢، ١٤٣
- جورش: ١٨٨، ١٨٩
- حاني: ٢٠٣
- الحجاز: ٢١٤
- حديثة عانة: ٥٨
- حلب: ١٩٠، ٢١٣
- حمص: ٢١٧
- حوران: ٢١٤
- حيزان: ١٩٨
- خبوشان: ١١٦
- خراسان: ٥٢، ٦٩، ٧٥، ٨٢، ٩٢، ٩٤، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١٢، ١١٤، ١٢٣، ١٣٦، ١٤٤، ١٤٨، ١٧٢، ١٧٧، ١٨٠، ١٨٣، ١٩٤، ٢١٢
- خلاط: ٨٦، ٨٧، ١٥٧، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٩، ١٨٨، ١٩٠، ١٩١، ١٩٣، ١٩٤، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨
- خوار: ٦٠
- خوارزم: ٥٢، ٦٤، ٦٥، ٦٧، ٦٩، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٧، ٨٩، ٩٣، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٩، ١١٠، ١١٣، ١١٤، ١١٧، ١٣٩، ١٤٠
- خوزستان: ١٤٦، ١٨٥
- خوي: ١٤٨، ١٥٧، ١٦٥، ١٧٢، ١٩٠، ١٩٣
- دامغان: ١٧٤، ١٧٧
- دربند شروان: ٥٣، ٦١
- دقوقا: ١٤٦
- دمشق: ١٥٩، ١٦٦، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧
- دندنة: ١٣٢

- دهستان: ٦٨
- دوين: ١٥٠، ١٥٢
- ديار بكر: ٢٠٤
- الرها: ٢١٢
- الـــرَّي: ٦٠، ١٢٠، ١٢١، ١٣٦، ١٧١، ١٧٧، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٦، ١٩٤، ٢١٢
- زمين داور: ٦٩
- زوزن: ٧١، ٧٢، ١١٧
- ساقون: ١٣٢
- سجستان: ١٠٩
- سراه = مرج سراه
- سرماري: ١٥٢، ١٥٣، ١٦٢، ١٦٣، ١٩٠
- سلماس: ١٥٧
- سمرقند: ٦٠، ٦٤، ٦٨، ٨٠، ٨٦
- سمنان: ٦٠
- السين: ١٧٧
- الـشـام: ١٤٧، ١٦٢، ١٧٣، ١٧٦، ١٩٠، ١٩٣، ٢٠٧، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧
- شِعْب سلمان: ١٢٠
- شهرستانة: ١١٤
- شيراز: ٦١، ١٢٤، ١٣٥
- الصين: ٥٣، ٥٤، ٧٧، ٧٨، ٢١١
- الطالقان: ١١٨
- طوغاج: ٥٣، ٧٨
- طوغطاب: ١٩٠
- العراق: ٢١٥
- العراق = عراق العجم
- عـراق الـعـجـم: ٥٢، ٥٧، ٥٩، ٦٠،(٦١)، ٦٢، ٦٣، ٦٥، ٦٩، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٧، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ١٠٩، ١٢١، ١٢٣، ١٣١، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٤، ١٤٧، ١٥٠، ١٦٨، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٦، ١٧٧، ١٨٥، ١٩٠، ١٩٤، ٢٠١
- عين الجالوت: ٢١٥
- غزنة: ٥٢، ٦٣، ٦٩، ١٠٩، ١١٨، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٥، ١٤٣، ٢٠٨
- الـغـور: ٥٢، ٦٣، ٦٩، ٧٠، ١٠٩، ١٣٥
- فـــارس: ٥٣، ٦٠، ١٢٠، ١٢٤، ١٣٥، ١٨٢، ٢٠٥
- فراوة: ١١٤
- قاشان: ١٨٢
- قاقزوان: ١٩١
- قاين: ١٧٢
- قَبَّان: ١٩٠
- قـزويـن: ٦٠، ٦١، ١٩٤، ٢٠١، ٢١٢
- قلعة أردهن: ٩٥، ٢٠٨، ٢٠٩
- قلعة أسكتاباذ: ٦١
- قلعة إصطخر: ٦١، ١٢٤
- قلعة ألنجة: ١٥٧
- قلعة إيلال: ٨٤، ٨٥
- قلعة تفليس: ١٦٣
- قلعة جاربيرد: ١٩٨، ١٩٩

- قلعة جزيدر: ١٠٦، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٦
- قلعة حلب: ٢١٣
- قلعة حيزان: ١٩٨
- قلعة دزمار: ١٩٢
- قلعة ستون آوند: ١٢١
- قلعة سلوقان: ١٣٦
- قلعة سند سوارخ: ١٩٨
- قلعة شميران: ١٨٨
- قلعة شيركيوت: ١٩٥
- قلعة طلا: ١٥٧، ١٥٨
- قلعة قزوين: ٦١
- قلعة قندهار: ١١٨
- قلعة نسا: ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤
- قندز: ٩١
- قهستان: ١٧٢
- قيالق: ٥٥
- كازرون: ١٢٤
- كاشغر: ٥٥، ٥٦
- كرمان: ٥٢، ٦٩، ٧١، ٧٢، ١١٧، ١٢١، ١٢٣، ١٣٥، ١٦٣، ١٨٢، ١٨٦
- الكعبة المشرفة: ١٥٤
- كنجة: ١١٨، ١٥٦، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٣، ١٨١، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٢
- كيش: ٥٢، ٦٩
- كيلكون: ٢٠٢
- كيلف: ٩٠
- اللان: ٢١٢
- ماردين: ٢٠٣
- مازندران: ٥٢، ٦٩، ٧٥، ٨٤، ٨٥، ٩٦، ٩٧، ١٠٩، ١٢٣، ١٣٦، ١٤٨، ٢٠٨
- ماهان: ١٩٦، ١٩٧
- ما وراء النهر: ٥٣، ٥٧، ٦١، ٦٤، ٦٥، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٨٠، ٩١، ١١٤، ١٤٠، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢
- مدرسة القاضي عز الدين القزويني (تبريز): ١٥٨
- مراغة: ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٣، ١٥٤
- مرج دولت آباذ: ٩٦
- مرج سايغ: ٧٤، ١١٦
- مرج سراه: ١٧٤، ١٧٧
- مرند: ١٩٠
- مرو: ١٠٩، ١١٤، ١٢٠
- مزار ميل جفنه (نسا): ١٠٥
- مسجد الرأس (دمشق): ٢١٥
- مصر: ١٤٧، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢١٤، ٢١٦
- المغرب: ١٦٥، ١٦٧
- مكة المكرمة: ٥٨، ٦٠، ١٩٦
- مكران: ٥٢، ٦٩
- الموصل: ١٦٧، ٢٠٧
- موقان: ١٦٤، ١٨٨، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٨
- ميافارقين: ٢٠٣، ٢٠٥، ٢١٥
- نابلس: ٢١٤

- نسا: ٦٤، ٦٥، ٦٨، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٦، ١١٠، ١١١، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٩، ١٢٠
- نخجوان: ١٢٤، ١٤٨، ١٥٧، ١٨٨، ١٩٠
- نشجوان: ١١٩
- نهر أرس: ١٥٠، ١٦٢، ١٩٧
- نهر جيحون: ٧٢، ٨٠، ٨٢، ٨٣، ٨٧، ٩١، ٩٢، ٩٤، ٩٥، ١٢٠، ١٨٣
- نهر السند: ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٤٣
- نهر الفرات: ٢١٣، ٢١٤
- نوشجان: ١٠٨
- نيسابور: ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٩٥، ١٠٢، ١٠٦، ١٠٨، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١٢٠
- هراة: ١٨٤
- همذان: ٦١، ٦٢، ٩٦، ١٢٣، ١٤٦، ١٤٧، ١٨٦، ٢١٢
- الهند: ٥١، ٦٣، ٦٩، ١٠٨، ١٠٩، ١٢٠، ١٣١، ١٣٥، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٣، ١٧٢، ١٨٥، ١٩٨، ٢٠٧
- وست: ١١٦
- يازر: ٨٤
- يزد: ١٣٥، ١٨١

فهرس المصطلحات

- الإدرارات: ٢٠٠، ٢٠١
- الارتفاع: ٦٦
- الأطلاب: ١٨٠، ١٨٩، ٢٠٤
- أمير آخور: ٩٧
- أمير شكار: ٢٠٥
- الباشورة: ١١٩، ٢٠٥
- البهلوانية: ١٩٩
- التقادم: ١٣٢
- الجاويشية: ١٧٥، ١٧٦
- الجتر: ٦٠
- الجشار: ٩٧
- الجملون: ١٠٤، ١٠٨
- الجوبان: ٩٧
- الحياصة: ١٦٩، ١٧٠، ١٧٣
- خداوند جهان: ٨٨، ١٣٨
- الخركاه: ٦٢، ١٠٤، ١٥١، ٢٠٤
- خواجة: ١٤٤
- الخوانجاه الخاصة: ١٤٤
- الدست الأسود: ١٤٤
- الرنود: ٦٦، ١٥٣
- السرهنكية: ٨٦، ١٠٧
- السرير: ١٤٤
- السلاح دارية: ١٩٩
- السماط: ٨٦، ١٤٤
- السنجق: ١٨١
- الطابع: ١٠١
- الطشتدارية: ٦٥
- الطغراء: ٨٩
- العامل: ٧٥
- العلامة: ٨٩، ١٠١
- الغوارة: ١٠٣، ١٥٢، ١٦٣، ١٩٠
- القصة دار: ١٤٢
- الكرة (لعبة الجوكان): ٦١، ١٠٩
- الكوسات: ١٨٩
- المثال: ١١٦
- المستحفظ: ١٨٩
- المستوفي: ١٤٢
- المعاصير: ١١٩، ١٩٢، ١٩٨
- المكوك: ١٦٩
- نظام الملك: ١٤٤
- النقارات: ١٨٩
- نوبة ذي القرنين: ٦٣، ١٩٢
- اليزك: ١٣١، ١٧٧

فهرس الموضوعات

الوقائع والأحداث

الإهداء ٥
مقدمة المحقق ٧
مقدمة المصنف ٤٩
السلطان علاء الدين محمد بن تكش ٥٢
تسمية البلاد التي كان يحكمها السلطان علاء الدين محمد بن تكش ٥٢
مبدأ أمر التاتار ٥٣
فصل: وفي سنة ٦١٤هـ قصد السلطان بلاد العراق ٥٧
تطلُّع السلطان علاء الدين محمد لحكم بغداد كما كان آل سلجوق من قبل ... ٥٧
مراسلاته في ذلك مع دار الخلافة ولقاؤه رسولَ بغداد شهاب الدين السهروردي ٥٩
الوحشة بينه وبين الخليفة، وذكر الأمور التي شغلته عن قصد بغداد ٥٩
مسيره نحو بغداد وهلاك معظم جيشه في الطريق من الثلج والبرد ٦٢
فصل: وكان السلطان قد قدم أموراً قبل قصده العراق ٦٣
منها: ضَرْبُه نوبة ذي القرنين ٦٣
ومنها: تسييره تاج الدين بلكاخان صاحب أترار إلى نسا، ثم قتله ٦٤
ومنها: تسييره رئيس الحنفية برهان الدين محمد إلى خوارزم ٦٦
ومنها: تعيينه محمد مجد الدين مسعود بن صالح الفراوي رئيساً للحنفية ٦٧
ومنها: تسييره شيوخ الإسلام بسمرقند إلى نسا ٦٨
ومنها: تقسيمه بلاده بين أولاده ٦٩
تفويضه ملك خوارزم وخراسان ومازندران إلى ولي عهده قطب الدين أزلاغ شاه ٦٩

تفويضه ملك غزنة وباميان والغور وبست وغيرها إلى ولده الكبير جلال الدين منكبرتي ٦٩
تفويضه ملك كرمان وكيش ومكران إلى ولده غياث الدين بيرشاه ٦٩
تفويضه ملك عراق العجم إلى ولده ركن الدين غورسانجتي ٧٠
فصل: في ذكر الحوادث بعد عود السلطان من العراق ٧١
وفاة والي كرمان مؤيد الدين قوام الدين، وذكر نبذة من حاله ٧١
عزل السلطان علاء الدين محمد وزيره نظام الملك ناصر الدين محمد بن صالح ٧٢
عزله قاضي نيسابور ركن الدين المغيثي ٧٣
توليته صدر الدين الجندي قضاء نيسابور ثم عزله ٧٣
رحيل الوزير المعزول نظام الملك ناصر الدين إلى خوارزم ٧٤
التجاء الوزير المعزول إلى والدة السلطان تركان خاتون ٧٥
تفويض تركان خاتون له وزارة خوارزم ٧٥
تعيين السلطان علاء الدين محمد ستة وزراء مكان وزيره المعزول ٧٦
فصل: في ذكر أسباب خروج التاتار إلى تلك الديار ٧٧
قدوم رسول جنكيزخان إلى السلطان علاء الدين محمد يطلب المسالمة والموادعة ٧٧
إجابة السلطان إلى ما التمسه جنكيزخان من أمر المهادنة ٧٨
وصول تجار من قبل جنكيزخان إلى أترار ٧٨
قبض ينال خان صاحب أترار على التجار وقتلهم ٧٨
غضب جنكيزخان لقتل التجار وطلبه من السلطان تسليمه ينال خان لينال عقابه ٧٩
رفض السلطان تسليم ينال خان وقتله رسل جنكيزخان ٧٩
مسير جنكيزخان نحوه في عساكره ٨٠
التدابير التي اتخذها السلطان لمواجهة جنكيزخان ٨٠
استيلاء جنكيزخان على أترار ٨٠
جنكيزخان يوقع بين السلطان وأمرائه ٨١
إرسال جنكيزخان رسولاً إلى تركان خاتون بأنه لن يتعرض إلى ما تحت يدها من البلاد ٨٢

فصل: فيما جرى على أهل السلطان الذين كانوا بخوارزم وخروج أم السلطان منها في أواخر سنة ٦١٦هـ ٨٣
إجفال تركان خاتون والدة السلطان عن خوارزم مع أولاده ٨٣
قتلها قبل رحيلها ما كان بخوارزم من الملوك الأسارى وأبناء الملوك وذوي المراتب ٨٣
استصحابها عمر خان ابن صاحب يازر، ثم قتلها له ٨٤
وصولها إلى قلعة إيلال واعتصامها بها ٨٤
حصار التاتار قلعة إيلال واستيلاؤهم عليها، وأسرهم تركان خاتون ووزيرها نظام الملك ٨٥
حال أولاد السلطان علاء الدين محمد بعد أسر التاتار لهم ٨٦
حال الوزير نظام الملك، وسبب قتل التاتار له ٨٧
ذكر نبذة من حال تركان خاتون وما كانت عليه من مهابة ورأي ٨٨
فصل: في استيلاء التاتار على بخارى ٩٠
إقامة السلطان علاء الدين محمد بحدود كيلف بعد استيلاء التاتار على أترار .. ٩٠
حصار جنكيزخان بخارى واستيلاؤه عليها ٩٠
تخاذل أمراء بخارى وانهزامهم ٩٠
عبور السلطان علاء الدين محمد نهر جيحون إلى خراسان ٩١
تخاذل أمراء السلطان ومفارقتهم له ٩١
تجريد جنكيزخان عسكراً لملاحقة السلطان ٩٢
فصل: فيما قاسى السلطان من الشدائد والجفلات إلى أن مات بجزيرة بحر القلزم ٩٤
ما أشير به على السلطان من الرجوع إلى عراق العجم ٩٤
رحيل السلطان إلى نيسابور ٩٥
إيداع السلطان صناديق جواهره في قلعة أردهن، واستيلاء التاتار من بعد عليها ٩٥
إحاطة التاتار بالسلطان بمرج دولت آباذ قرب همذان ٩٦
نجاته في نفر يسير من خواصه إلى مازندران ٩٦
كبسة التاتار له بمازندران، والتجاؤه إلى جزيرة ببحر قزوين ٩٦
إقامته بتلك الجزيرة واشتداد المرض به ٩٧
خلع السلطان ابنه أزلاغ شاه من ولاية العهد، وتولية ابنه جلال الدين ٩٨
وفاته بالجزيرة سنة ٦١٧هـ، ودفنه بها ٩٨

فصل: في استيلاء التاتار على نسا وقتل شهاب الدين الخيوقي والعامة بها ... ١٠٠
ذكر نبذة من حال شهاب الدين أبي سعد بن عمران الخيوقي ١٠٠
وصول شهاب الدين الخيوقي إلى نسا ومعه جمهور كبير من أهل خوارزم ١٠٢
انتظاره ما يتجدد له من أخبار السلطان علاء الدين محمد ١٠٢
حيرته لرحيل السلطان عن نيسابور ١٠٢
حصار التاتار نسا واستيلاؤهم عليها، وقتلهم أهلها ١٠٣
قتل التاتار شهاب الدين الخيوقي وابنه تاج الدين ١٠٥
فصل: في الاستيلاء على نيسابور وذكر نُبذ مما جرى بخراسان بعد الاستيلاء على نسا ١٠٦
انتشار التاتار في نواحي خراسان ١٠٦
امتناع شهاب الدين النسوي بقلعته جزيدر ١٠٦
إنشاء التاتار جيشاً من المتعاونين معهم من أهل البلاد، ونكايته بضياع خراسان ١٠٧
حصار التاتار نيسابور واستيلاؤهم عليها وقتلهم معظم أهلها ١٠٨
إجمال ما جرى على سائر البلاد ١٠٩
التجاء نظام الدين السمعاني، وهو من رؤساء مرو، إلى قلعة جزيدر ١٠٩
وصول بعض التاتار إلى قلعة جزيدر بعد استيلائهم على نسا ١١١
خوف نظام الدين السمعاني وخروجه من القلعة إلى خوارزم ١١١
نجاة قلعة جزيدر من استيلاء التاتار عليها لحصانتها ١١١
وقوع الوباء في قلعة جزيدر وفناء أهلها ١١٢
السلطان جلال الدين منكبرتي ١١٣
فصل: في ذكر عود أولاد السلطان بعد وفاته إلى خوارزم وما جرى لهم ١١٣
وصول جلال الدين وأخويه أزلاغ شاه وأق شاه إلى خوارزم ١١٣
سرور الناس بقدومهم، وانضمام العساكر السلطانية إليهم ١١٣
ميل العساكر إلى أزلاغ شاه للقرابة، وإنكارهم قبوله بالخلع من ولاية العهد .. ١١٣
تواطؤ العساكر على جلال الدين، وتآمرهم على سمله وقتله ١١٤
هروب جلال الدين في ثلاث مئة فارس صوب خراسان ١١٤
تحرك التاتار نحو خوارزم ١١٤
رحيل أخوي جلال الدين على أثره صوب خراسان ١١٤
ترصد عساكر جنكيزخان لأولاد السلطان علاء الدين محمد ١١٤

وصول جلال الدين إلى قرب نسا، وتصادمه والتاتار وانهزامهم ١١٤
مسير جلال الدين إلى نيسابور ١١٦
إجفال أخوي جلال الدين من التاتار ١١٦
وصول التاتار إلى قلعة جزيدر لكشف أخبار جلال الدين ١١٦
هروب أخوي جلال الدين من التاتار واستشهادهما ١١٦
إقامة جلال الدين في نيسابور لجمع العساكر ١١٧
تعجله بالخروج من نيسابور إلى زوزن ١١٧
متابعته طريقه إلى بست ١١٨
ضيقه حين علم أن جنكيزخان مقيم بالطالقان ١١٨
مخاطرته في طريقه إلى غزنة ١١٨
اتفاقه مع ابن خاله على كبس التاتار المحاصرين لقلعة قندهار ١١٨
انتصاره على التاتار ودخوله غزنة ١١٨
فصل: في ذكر حال بدر الدين إيتانج خان ١١٩
إجفاله من التاتار إلى نسا بعد استيلائهم على بخارى ١١٩
هزيمته للتاتار في نشجوان ١١٩
رحيله إلى أبيورد ثم عودته إلى نسا ١٢٠
قصد التاتار له في جرجان سنة ٦١٩هـ، وانهزامه إلى الري ١٢٠
إقامته في الري عند غياث الدين بيرشاه ابن السلطان علاء الدين محمد ١٢٠
وفاته في الري مسموماً ١٢٠
فصل: فيما جرى لركن الدين غورسانجتي بن السلطان محمد صاحب العراق ومآل أمره، وبعض أخبار أخيه غياث الدين ١٢١
اتصال ركن الدين بأبيه السلطان علاء الدين محمد عند قدومه إلى العراق ١٢١
إجفال ركن الدين من التاتار إلى حدود كرمان وإقامته فيها نحو تسعة أشهر ١٢١
خروجه إلى أصفهان والري وقتله طائفة من الإسماعيلية ١٢١
قصد التاتار له وتحصنه منهم بقلعة ستون آوند ١٢١
حصار التاتار القلعة ١٢١
صعود التاتار للقلعة وقتلهم له ١٢٢
عيث كمال الدين محمد القزويني بأصفهان ١٢٢
دخول كمال الدين في طاعة التاتار ثم قتلهم له ١٢٣
إطاعة علاء الدولة الشريف العلوي؛ رئيس همذان للتاتار ١٢٣

إقامة غياث الدين بن السلطان علاء الدين محمد بكرمان ١٢٣
نفوذ أمره في مازندران وخراسان ١٢٣
قصد غياث الدين أذربيجان ومصالحته لصاحبها الأتابك أزبك ١٢٣
مسير غياث الدين إلى فارس وتملكه قلعة إصطخر ١٢٤
دخول غياث الدين شيراز عنوة ١٢٤
مسير غياث الدين إلى حدود بلاد بغداد وإذعانه بالطاعة للخليفة ثم عوده إلى العراق ١٢٤
فصل: في ذكر الحوادث بغزنة بعد عود جلال الدين وتغريقه حرمه ١٢٥
دخول جلال الدين غزنة سنة ٦١٨هـ ١٢٥
سرور الناس بقدومه وانضمام العساكر إليه ١٢٥
إرسال جنكيزخان ابنه تولي خان لقتاله ١٢٥
انتصار جلال الدين على تولي خان وقتله ١٢٥
تنازع عساكر جلال الدين في تقاسم الغنائم ١٢٦
مفارقة بعض عساكر جلال الدين له ١٢٦
محاولة جلال الدين استرجاع من فارقه من العساكر ١٢٦
خروج جلال الدين من غزنة ١٢٧
نزول مقدمة عسكر جنكيزخان بجزدير ١٢٧
كبس جلال الدين لمقدمة جنكيزخان وانهزامها ١٢٧
رجوع جلال الدين إلى مخيمه على شاطئ نهر السند ١٢٧
فشل محاولته عبور النهر بالمراكب إلى الهند ١٢٧
معركته مع جنكيزخان في شوال سنة ٦١٨هـ وانهزامه ١٢٧
إلقاء عساكر جلال الدين أنفسهم في النهر خوفاً من الأسر والقتل ١٢٨
عودة جلال الدين إلى مخيمه كسيراً ١٢٨
طلب والدته منه وبعض حرمه تغريقهن في النهر خوفاً من الأسر ١٢٨
استجابته لرجائهن وأمره بتغريقهن ١٢٨
محاصرة التاتار مخيم جلال الدين ١٢٩
ركوب جلال الدين فرسه وقذف نفسه في النهر وعبوره به إلى الهند ١٢٩
نجاة نحو أربعة آلاف من عساكره ووصولهم عبر النهر إلى الهند ١٢٩
فصل: فيما جرى لجلال الدين مع ملوك بلاد الهند إلى أن رجع إلى العراق وتملك البلاد من أخيه غياث الدين ١٣١

خروج صاحب جبل الجودي لقتال جلال الدين ١٣١
قتل جلال الدين للجرحى من عساكره خوفاً من التنكيل بهم ١٣١
انتصار جلال الدين على صاحب جبل الجودي وقتله ١٣١
خوف نائب قباجة من جلال الدين والتقرب إليه بالهدايا ١٣٢
مراسلة جلال الدين لقباجة في بعض الأمور ١٣٢
إرسال قباجة بالهدايا إلى جلال الدين ١٣٢
أسباب فساد العلاقة بين قباجة وجلال الدين ١٣٣
تبييت جلال الدين لقباجة وهروبه منه ١٣٣
جباية جلال الدين الخراج من بلاد قباجة ١٣٤
الموادعة بين جلال الدين وشمس الدين إيلتمش ١٣٤
اتفاق ملوك الهند على قتال جلال الدين ١٣٥
عزم جلال الدين على الرجوع إلى العراق ١٣٥
ذكر ما قاساه جلال الدين في طريقه من الهند حتى وصوله إلى كرمان ١٣٥
إطاعة براق الحاجب والي كرمان لجلال الدين ١٣٥
قدوم علاء الدولة صاحب يزد على جلال الدين وإظهار طاعته له ١٣٥
إرسال جلال الدين إلى الأتابك سعد صاحب فارس وتزوجه بابنته ١٣٥
تقدم جلال الدين إلى أصفهان وإقبال أهلها عليه ١٣٥
خوف غياث الدين من أخيه جلال الدين وقصده لمحاربته ١٣٦
استعطاف جلال الدين لأخيه غياث الدين ١٣٦
رجوع غياث الدين إلى الري وتفريقه عساكره ١٣٦
طاعة الأمراء لجلال الدين ١٣٦
مسير جلال الدين إلى الري وهروب أخيه غياث الدين منها ١٣٦
استمالة جلال الدين لأخيه غياث الدين ١٣٦
خضوع سائر البلاد لجلال الدين ١٣٦
حال البلاد زمن غياث الدين ووثوب المتغلبين عليها ١٣٧
فصل: في ذكر حصار التاتار خوارزم في ذي القعدة سنة ٦١٧هـ واستيلائهم عليها في صفر سنة ٦١٨هـ ١٣٩
حصار التاتار خوارزم بعد انفصال أولاد السلطان علاء الدين محمد عنها ١٣٩
مراسلة دوشي خان بن جنكيزخان لأهلها لتسليمها بالأمان ١٤٠
ميل عقلاء أهلها لتسليمها بالأمان ومخالفة عامتها لهم ١٤٠

هجوم التاتار على خوارزم واستيلاؤهم عليها، وفتكهم بأهلها ١٤٠
فصل: في ذكر فخر الدين علي بن أبي القاسم الجندي إلى أن تقلد الوزارة ولقب بشرف الملك خواجة جهان ١٤٢
نيابته ابتداء عن المستوفي بديوان جند ١٤٢
استقلاله بديوان جند ١٤٢
طموحه لمغالبة نجيب الدين الشهرستاني وزير جند على وزارتها ١٤٢
ولايته وزارة جند وعسفه وظلمه ١٤٣
تظلم الرعية منه إلى السلطان علاء الدين محمد ١٤٣
إذن السلطان علاء الدين محمد لهم بإحراقه ١٤٣
استخفاؤه وهربه ١٤٣
ترتبه في جملة الحجاب عند جلال الدين في غزنة ١٤٣
شغور منصب الوزارة بمقتل الوزير شمس الدين الهروي بالهند ١٤٣
إقامته وزيراً مؤقتاً ريثما يرشح للمنصب من هو أهل له ١٤٣
قلة احتفاء جلال الدين به وعدم إنزاله له منزلة الوزراء ١٤٤
فصل: في ملك السلطان أذربيجان ١٤٦
مسير جلال الدين إلى خوزستان بعد تمكنه من أخيه غياث الدين ١٤٦
إرسال جلال الدين رسولاً إلى ديوان الخلافة في بغداد متعتباً ١٤٦
استقبال رسوله في بغداد على غير المألوف من الاحترام ١٤٦
رحيل جلال الدين عن نواحي بغداد إلى أذربيجان ١٤٦
شتم أهل دقوقا له لتعديه على بلاد الخليفة ١٤٦
تغيظه على أهل دقوقا وقتله كثيراً من أهلها ١٤٦
خروج يغان طايسي من أذربيجان صوب العراق اغتناماً لخلوها ١٤٦
كبس جلال الدين له بهمذان وظفره به ١٤٧
ورود كتب أهل مراغة تستحثه على قدومها ١٤٧
دخول جلال الدين مراغة ١٤٧
إرسال جلال الدين من مراغة رسولاً إلى ملك الروم وملوك الشام ومصر تتضمن تملكه أذربيجان ١٤٧
تفويض جلال الدين لشهاب الدين النسوي كتابة الإنشاء ١٤٨
رحيل جلال الدين عن مراغة صوب أوجان ١٤٨
إقامة جلال الدين بأوجان ومجيء بعض أهل تبريز إليه سراً يطمعونه بتملكها . ١٤٨

حصاره تبريز، وبها بنت طغرل بن أرسلان زوجة الأتابك أزبك ١٤٨
خروج رئيس تبريز نظام الدين ابن أخي شمس الدين الطغرائي إلى جلال الدين ١٤٨
خروج رسول بنت طغرل في طلب الأمان لها ولأتباعها على أن تكون لها مدينة خوي ١٤٨
تسلم جلال الدين تبريز سنة ٦٢٢هـ ١٤٩
تولية نظام الدين رياسة تبريز ١٤٩
فصل: في كسر السلطان للكرج وذكر الطغرائي التبريزي، رحمه الله ١٥٠
انزعاج الكرج من تملك جلال الدين أذربيجان ١٥٠
حشد الكرج عسكرهم قرب دوين إشعاراً لجلال الدين بقوتهم وترغيباً له بمهادنتهم ١٥٠
مسير جلال الدين بمن حضر من عسكره إلى محاربة الكرج وهزيمتهم ١٥٠
أسر شلوة وهو من شطار الكرج ١٥١
إرسال جلال الدين رؤوس قتلى الكرج إلى تبريز ١٥٢
فتح جلال الدين مدينة دوين ١٥٢
بث جلال الدين عساكره إلى أخريات بلاد أبخاز ١٥٢
عزمه على فتح تفليس ١٥٢
ورود كتاب من وزيره شرف الملك بتآمر الطغرائي وابن أخيه على العصيان ... ١٥٢
رجوع جلال الدين إلى تبريز ١٥٣
قتل جلال الدين رئيس تبريز نظام الدين وحبس شمس الدين الطغرائي ومصادرته ١٥٣
نقل شمس الدين الطغرائي من تبريز إلى مراغة محتاطاً عليه ١٥٣
محاولة شرف الملك قتل شمس الدين الطغرائي ١٥٣
هروب شمس الدين الطغرائي من سجنه ١٥٤
تبرؤ الطغرائي في الحج على رؤوس الأشهاد مما نسبه إليه شرف الملك ١٥٤
علم جلال الدين ببراءة شمس الدين الطغرائي وندمه على ما كان منه ١٥٤
إعادته الطغرائي إلى تبريز ورد أملاكه إليه ١٥٥
إقامته بتبريز وحضوره مجالس الوعظ في رمضان ١٥٥
فصل: في ملك السلطان كنجة وسائر بلاد أران وتزوجه بالملكة التي كانت بتبريز وما جرى للقاضي عز الدين القزويني ١٥٦
إرسال جلال الدين وهو بتبريز أورخان إلى كنجة وتسلمها ١٥٦

الخلاف بين الكافي نائب شرف الملك بكنجة وبين أورخان ١٥٦
رجوع أورخان إلى جلال الدين ١٥٦
الوحشة بين شرف الملك وأورخان ١٥٦
رغبة بنت طغرل بزواجها من جلال الدين ١٥٧
إثبات بنت طغرل بأنها مطلقة من زوجها الأتابك أزبك ١٥٧
حكم القاضي عز الدين القزويني بصحة طلاقها ١٥٧
زواج جلال الدين بها، ومسيره إلى خوي للدخول بها ١٥٧
وفاة الأتابك أزبك بُعيد علمه بزواج جلال الدين ١٥٧
شرف الملك يوقع بين جلال الدين وبنت طغرل ١٥٨
مفارقة بنت طغرل خوي إلى قلعة طلا ١٥٨
دعوة بنت طغرل الحاجب الأشرفي نائب الملك الأشرف موسى بخلاط لمساعدتها ١٥٨
وصول الحاجب علي إلى قلعة طلا وتسلمها، واستصحابه بنت طغرل ١٥٨
تطلع عز الدين القزويني لقضاء تبريز ١٥٨
انقلاب عز الدين القزويني على المحسن إليه شمس الدين الطغرائي ١٥٨
تمكن العلاقة بين شرف الملك وعز الدين القزويني ١٥٩
ورود رسول الملك المعظم عيسى بن العادل إلى جلال الدين ١٥٩
توبيخ عز الدين القزويني رسولَ المعظم على تحالفه مع جلال الدين ١٦٠
تغيظ شرف الملك على القزويني لما قام به، وعزله عن القضاء ١٦٠
تولية مجير الدين عمر بن سعد الخوارزمي القضاء ١٦١
فصل: في عود السلطان إلى بلد الكرج وفتحه تفليس وحصاره لخلاط أول مرة وغير ذلك ١٦٢
توجه جلال الدين إلى بلد الكرج ١٦٢
مرض شهاب الدين النسوي وذهابه إلى سرمارى ١٦٢
قتل جلال الدين شلوة الكرجي لخيانته ١٦٢
ذكر ما قاساه جلال الدين من الثلوج في طريقه إلى تفليس ١٦٢
فتح جلال الدين تفليس ١٦٢
صفة مدينة تفليس ١٦٣
رحيل جلال الدين عن تفليس إلى سرمارى، ثم منها إلى كرمان لكبس براق الحاجب ١٦٣

تجريد جلال الدين العسكر للإغارة على بلد خلاط ١٦٤
قصد جلال الدين خلاط ومحاصرته لها ١٦٤
خيانة ابن صاحب أرزن الروم وإخباره الكرج بقلة عسكر جلال الدين بتفليس . ١٦٤
إحراق الكرج تفليس لعجزهم عن حفظها ١٦٤
رجوع جلال الدين عن خلاط حين بلوغه ذلك ١٦٤
هجوم جلال الدين على الأتراك الإيوانية ١٦٤
قتال جلال الدين للأتابكية النازلين بمرج خوي ١٦٥
وصول جلال الدين إلى كنجة بعد فراغ الكرج من إحراق تفليس ١٦٥
قبض شرف الملك على القاضي مجير الدين عمر بن سعد الخوارزمي ومصادرته ١٦٥
وصول رسول المغرب إلى جلال الدين سنة ٦٢٣هـ ١٦٥
فصل: في ذكر عمارة بيلقان وأردويل ووصول خاموش بن الأتابك إلى السلطان والرفيعة على الوزير التفرشي وقتل الإسماعيلية بكنجة أورخان ١٦٨
تمليك جلال الدين بيلقان وأردويل لشرف الملك وقد كانتا خراباً ١٦٨
بناء شرف الملك عليهما سورين من الآجر ترغيباً للرعية بالعودة إليهما ١٦٨
نزول جلال الدين بظاهر بيلقان وما حمله إليه شرف الملك ١٦٨
وصول خاموش بن الأتابك أزبك إلى جلال الدين بكنجة بعد رجوعه عن خلاط ١٦٩
إقامة خاموش في خدمة جلال الدين وقلة الاحتفال به ١٧٠
مفارقة خاموش لجلال الدين ورحيله إلى علاء الدين صاحب ألموت ووفاته هناك ١٧٠
ذكر نبذة من حال شرف الدين علي بن الفضل التفرشي ١٧٠
تعيين جلال الدين التفرشي وزيراً لجميع مدن العراق ١٧٠
مواطأة شرف الملك لوزيري أصفهان والري للوقيعة بالتفرشي ١٧١
عقد مجلس لسماع كلامهم فيه ١٧١
إرضاء التفرشي لجلال الدين بمال على أن لا يسمع كلامهم فيه ١٧١
إبقاء جلال الدين للتفرشي في منصبه ١٧٢
استمرار الوحشة بين التفرشي وشرف الملك ١٧٢
قتل الإسماعيلية أورخان بكنجة ١٧٢
وصول رسول ألموت إلى بيلقان والتقاؤه بشرف الملك ١٧٣

قضاء شرف الملك أشغال رسول ألموت خوفاً على نفسه ١٧٤
كشف رسول ألموت لشرف الملك أن لهم خمسة من الفدائية في العسكر وما تم بشأنهم ١٧٥
ورود رسول ألموت مطالباً شرف الملك بدية الفدائية الخمسة، واستجابته له .. ١٧٦
وصول قافلة للإسماعيلية من الشام واستيلاء شرف الملك عليها ١٧٦
فصل: في مسير السلطان إلى العراق في سنة ٦٢٤هـ، والتقائه التاتار بظاهر أصفهان ١٧٧
مسير جلال الدين إلى تبريز وإقامته فيها ١٧٧
ورود الخبر بأن التاتار على أهبة عبور نهر جيحون إلى خراسان ١٧٧
مسارعة جلال الدين إلى أصفهان لمواجهتهم ١٧٧
نزول التاتار شرقي أصفهان واستعداد جلال الدين لقتالهم ١٧٨
مصاف جلال الدين مع التاتار وفرار أخيه غياث الدين ١٧٩
وقوع جلال الدين بكمين للتاتار وانهزامه ١٨٠
اختفاء خبر جلال الدين بعد الهزيمة ١٨٢
عودة جلال الدين إلى أصفهان ١٨٣
رجوع التاتار إلى ما وراء النهر ١٨٣
فصل: في ذكر سبب الوحشة بين السلطان وأخيه غياث الدين وما آل إليه أمره ١٨٤
سبب الوحشة قتل غياث الدين ابن صاحب هراة وكان من أصدق أصدقاء جلال الدين ١٨٤
شدة حزن جلال الدين على مقتله وتغضبه على أخيه غياث الدين ١٨٤
اغتنام غياث الدين انشغال جلال الدين بمصافه مع التاتار وهروبه ١٨٥
مسير غياث الدين إلى خوزستان ١٨٥
طلب غياث الدين من الخليفة إعانته على استرجاع بلاده من أخيه جلال الدين ١٨٥
مسير غياث الدين إلى ألموت ١٨٥
وصول جلال الدين إلى الري، وإحاطة عسكره بألموت ١٨٥
طلب صاحب ألموت الأمان لغياث الدين ليعود إلى الخدمة ١٨٦
إجابة جلال الدين لطلب الأمان ١٨٦
ندم غياث الدين على ما نواه من العود إلى أخيه جلال الدين ١٨٦
خروج غياث الدين من ألموت ونجاته إلى كرمان وبها نائبه براق الحاجب ١٨٦
غدر براق الحاجب به وقتله والدته ووزيره ١٨٦

حبس براق الحاجب لغياث الدين ببعض القلاع ١٨٦
اختلاف الأقاويل في خاتمة أمر غياث الدين ١٨٦
محاولة صاحب ألموت التقرب من جلال الدين ١٨٦
الوحشة بين جلال الدين وصاحب ألموت لتمكينه غياث الدين من الفرار ١٨٧
فصل: فيما فعله الحاجب علي الأشرفي ببلاد أذربيجان وأخذ السلطان خلاط . ١٨٨
انزعاج شرف الملك من مكاتبة بنت طغرل للحاجب علي، وقدومه لاستصحابها ١٨٨
مسير شرف الملك نحو أران وإقامته بموقان ١٨٨
تعرض شرف الملك لبنت الأتابك صاحبة نخجوان ١٨٨
كبس الحاجب علي له، وانهزامه منه ١٨٩
استيلاء الحاجب علي على خوي ونخجوان ومرند ١٩٠
مسير شرف الملك إلى الحاجب علي وكسر عسكره ١٩٠
مسير جلال الدين نحو خلاط وإقامته بطوغطاب ١٩٠
وصول رسول ملك الروم إليه يغريه بمعاداة بني أيوب ١٩٠
تقدم جلال الدين نحو خلاط ١٩١
ورود رسول عز الدين أيبك إليه بقبضه على الحاجب علي وبذل الطاعة له ١٩١
تصميم جلال الدين على أخذ خلاط ونزوله عليها ومحاصرتها ١٩١
استيلاء جلال الدين على خلاط ١٩٢
فصل: في سير السلطان إلى الروم ومصافه بها وانهزامه من عسكر الشام والروم ثم كبسة التاتار له بموقان ١٩٣
إعراض جلال الدين عن رسول ملك الروم ١٩٣
ميل ملك الروم إلى الأشرف موسى وتحالفه معه ضد جلال الدين ١٩٣
مسير جلال الدين إليهما وهزيمته ١٩٣
عودة جلال الدين إلى خلاط منهزماً ثم مسيره إلى أذربيجان وإقامته بخوي ... ١٩٣
سعي الأشرف موسى للصلح مع جلال الدين ١٩٤
بلوغ التاتار ضعف جلال الدين بعد هزيمته وقدومهم ووصولهم إلى أسفرايين . ١٩٤
رحيل جلال الدين عن تبريز إلى موقان لجمع ما تفرق من عسكره ١٩٥
كبسة التاتار له بموقان وفراره منهم ١٩٥
فصل: في حال السلطان بعد الكبسة المذكورة وقتله لوزيره شرف الملك ١٩٧
مسير جلال الدين إلى نهر أرس موهماً التاتار أنه قطع النهر صوب كنجة ١٩٧

انعطاف جلال الدين نحو أذربيجان وإقامته بماهان لقضاء فصل الشتاء ١٩٧
ركوب التاتار لقصده ١٩٧
رحيل جلال الدين إلى أران حسب ما أشير عليه ١٩٧
إقامة شرف الملك بحيزان ومجاهرته بالعصيان ١٩٨
وصول جلال الدين إلى حيزان ومراسلة شرف الملك بالنزول إليه ١٩٨
نزول شرف الملك إلى جلال الدين طائعاً ١٩٨
حبس جلال الدين لشرف الملك في قلعة جاربيرد ١٩٨
تواطؤ شرف الملك مع والي القلعة ١٩٩
قتل جلال الدين وزيره شرف الملك ١٩٩
ذكر نبذة من حال شرف الملك ٢٠٠
فصل: فيما جرى للسلطان بعد ذلك إلى أن مات ٢٠٢
مسير جلال الدين إلى كنجة وقتله رؤوس الفتنة فيها ٢٠٢
مسير جلال الدين إلى خلاط للاستنجاد بالملك الأشرف موسى ٢٠٢
رحيل الأشرف موسى عن دمشق إلى مصر ٢٠٢
ورود رسالة من دمشق تقطع رجاءه من مساعدة الأشرف له ٢٠٢
إرساله شهاب الدين النسوي إلى المظفر غازي صاحب ميافارقين للاستنجاد به ٢٠٢
عبور التاتار بركري لكشف أخبار جلال الدين ٢٠٣
اعتذار المظفر غازي عن إنجاد جلال الدين ٢٠٣
عودة شهاب الدين النسوي إلى جلال الدين ٢٠٣
نزول جلال الدين في حاني ٢٠٣
إبلاغ النسوي أمراء جلال الدين باعتذار المظفر غازي عن إنجادهم ٢٠٤
عزم جلال الدين على التوجه إلى أصفهان ٢٠٤
ورود رسول صاحب آمد يطمع جلال الدين في ملك بلاد الروم ٢٠٤
انعطاف جلال الدين صوب آمد ونزوله بقربها ٢٠٤
قضاء جلال الدين ليلته تلك وهو سكران ٢٠٤
كبسة التاتار له وهروبه منهم إلى باشورة آمد ٢٠٤
تشوش أهل آمد وظنهم أن جلال الدين يريد الغدر بهم ٢٠٥
يأس جلال الدين من دخول آمد ٢٠٥
وصوله إلى قرية من قرى ميافارقين ٢٠٥
كبسة التاتار له مع طلوع الفجر ٢٠٥

لحاق التاتار له وصعود جلال الدين إلى جبل الأكراد ٢٠٦
أسر قطاع الطرق في الجبل لجلال الدين ٢٠٦
مقتل جلال الدين على يد أحد الأكراد ٢٠٦
صفات جلال الدين وما كان يخاطب به من ألقاب ٢٠٧
إحراق التاتار جثة السلطان علاء الدين محمد بن تكش ٢٠٨
مذيل أبي شامة على نزهة المقلتين ٢١٠
الفهارس العامة ٢١٩
فهرس الموضوعات ٢٣٦

مصادر التحقيق ومراجعه

١ ـ **آثار البلاد وأخبار العباد**، تأليف: زكريا بن محمد بن محمود القزويني، دار صادر، بيروت.

٢ ـ **أبو شامة مؤرخ دمشق في عصر الأيوبيين، دراسة تحليلية في سيرته وآثاره التاريخية**، تأليف: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٣ ـ **أخبار سلاجقة الروم**، لمختصر مجهول، ألف أصله يحيى بن محمد بن علي الجعفري، المعروف بابن البيبي، تحقيق: هوتسما، ترجمة محمد السعيد جمال الدين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م.

٤ ـ **الأعلام**، تأليف: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٧٩م.

٥ ـ **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، حققه وضبط نصه وعلق عليه: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٦ ـ **تاريخ الترك في آسيا الوسطى**، تأليف: بارتولد، ترجمة الدكتور أحمد السعيد سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦م.

٧ ـ **تاريخ جهانكشاي «تاريخ فاتح العالم»**، تأليف: عطا ملك الجويني، ترجمة الدكتور محمد ألتونجي، دار الملاح للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٨ ـ **تاريخ دولة آل سلجوق**، اختصار الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني، طبع على نفقة شركة طبع الكتب العربية، القاهرة، ١٩٠٠م.

٩ ـ **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تأليف: محمد بن إبراهيم المعروف بالزركشي، تحقيق وتعليق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، الطبعة الثانية، ١٩٦٦م.

١٠ ـ **تاريخ مختصر الدول**، تأليف: غريغوريوس الملطي، المعروف بابن العبري، مصورة عن طبعة المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨م.

١١ ـ **التذكرة الحمدونية**، تصنيف ابن حمدون محمد بن الحسن بن محمد بن علي، تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

١٢ ـ **التعريف بالمؤرخين في عهد المغول والتركمان**، تأليف: عباس العزاوي، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

١٣ ـ **التعريف بمصطلحات صبح الأعشى**، تأليف: محمد قنديل البقلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣م.

١٤ ـ **تكملة المعاجم العربية**، تأليف: رينهارت دوزي، نقله إلى العربية وعلق عليه الدكتور محمد سليم النعيمي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠م.

١٥ ـ **توضيح المشتبه**، تصنيف محمد بن عبد الله بن محمد القيسي، الشهير بابن ناصر الدين الدمشقي، حققه وعلق عليه: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

١٦ ـ **التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنكية والقبطية**، تأليف: اللواء محمد مختار باشا، دراسة وتحقيق وتكملة: الدكتور محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

١٧ ـ **الجواهر المضية في طبقات الحنفية**، تصنيف عبد القادر بن محمد بن محمد القرشي الحنفي، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

١٨ ـ **الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة**، المنسوب خطأ لابن الفوطي، دار الفكر الحديث للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٧م.

١٩ ـ **الدول الإسلامية**، تأليف: ستانلي لين بول، مع إضافات وتصحيحات بارتولد، وخليل أدهم، ترجمة محمد صبحي فرزات، أشرف على ترجمته وعلق عليه: محمد أحمد دهمان، مكتب الدراسات الإسلامية بدمشق، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م

٢٠ ـ **ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي**، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة، سلسلة ذخائر العرب، الطبعة الخامسة.

٢١ ـ **ديوان بديع الزمان الهمذاني**، دراسة وتحقيق: يسري عبد الغني عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٢٢ ـ **ديوان سبط ابن التعاويذي أبي الفتح محمد بن عبيد الله**، صححه د. س. مرجليوث، مطبعة المقتطف بمصر، وأعادت نشره دار صادر ببيروت.

٢٣ ـ **ديوان فتيان الشاغوري**، تحقيق: أحمد الجندي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، المطبعة الهاشمية، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

٢٤ ـ **ديوان النابغة الذبياني**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، سلسلة ذخائر العرب، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة.

٢٥ ـ **ذيل مرآة الزمان**، تأليف: قطب الدين موسى بن محمد اليونيني، بعناية وزارة التحقيقات الحكمية والأمور الثقافية للحكومة الهندية، الناشر دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٢٦ ـ **زبدة النصرة ونخبة العصرة = تاريخ دولة آل سلجوق**.

٢٧ ـ **سفرنامة، رحلة ناصر خسرو**، نقلها إلى العربية الدكتور يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.

٢٨ ـ **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تأليف: تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: الدكتور محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٥٧م.

٢٩ ـ **سنا البرق الشامي**، اختصار قوام الدين الفتح بن علي البنداري، تحقيق: الدكتور رمضان ششن، دار الكتاب الجديد، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧١م.

٣٠ ـ **سير أعلام النبلاء**، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: ثلة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.

٣١ ـ **سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي**، تأليف: محمد بن أحمد النسوي، نشر وتحقيق: حافظ أحمد حمدي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٣م.

٣٢ ـ **شرح ديوان أبي الطيب المتنبي «معجز أحمد»**، لأبي العلاء المعري، تحقيق ودراسة: الدكتور عبد المجيد دياب، دار المعارف، القاهرة، سلسلة ذخائر العرب، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٣٣ ـ **شرح ديوان كعب بن زهير**، صنعة الإمام أبي سعيد بن الحسن بن الحسين بن عبيد الله السكري، مركز تحقيق التراث، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٣٤ ـ **شفاء القلوب في مناقب بني أيوب**، تأليف: أحمد بن إبراهيم الحنبلي، تحقيق: ناظم رشيد.

٣٥ ـ **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، تأليف: أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٣٦ ـ **الطبقات السنية في تراجم الحنفية**، تصنيف تقي الدين بن عبد القادر التميمي الغزي، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

٣٧ ـ **طبقات الشافعية الكبرى**، تأليف: تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو والدكتور محمود محمد الطناحي، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٣٨ ـ **الكامل في التاريخ**، تأليف: عز الدين علي بن محمد الشيباني، المعروف بابن الأثير، دار صادر، بيروت، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

٣٩ ـ **كتاب الإتباع**، تأليف: أبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي، حققه وشرحه وقدم له: عز الدين التنوخي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م.

٤٠ ـ **كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، تأليف: شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي، المعروف بأبي شامة، حققه وعلق عليه: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٤١ ـ **كشاف اصطلاحات الفنون**، تأليف: محمد علي التهانوي، تحقيق: الدكتور علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

٤٢ ـ **لسان العرب**، تأليف: جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت.

٤٣ ـ **محيط المحيط**، تأليف: بطرس البستاني، أعادت نشره مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الجديدة ١٩٨٧م.

٤٤ ـ **مختصر سلجوق نامة = أخبار سلاجقة الروم.**

٤٥ ـ **المذيل على الروضتين** «تاريخ الدولة الأيوبية ما بعد صلاح الدين حتى دولة المماليك في عهد الظاهر بيبرس»، تأليف: شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي، المعروف بأبي شامة، حققه وعلق عليه: إبراهيم الزيبق، دار الرسالة العالمية، ودار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٤٦ ـ **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، تصنيف شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزأوغلي، المعروف بسبط ابن الجوزي، الأجزاء ٢٠، ٢١، ٢٢، حققها وعلق عليها: إبراهيم الزيبق، دار الرسالة العالمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٤٧ ـ **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، تأليف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧م.

٤٨ ـ **معجم البلدان**، تأليف: ياقوت بن عبد الله الحموي، دار صادر بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م.

٤٩ ـ **المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب**، تأليف: رينهارت دوزي، ترجمة: الدكتور أكرم فاضل، بغداد.

٥٠ ـ **المعجم الوسيط**، قام بإخراجه مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

٥١ ـ **المعمَّرون والوصايا**، لأبي حاتم السجستاني، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦١م.

٥٢ ـ **المغرب في ترتيب المعرب**، لأبي الفتح ناصر الدين المطرزي، تحقيق: محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٥٣ ـ **المغول**، تأليف: الدكتور السيد الباز العريني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٥٤ ـ **المغول في التاريخ**، تأليف: الدكتور فؤاد عبد المعطي الصياد، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، بلا تاريخ.

٥٥ ـ **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، تأليف: جمال الدين محمد بن سالم بن واصل، تحقيق: الدكتور جمال الدين الشيال، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٥٣م.

٥٦ ـ **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تأليف: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر.
٥٧ ـ **نصرة الثائر على المثل السائر**، تأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: محمد علي سلطاني، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٧٤م.
٥٨ ـ **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تأليف: شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، حققه: الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٨م.

هذا الكتاب

«نزهة المقلتين» كتاب يؤرخ للسنوات الأخيرة من حياة الدولة الخوارزمية (٦١٦ ـ ٦٢٨هـ) في شرق العالم الإسلامي، والتي حكم فيها السلطانان علاء الدين محمد بن تكش، وابنه جلال الدين منكبرتي، وما خاضته من صراع مع التاتار حتى انتهى بزوالها.

وقد استل مادته التاريخية المؤرخ الكبير عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم الدمشقي، المعروف بأبي شامة، من كتاب «سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي» لشهاب الدين محمد بن أحمد النسوي، على سبيل الاختصار، حاذفاً منه تلك الأسجاع المفضية إلى الملال، ومرتباً وقائعه حسب ترتيبها الزمني، فصار بحق مرجعاً هاماً في تاريخ تلك الفترة.

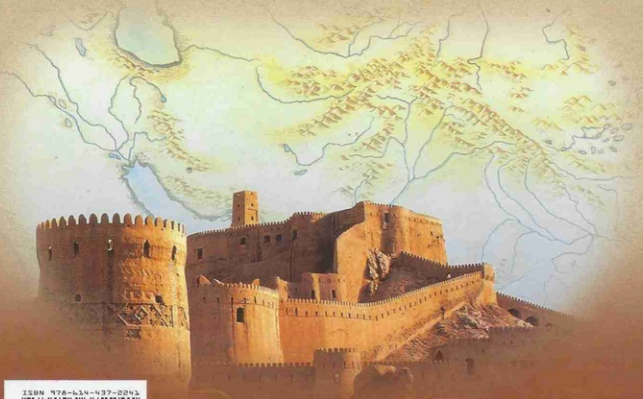

ISBN 978-614-437-2241
9 786144 372241